رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

نبيل خالد الأغا

قضية فلسطين في سيرة بطل

الشهيد الحي

عبد القادر الحسيني

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير
ت: ٣١٢١٥٦ - ٣١٩٥٨٦ - برقيا: موكياي - بيروت
ص. ب: ١١/٥٤٦٠ بيروت

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

قضية فلسطين في سيرة بطل

الشهيد الحي
عبد القادر الحسيني

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الاولى
نيسان (ابريل) ١٩٨٠

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

نبيل خالد الأغا

قضية فلسطين في سيرة بطل
الشهيد الحي
عبد القادر الحسيني

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير
ت ٣١٢١٥٦ - ٣١٩٥٨٦ - برقيا، موكيالي، بيروت
ص. ب: ١١/٥٤٦٠ بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

(صدق الله العظيم)
[آل عمران]

الإهـْـداء

إلى الفارس المغوار الذي سيغرس لواء التحرير على ربوة القسطل . إليه .. وإلى كل فارس صَدوق أهدي سيرة القائد الباسل : عبد القادر الحسيني .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الباب الأول

الفصل الأول

- مولد ونشأة :

أمسية الثامن من نيسان (ابريل) ١٩٠٨م أمسية هادئة في اسطنبول ... أمسية الثامن من نيسان (ابريل) ١٩٤٨م أمسية ملتهبة في القدس ... الأمسية الأولى شهدت ميلاد عبد القادر موسى الحسيني . وآذنت بميلاد قائد فذ وهب حياته في سبيل وطنه ...

والأمسية الثانية شهدت مصرع هذا القائد فآذن مصرعه بالشؤم على الوطن ومواطنيه ! .

ولد في صمت ، وعاش في صخب ، واستشهد في اجلال ، أربعون ربيعاً أهداها وطنه ، فكانت أعظم الهدايا .. وأخلد الأعطيات . حرمه القدر من حنان امه بعد ميلاده بعام ونصف عام ، فكفلته جدته لأمه . وما لبثت هي الأخرى أن فارقت الحياة ، فنشأ في كنف والده الشيخ ، واخوته الأربعة الذين يكبرونه سناً ، وأخواته الثلاث .

- شيخ مجاهدي فلسطين :

شغل ابوه بعض المناصب العالية في عهد الدولة العثمانية ، متنقلاً في عمله بين بعض أنحاء الأمبراطورية العثمانية ، فعمل في اليمن والعراق ونجد واسطنبول ذاتها ، بالإضافة إلى فلسطين .

ونظراً لخدماته الجليلة لدولة الخلافة الإسلامية انعمت عليه الحكومة العثمانية بلقب «باشا».

وعندما تحطمت مفاصل الامبراطورية العثمانية إبان الحرب العالمية الأولى، ووقعت فلسطين في قبضة بريطانيا كان موسى كاظم «باشا» الحسيني يشغل منصب رئاسة بلدية القدس، كما تم انتخابه رئيساً للجنة التنفيذية للمؤتمر الوطني الفلسطيني.

كان أول من رفع صوته في وجه الانتداب البريطاني، وأول من دعا أهل فلسطين إلى الاحتجاج والتظاهر، وإعلان السخط والغضب ضد وعد بلفور.. ذلك الوعد القاهر الذي أصدرته بريطانيا لصالح اليهود في اليوم الثاني من نوفمبر سنة ١٩١٧م.

كان عمره يوم ذاك يجاوز الستين عاماً. وبرغم ذلك لم يحل عمره ولا وظيفته دون قيامه بواجبه المقدس، فتولى قيادة أول مظاهرة شعبية في تاريخ فلسطين ١٩٢٠م.

أزعجت هذه البادرة سلطات الانتداب البريطاني، فهددت الشيخ وتوعدته، فلم يكترث للتهديد، ولم يعبأ بالوعيد، واستمر في نضاله الدؤوب، يستمد عزيمته من الحق الذي ينير جوانحه، ومن شعبه الذي وقف بحزم إلى جانبه. نفذت سلطات الانتداب وعيدها، فعزلته عن رئاسة بلدية القدس، فلم يكترث الشيخ «وأنا بحمد الله ممن ضحى ويضحي بجميع الكراسي والمنافع الخاصة في سبيل البلاد، وليس لنا من غاية في هذه الحياة إلا أن نرى هذه الأمة أرفع شأناً، وأعز جانباً، وأن تصل إلى حقها المشروع، بإخلاص ابنائها، واتحاد كلمتها»[1].

وواصل الشيخ المؤمن ادارته للدفة الوطنية بالبلاد، وقد أولته الجماهير – العارفة لفضله – مطلق ثقتها، وتقديرها.

– من صلف المستعمر:

منذ أن وطأت اقدام بريطانيا تراب فلسطين وهي تعمل بهمة لفرض هيمنتها على الشعب. ولتثبيت الوجود الصهيوني، ومنذ تلك اللحظة وعرب فلسطين يقاومون الهيمنة البريطانية، ويقارعون الوجود الصهيوني.

---

(١) مجلة فلسطين. أيلول سنة ١٩٧٣م. عن صحيفة «الجامعة العربية» أيلول سنة ١٩٢٧م القدس.

- **احتفال بالنبي موسى :**

كعادتهم في كل عام ، احيا العرب احتفالهم التقليدي في القدس بالنبي موسى في الرابع من ابريل (نيسان) ١٩٢٠م . فتعرض لهم بعض غلاة الجالية اليهودية محاولين خطف العلم الفلسطيني ، فدارت معركة بين الطرفين ، وتدخل بعض أفراد الجيش البريطاني إلى جانب غلاة اليهود . فاستشهد أربعة من العرب ، وقتل تسعة من اليهود ، وجرح ٢٥٠ شخصاً .

وعلى أثر هذا الحادث أصدر الجنرال «بولس» حاكم فلسطين العسكري البريطاني بلاغاً حانقاً قال فيه «إن في البلاد حكومة واحدة فقط ، وهذه الحكومة هي أنا ، واني مجهز بقوة عسكرية هائلة لسحق كل من يعكر الأمن ، وسأستخدمها في المستقبل دون قيد»[٢] .

لقد وجه الحاكم العسكري هذا الانذار إلى الزعيم الشيخ ومعه ثلة من وجهاء العرب من مسلمين ومسيحيين ، إضافة إلى أحد أفراد الجالية اليهودية في فلسطين .

وخلال الثورة العربية الفلسطينية عام ١٩٢٩م ندد المندوب السامي البريطاني بثوار فلسطين «فواجبي الأول ان اعيد النظام إلى نصابه في البلاد ، وأن أوقع القصاص الصارم بأولئك الذين سوف يثبت عليهم انهم ارتكبوا أعمال العنف»[٣] . فتحدى أهل فلسطين بدورهم مندوب بريطانيا السامي على لسان الشيخ الشجاع في منشور مطول جاء فيه «إن اضطرابات فلسطين السابقة والحالية إنما هي ناشئة مباشرة عن السياسة البريطانية الصهيونية التي ترمي إلى إفناء القومية العربية في وطنها الطبيعي ، لكي تحل محلها قومية يهودية لا وجود لها ، وتعلمون فخامتكم ان عرب فلسطين قد تكبدوا كل شيء عظيم في سبيل حقوقهم ، وهم لا يترددون أن يتكبدوا أكثر من ذلك»[٤] .

- **موقف شجاع :**

على أثر تمادي سلطات الانتداب البريطاني في تحديها لحقوق العرب ومشاعرهم

---

(٢) جريدة الاهرام ٩ أبريل (نيسان) سنة ١٩٢٠م .
(٣) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ص ٢٢٣ . د . أحمد طربين – القاهرة سنة ١٩٥٨م .
(٤) المرجع السابق .

قرر بعض الشباب الفلسطيني القيام بمظاهرة في القدس. يعبرون فيها عن عميق غضبهم وشدة استنكارهم لذلك التحدي ، وأخذوا قرارهم هذا للتصديق عليه من قبل اللجنة التنفيذية ورئيسها موسى الحسيني ، ونوقش الموضوع في أحد الاجتماعات الطارئة للجنة ، وعند التصويت عليه انقسم أعضاء اللجنة بين مؤيد بحزم ، ومعترض بشدة ، ومتلجلج بلا رأي ، وانفض الاجتماع على أن تعاد مناقشة الموضوع في جلسة قادمة ، وعلم عبد القادر بما جرى – وكان شاباً يافعاً – وبجرأة الشباب قال لوالده : يا والدي ، لقد بلغت من الكبر عتياً ، وقضيت عمرك مجاهداً محتسباً ، فهلاّ توجت هذا النضال بوقفة شجاعة تضاف إلى مواقفك وتتصدى فيها لقوانين المستعمر ، وتقف شامخاً بجانب ابنائك الشبان ، وتقنع المعترض والمتلجلج من أعضاء اللجنة ؟ عفوا والدي .. تالله ما قصدت التطاول على رأيك . ولكن الست أول من علمني أن أكون حرّاً ؟ والتفت الشيخ المهيب نظرة اعجاب لولده ، ووعده أنه سيبذل جهده لإقناع أعضاء اللجنة .. وفي الجلسة التالية اعلنت اللجنة التنفيذية موافقتها على قيام المظاهرة .

وعلمت حكومة الانتداب بالقرار وسعى المندوب السامي لإلغائه متبعاً في ذلك سياسة المراوغة التي حذقتها حكومته . ورأى أن يتصل برئيس اللجنة التنفيذية ، وكلف لهذه المهمة مجموعة من أفراد الجالية البريطانية ذات الصلة بالعرب ، والتي ترأسها (مس نيوتن) المشهود لها بالمواقف الطيبة تجاه العرب .

علم عبد القادر بموعد زيارة أعضاء الوفد لوالده ، وأخذ يرتقبهم عند عتبات البيت ، وعندما وصلت (مس نيوتن) بادرها قائلاً : سيدتي الفاضلة اني اعلم مقصدك من هذه الزيارة ، واني لأعجب لها كل العجب ، فهل ترغبين في ابعاد والدي عن المشاركة في واجب قومي مقدس ؟ وانت تعلمين موقف حكومتك من قضيتنا العادلة ، كنت اتمناك مؤيدة لا مثبطة ، وعلى كل حال إذا وافق والدي على مسعاكم فسأكون أول الرافضين لهذه الغاية لأن حبي لوالدي يفوقه اعزازي لوطني. ادركي هذا جيداً ! .

وما ان نطق عبد القادر بآخر كلمة حتى فوجئ بوالده على مقربة منه يصغي لما قاله ولده في تأثر بالغ ، والتفت المجاهد الكبير إلى رئيسة الوفد وقال : هذا ما يقوله ولدي يا (مس نيوتن) فماذا سيقول الناس ؟ ووجم الجميع ، وهمّ الوفد بالانصراف فقال لهم الشيخ : الا تشربون قهوتنا ؟ فطأطأ الجميع رؤوسهم .. ورجعوا من حيث اتوا .

- **مظاهرة القدس :**

كان يوم الجمعة ١٣ من اكتوبر (تشرين أول) سنة ١٩٣٣ هو موعد تلك المظاهرة الكبيرة في القدس ، جمع كبير من المصلين خرجوا من المسجد الأقصى المبارك بعد صلاة الجمعة ، واشتركوا في المظاهرة العارمة التي ساهم فيها الكثيرون من وجهاء البلاد واعيانها ، وفي مقدمتهم موسى كاظم «باشا» الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية للمؤتمر الوطني الفلسطيني .

جابت المظاهرة شوارع القدس الرئيسية ، والجماهير الثائرة تهتف ضد السياسة البريطانية . ووعد بلفور ، والهجرة اليهودية .. كما هتفوا بحياة فلسطين وعروبتها . واستقلالها . وتدخل الجند البريطاني ضد المتظاهرين . واستعمل القوة ضدهم ، فجرح ٣٥ عربياً ، ونفر من رجال الأمن .

ولقد كان لتلك المسيرة الشعبية معنى كبير ، لأن جماهير الشعب لم تتعود أن ترى زعماء البلاد وصفوة رجالها وهم يسيرون في المظاهرات «وكان لاشتراك الزعماء والعلماء معنى قوي اكسبها تلك المهابة والرهبة»[٥] .

- **وداعاً ايها الشيخ :**

اجتمع رؤساء الأحزاب الوطنية الفلسطينية وكبار العلماء والشخصيات وأعضاء اللجنة التنفيذية في بيت الشيخ الجليل ، وتدارسوا شؤون الوطن ، وما يتعرض له من مؤامرات ومخاطر . واتفقوا على القيام بمظاهرة في يافا يوم الجمعة بتاريخ ٢٧ اكتوبر (تشرين أول) سنة ١٩٣٣م ، وبدون اذن حكومي ..

ويأبى الزعيم الشيخ أن يريح جسمه ، ويركن للدعة في بيته بالقدس ، واتجه إلى يافا ليكون في مقدمة المتظاهرين له ما لهم وعليه ما عليهم . وكان عبد القادر قد سبق اباه إلى يافا . كما اتجه اليها آلاف الناس قادمين من القدس والخليل وحيفا وغزة وكل انحاء فلسطين . وأمام الجامع الكبير في المدينة وقع الصدام المرتقب بين المتظاهرين وبعض القطاعات العسكرية البريطانية من البوليس والجيش المدعمة بالمدرعات والخيالة . وسقط أبرياء كثيرون .. اثنان وثلاثون شهيداً ، و ١٦٧ جريحاً .

---

(٥) فلسطين وجهاد الفلسطينيين – محمد عزة دروزه .

وأصيب الشيخ الهرم بهراوات قاسية على أنحاء متفرقة من جسمه النحيل ، سقط على اثرها مغمى عليه ، وذراعه تحتضن احد المواطنين الذي اصيب برصاصة اصابت منه مقتلاً «وبالله أقسم لقد شاهدت بعيني الشعب الاعزل يترامى على الشيخ ليحميه من النيران ، وشاهدت الشيخ يدفع عنه الشعب ليتلقى عنهم الرصاص ، وخرج الشيخ من المعركة وقد صبغت ثيابه بدماء ابنائه الذين استشهدوا في الدفاع عنه .. ولم تطل الأيام به فلقد تهدم الشيخ فيما رأى»[٦] .

أجل .. لم تطل الأيام به .. فعادت النفس المطمئنة إلى ربها راضية مرضية ، عشية يوم الجمعة ٢٦ من مارس (آذار) سنة ١٩٣٤م .

ومن غريب المصادفات ان يناسب ذلك اليوم ليلة عيد الأضحى المبارك ، وكأنما شاء الشيخ المهيب ان يدعم تضحيته في عيد التضحية والفداء ، وبموته خسرت الحركة الوطنية قائدها وزعيمها ، وبموته كذلك خسر عرب فلسطين علماً شامخاً من اعلام جهادهم ، وركنا عظيماً من أركان نضالهم .

ولقد احدثت وفاته ثغرة واسعة في صفوف اللجنة التنفيذية ، ولم يتفق اعضاؤها على اختيار رئيس جديد لهم نتيجة للمناحرات الجزبية العقيمة التي كان يغذيها الاستعمار البريطاني لتصديع الجبهة الوطنية في البلاد .

---

(٦) يوسف حنا – جريدة المصري ١١ إبريل (نيسان) ١٩٤٨م .

الفصل الثاني

- نشأته العلمية :

منذ نعومة أظفاره تتلمذ الصبي عبد القادر في منتدى والده الشيخ ، فوعى الأبجدية الوطنية قبيل وعيه الأبجدية اللغوية .

أنهى دراسته الأولية في مدرسة «روضة المعارف الابتدائية» بالقدس ، والتحق بعدها بمدرسة «صهيون» . وأثناء هذه الفترة عكف على قراءة كتب التاريخ ، وسير الأبطال والفاتحين .

وما زال الفتى يتدرج على عتبات الشباب ، مدركاً ما يدور حوله من الأحداث التي وعتها بصيرته .. فكانت سبباً في صقل مفهومه لمعنى التضحية والكفاح . مرّت السنون سراعاً ، ونال عبد القادر شهادة الثانوية العامة (المترك) ، وكانت هذه الشهادة شيئاً كبيراً في ذلك الوقت ! ! فلم يقف عندها ، بل ازمع مواصلة التعليم الجامعي ، فلقد وعى قيمة التعليم ، واعتبره سلاحاً حاداً من أسلحة النضال ضد المستعمر الجاثم على صدر وطنه ، المتحكم في زمام امته . وقبيل رحيله إلى الجامعة الامريكية بمصر قال له والده مودعاً على بركة الله يا بني ، وكن حريصاً على كرامة دينك وعزة وطنك ، والله يرعاك حيثما تكون ، واينما تقيم ، وقبله قبلات الوداع ، واعطاه شيئاً في يده ، وقال له : ليكن هذا دستورك في الحياة يا بني . ونظر عبد القادر لما في يده . فإذا هو «القرآن الكريم» فقبّله ووضعه في سترته . ويمم وجهه صوب القاهرة ، فافتتحت فيها صفحة جديدة في كتاب حياته .

٢ - في رحاب الجامعة :

انتظم الطالب عبد القادر موسى الحسيني بكلية العلوم في الجامعة الامريكية في

العام الدراسي ١٩٢٧ – ١٩٢٨ ، وانكب على دراسته في شغف ونشاط .. وما برح يرتقي سلم النجاح سنة فسنة .

وفي القاهرة –كعبة العلم والوطنية– التقى بالعديد من الشباب العرب .. وتوثقت صلته بهم ، وتحول بيته إلى ناد نضالي ، تناقش فيه مختلف القضايا القومية والدينية .

وكانت مصر وقتئذ في قمة حركتها الاستقلالية . فاهتبلها عبد القادر فرصة سانحة لإشباع رغبته في الكفاح والنضال ، فلم تتقد شعلة وطنية في مصر إلا وشارك فيها : مظاهرات ، محاضرات ، ندوات ... الخ وكان دائم التردد على «بيت الأمة» والاتصال بأعضاء ومؤيدي حزب «الوفد» ، ويكتسب كل مناسبة للتحدث عن قضية وطنه من خلال ذاته تارة ، ومن خلال (رابطة الطلبة الشرقيين) تارات أخرى ..

وقد عرفنا من ضمن رفاقه الفلسطينيين في تلك الآونة : رشاد الشوا ، وشفيق طرزي (غزة) –كمال حنون وصلاح حنون (طولكرم)– محمد رفيق اللبابيدي (عكا) – محيي الدين قطينة (صفد)– عبد اللطيف الحسيني (القدس).

وعن شخصية عبد القادر حدثنا رفيقه الاستاذ محمد رفيق اللبابيدي فقال :[1] «روحه مراحة ساعة المرح ، عنيفة صاخبة في الحق ، يشعر انه جندي مستنفر من جنود الوطن ، وحياته حياة ايثار مع زملائه ، لشخصيته نكهة محببة متواضعة ، زاهد في مظهره ومطعمه ، شريف عفيف في مسلكه ، وإضافة إلى كل هذا فلم تكن عنده نزعة اعتداد بالأصل مع أن والده كان زعيم فلسطين برمتها ، ولم أذكر يوماً ان ذكره بوصف الزعامة . ونتيجة لكل ذلك لم يكن من الصعب أن يدرك المرء بأن وراء كل هذه الصفات شخصية عظيمة تنبئك عن عبقرية خفية».

هذا ما انطبع في أذهان رفاقه ، فماذا تقول عنه ادارة الجامعة ؟ تصدر عن الجامعة الأمريكية بالقاهرة جريدة خاصة نصف شهرية ، تتناول فيها أخبار الجامعة وشؤونها المختلفة ، وضمن أحد اعدادها نشرت تحقيقاً عن الطلبة الذين سيتخرجون في نهاية العام الدراسي ، ونبذة مختصرة (بالانجليزية) عن شخصية كل طالب ، فنشرت صورة عبد القادر وهو يرتدي الزي الجامعي وإلى جانبها هذه الأسطر : «عبد القادر الحسيني – بكالوريوس علوم (B.A) – القدس : فلسطين ..

---

(١) مقابلة شخصية بتاريخ ١٩٦٨/٢/٦م بمنزله بمصر الجديدة .

كان عبد القادر أثناء السنوات التي قضاها في الجامعة الأمريكية موضع اعجاب رفاقه لما امتاز به من روح التعاون ، ولم يكن يتدخل في شؤون غيره على انه كان أبداً على استعداد لمساعدة أي واحد إذا طلب منه العون» وهو يفعل هذا بشغف وعناية ، وقد كان أهم ما يستهويه من الدروس «الرياضيات والدين» . كما كان حبه للمناقشات الحيّة سبباً لكسب الشهرة بين الطلبة»[٢]

٣ – شهامة وجرأة :

أثناء سنوات دراسته التي قضاها في الجامعة ، استطاع عبد القادر ان يكشف الدور المريب الذي تقوم به الجامعة الأمريكية في مصر ، ذلك الدور المقنع بالعلم والمعرفة والذي يحمل وراءه بعض أوبئة الاستعمار الخبيثة .

ولم يعلن عن احاسيسه بصورة علنية أثناء فترة الدراسة لكونه طالباً ، كما أن تلك الأحاسيس لم تتبلور عنده إلا في أواخر سني هذه الدراسة .

لكن بعض زملائه على مقاعد الدرس كانوا يدركون ما يدور في ذهنه أثناء نقاشاته مع اساتذته الأمريكيين بالجامعة «كما كان حبه للمناقشات الحية سبباً لكسب الشهرة بين الطلبة» .

ايقن الشاب في قرارة نفسه ان الصامت عن الحق شيطان اخرس كما يقولون إذن لا بدّ من كشف عورة الجامعة أمام الرأي العام في مصر . فانتظر حلول نهاية العام الدراسي ، حين اقامت الجامعة حفلها السنوي التقليدي لتوزيع الشهادات على الخريجين من كافة الكليات التابعة لها ، وبحضور جمهور كبير من المدعُوين ، ومن ضمنهم بعض الوزراء والعلماء «والباشوات» ! ونودي على الخريج عبد القادر موسى الحسيني ليتسلم شهادة البكالوريوس في العلوم ، فصعد إلى منصة الاحتفال بالقاعة الرئيسية للجامعة ، وبعد أن تسلم الشهادة من رئيس الجامعة اتجه إلى الحاضرين وقال لهم بأن لديه كلمة هامة يريد أن يقولها لهم وهي أن الجامعة تظهر أمام الناس بمظهر المعهد العلمي ، ولكنها في الحقيقة بؤرة افساد للعقائد الدينية ، وهي تطعن في الدين الإسلامي وتشوه الدين المسيحي ، ولذلك فهو ينبه الاخوان المصريين – مسلمين وأقباط – لكي لا يبقوا أولادهم فيها .. وعلى الحكومة المصرية أن تتنبه لهذا الموضوع أيضاً لكي لا تحدث فتنة طائفية بين أبناء الوطن الواحد .

---

(٢) نظرات الشورى – محمد علي الطاهر ص ٨١ سنة ١٩٣٢ ، القاهرة .

٤ – أثر الحادث :

اضطربت الجامعة الأمريكية لهذا الحادث اضطراباً هزّ اركانها وعقد سدنتها اجتماعاً طارئاً في نفس ليلة الحادث ، وقررت سحب الشهادة من الطالب «المشاغب» ، واتصلت ببعض الصحف وسألتهم التعتيم على أخبار الحادث (حفاظاً على سمعة الجامعة) . وحاولت إرشاءهم ، كما سلطت بعض الطلبة للطعن في شخصية عبد القادر واتهامه بالخبل لدى بعض ادارات الصحف ، لكن الصحف في اليوم التالي غطت أنباء الحادث ، ومنها من اشادت بموقفه الجريء. ومنها من وبخت الطلبة الذين قصدوها للطعن فيه ، كما حدث مع إدارة جريدة «البلاغ» .

٥ – بيان مفصّل :

بعد ذلك الحادث بعدة أيام نشر السيد عبد القادر الحسيني على الصحف البيان التالي[٣] : « تدعي الجامعة الأمريكية في القاهرة انها علمية محضة ، وليس لها أدنى علاقة بالتبشير ، وهي تتبرأ مما حصل في «المعادي»[٤] حيث يسكن اساتذتها المبشرون وفيهم من أرسل خصيصاً على حساب أحد المثريين الكبار للتبشير. وادعاء الجامعة انها علمية ليس صحيحاً ، واليك حجتي وأدلتي الواضحة :

من هو رئيس الجامعة ؟ .

رئيس الجامعة هو الدكتور «شارلز وطسون» مبشر ، ووالده مبشر ، وأمه مبشرة ، فهو من سلالة مبشرين ، واني استشهد على ذلك بكتابه المسمى «حروب صليبية مسيحية في مصر» ويعني بهذه الحروب الحملة التبشيرية . وقد قال في مقدمة ذلك الكتاب «أهديه لأمي وأبي اللذين قضيا حياتهما مبشرين في مصر» . فأنت ترى أن رئيس الجامعة الأمريكية يكتب كتاباً ويسميه «حروب صليبية مسيحية في مصر» يوجه فيه الدعوة إلى أهل الخير والإحسان ليردوا الانتصار الباهر لأعمال التبشير في مصر ، كما أنه يوجه إلى المبشرين كلمة مؤداها أنهم هم الذين سوف يتم تنصير مصر بأكملها على أيديهم وبذلك يتوجون رؤوسهم بأكاليل الظفر والفخار جزاءً لهم على جهادهم المقدس .

أو تدري ماذا يقول هذا المبشر أيضاً في كتابه المشار اليه ؟ انه يقول : «ان

---

(٣) المصدر السابق .

(٤) ضاحية من ضواحي القاهرة .

للمسلمين طقسا دينياً هو أساس الإسلام . وهذا الطقس هو «الحج» يجب على كل مقتدر ان يؤديه ، وهو عبارة عن الذهاب إلى الكعبة حيث تقام طقوس دينية مخزية ! ! ! وهذا المكان «الكعبة» قلب العالم الإسلامي ، وكر لصوص ، تؤتى به جميع أنواع المخازي الأخلاقية «كذا» ولكنه يجعل بين المسلمين رابطة متينة يخاف منها» .

وبعد ، فهذا هو رئيس الجامعة الأمريكية الدكتور «شارلز وطسون» كما تراه في كتاب واحد من كتبه ، والآن اليك غير هذا الرجل من أقطاب الجامعة .

هناك قسم في الجامعة الأمريكية يسمونه «مدرسة اللغات الشرقية» يؤمه الأجانب ويرأسه الدكتور (جوفري) وهو رجل لاهوتي . وهذا القسم «مدرسة اللغات الشرقية» إن هو الا معهد لتدريب المبشرين وتعليمهم اللغة العربية ، وكيفية مهاجمة الإسلام مهاجمة علمية فنية ! ! ومن يزر مكتبة الجامعة الأمريكية ويرى الكتب التي نقلت من هذا القسم إليها يحقق صدق قولي .

وهذه الكتب تؤلف الآن قسماً كبيراً من المكتبة وكلها تبشيرية ، بعضها يبحث الحركات التبشيرية وتاريخها ونجاحها وأعمالها في الشرقين الأقصى والأدنى ، وبعضها يبحث في كيفية التنصير والبعض الآخر وهو اكثرها يحتوي على شتائم في الإسلام والمسلمين .

والدكتور (جوفري) رئيس هذا القسم هو «مبشر الجامعة الأكبر» ويليه المستر «مولر» وكلاهما قاطن بالمعادي حيث المبشر «بطرس عيان» صديقهم الأعز وبطل الحادثة المشهورة .

والدكتور «جوفري» يصلي بطلبة الجامعة أيام الأحاد ، وهم مجبرون على الاستماع لطعنه في الإسلام والمسلمين ونبيهم بل في المذاهب المسيحية التي لا تتفق مع مذهبه . وأذكر انه قال يوماً في إحدى عظاته وعنوانها «النبي الكاذب» أن محمداً لا يمكن أن يكون نبياً لأن مستوى اخلاقه كالرجل العادي (كذا) إذ اباح لنفسه ان يتزوج من عدة نساء (كذا) ، كما اختص نفسه بأثمن اسلاب الحرب فهو رجل شهواني «كذا» ! !

وفي وعظة أخرى القاها هذه السنة اتانا ببراهين واهية ليقنعنا بأن القرآن ليس

من كلام الله ، كما انه ليس كله من كلام محمد لأنه أدخل عليه كثير من الآيات التي ثبت علمياً انها لا يمكن أن تكون من روح محمد !!!

هذا عدا ما يلقونه من الدروس اليومية التي يسمونها علم الأخلاق وفلسفة الديانات وعلم النفس وعلم الاجتماع من الافتراءات والشتائم مما لا يتلفظ به مسيحي لأن الدين المسيحي نفسه دين سماحة ولطف .

أما ما يفعله هؤلاء فتحامل وشتائم وسباب وبث كراهية واشعال حروب . فالإسلام في رأيهم دين وحشي بربري يحض على القتال والسلب والنهب ، ولن يرتقى الشرق ويسعد حالاً إلا إذا تخلص من هذا الدين ، والكثلكة لديهم عبادة أوثان وخرافات وأساطير مضرة مخلة بالآداب ... الخ .

اكتفي بهذا القدر الآن مشيراً إلى أن هذه الحركة التي تقوم بها الجامعة الأمريكية غير محمودة بل هي تخلق روحاً سيئة في البلاد ، فالواجب على كل وطني مسلماً كان أم مسيحياً ان يحارب هذه الفكرة ليعيش المسلمون والمسيحيون أهل هذا البلد وغيره من الأقطار هانئين آمنين» .

عبد القادر الحسيني
خريج الجامعة الامريكية بمصر

٦ – صدى الحادث :

وعلى أثر هذا الحادث أصدرت الحكومة المصرية – في عهد اسماعيل صدقي – أوامرها بإخراج عبد القادر من مصر وترحيله إلى فلسطين كإجراء احترازي[٥] .

---

(٥) د . خيرية قاسمية – شؤون فلسطينية العدد ٢٠ نيسان (ابريل) ١٩٧٣م .

الباب الثاني

في معترك الحياة

في مطلع عام ١٩٣٣ وبعد أن أنهى دراسته الجامعية قفل عبد القادر راجعاً إلى فلسطين ، وكان اصدقاؤه بالقدس قد علموا بموقفه الجريء في الجامعة الأمريكية فاستقبلوه بالتقدير والإعجاب الشديدين .

وتلقفته السلطات البريطانية حين وصوله ، ووضعت بين يديه عدة وظائف رفيعة المستوى وعليه انتقاء ما يلائمه منها . محاولة بذلك أن تضمه تحت جناحها ، ولكن أنّى لهذا الشاب الواعي أن يوقع نفسه في هذا الشرك مهما ازداد بريق المال ورفعة الجاه . فآثر العمل في مجال أكثر رحابة يستطيع به ومن خلاله أن يعبر عن آرائه ، ويغذي الشبيبة الفلسطينية بثمرات علمه وثقافته ، فالتحق بسلك الصحافة محرراً في جريدة «الجامعة الإسلامية»[1] ، وكان الاتجاه الوطني الذي نهجته الجريدة من أهم العوامل التي دفعته للعمل بها ، والمشاركة في تحريرها . ومن ناحية أخرى رأى عبد القادر أن يدعم نشاطاته الوطنية بانضمامه إلى «الحزب العربي الفلسطيني»[2] بالقدس ، وهو يوم ذاك من أكثر الأحزاب السياسية اعتدالاً في منهجه ، وقد تولى فيما بعد منصب السكرتير في هذا الحزب .

---

(١) كان يرأس تحريرها الاستاذ/سليمان الفاروقي .

(٢) كان يرأسه السيد/جمال الحسيني .

وبتاريخ ٢٥ – ٥ – ١٩٣٥م اقترن بالزواج من ابنة عمه السيدة/وجيهة الحسيني التي قاسمته اعباء النضال سنين عديدة.. وأنجبت منه فيما بعد: هيفاء (القدس: ١٩٣٦) – موسى (دمشق: ١٩٣٨) – فيصل (بغداد: ١٩٤٠) غازي (بغداد: ١٩٤١).

لقد بدأت نشاطات عبد القادر الوطنية تبرز في الأفق الفلسطيني، مما أثار عليه حفيظة سلطات الانتداب البريطاني، فأعادت عليه عرضها لشغل وظيفة «مأمور لتسوية الأراضي» بهدف اشغاله في شؤون الأرض والزراعة وإبعاده عن مجال السياسة!

وتدبر الأمر بروية وحكمة، وأخيراً ارتضى هذه الوظيفة بعد أن ايقن بأهميتها، بل اغتبط بها ورضي عنها.. لأنه يستطيع تحت ستارها أن يتصل بإخوانه المواطنين في القرى الفلسطينية المختلفة، الذين يمثلون القاعدة الارتكازية للثورة. فتعرف عليهم، وانتقى منهم خيرهم فاستقطبهم، وشكل منهم خلايا سرية، وبث فيهم روح الحمية والجهاد وجمع الأموال من موسريهم، واشترى أسلحة ومعدات، وتم تخزينها في أماكن أمينة، وتدرب بعض الشباب على استعمالها.

وقد شاركت عبد القادر في هذه الجهود الصادقة مفرزة من العاملين الشرفاء منهم: صالح الريماوي – نافذ الحسيني – أحمد حسين الغول – إميل الغوري – علي الحسيني.

أما التنظيم السري فمن أعضائه: علي محيي الدين الحسيني – محمود العكرماوي – جمال أبو السعود – منير عرفة – جول دانيل – مصباح حجازي – محمد علي التايه – عاهد الريماوي – نجيب ترزي – جميل الفارس – وفهمي العبد الله وغيرهم[٣].

كذلك استطاع – من خلال عمله – ان يتعرف على كافة التضاريس الجغرافية الميدانية لفلسطين، والتي هيأت له فرص النجاح للعمليات الحربية التي تولى قيادتها ضد التهويد:

لقد كانت سياسة بريطانيا آنذاك العمل على تهويد فلسطين، ومن أجل ذلك

---

(٣) اظهار حقائق وتفنيد أباطيل – اميل الغوري ١٩٧٤م عمان.

عمدت لتنفيذ وسائل عديدة كان من أهمها الاستيلاء على الاراضي الفلسطينية وخاصة غير المنزرعة منها بحجة انها أراضٍ (مير) تابعة لإدارة المندوب السامي .

ولقد كشف عبد القادر هذا الاسلوب الإجرامي – ومن خلال وظيفته – عمل على احباطه قدر طاقته .

علم ذات يوم بأن الانجليز ينوون مصادرة قطعة أرض معينة باحدى القرى بحجة خلوها من المزروعات . وهذا يعني في نظرهم أن ليس لها أصحاب . فحددوا يوماً معيناً لتنفيذ مأربهم .

فاتصل عبد القادر سرّاً بمختار تلك القرية وبأعضاء المجلس القروي فيها ، وأطلعهم على الخطة الانجليزية التي ستنفذ بعد يومين ، الأمر الذي دفع الأهالي للتوجه ليلاً إلى قطعة الأرض وقاموا بغرسها كاملة .

وفي الضحى جاء بعض المسؤولين الانجليز لتغيير شهادة ميلاد قطعة الأرض حسب العملية المرسومة ، ولكنهم سرعان ما فوجئوا بأن الأرض مغروسة زيتوناً . فهالهم ما رأوا . وارتحلوا على أعقابهم وهم يلوكون مرارة الخيبة

بمثل هذه الطريقة ، وبسواها من الطرق دافع عبد القادر عن حرمة الأرض والوطن .

ومن ناحية أخرى تمادت بريطانيا في معاداتها للعرب ، واستفحل الخطر اليهودي على فلسطين ، وتنادى الشعب الفلسطيني بضرورة مواجهة المخططات الاستعمارية بصورة فعلية وعلنية ، وحتى يتفرغ عبد القادر لهذه المهمة الشاقة استقال من وظيفته الحكومية . ووهب الثورة جهده وشبابه .

منظمة الجهاد المقدس :

اتصل سماحة الحاج محمد أمين الحسيني بكافة التنظيمات السرية الفلسطينية وطلب منهم ضرورة توحيد صفوفهم ، وتنظيم شؤونهم النضالية في منظمة واحدة حتى يمكن مواجهة المستعمر بصورة أكثر دقة وشمولاً ، وبالفعل استجابت أغلب تلك التنظيمات لهذه الدعوة ، وتشكلت «منظمة الجهاد المقدس» واختير عبد القادر الحسيني لقيادة هذه المنظمة .

وعندما تشكلت اللجنة العربية العليا لفلسطين سنة ١٩٣٦ (كما سيأتي) عملت هذه اللجنة على دعم «منظمة الجهاد المقدس» ومساندتها ، تأهباً ليوم المواجهة المنتظرة .

- ثورة ١٩٣٦ :

اشتعل لهيب هذه الثورة العارمة في شهر ابريل (نيسان) سنة ١٩٣٦م واستمر حتى شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٣٩م ، وخلالها أعلن عرب فلسطين العصيان المسلح على الامبراطورية البريطانية ، وقاموا بأضخم إضراب شهدته المنطقة العربية في تاريخها ، ذلك الإضراب الشامل الذي استمر ستة أشهر كاملة ولم ينهه عرب فلسطين إلا بعد استجابتهم لنداء ملوك ورؤساء الدول العربية الذين ناشدوهم فيه «للإخلاد إلى السكينة ، حقناً للدماء ، معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ، ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل ، وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم»[٤] .

وفي بداية تلك الثورة أخذت الحكومة البريطانية تشدد قبضتها على الشبان العرب الذين حطموا قيود الوصاية الاستعمارية ، وتمردوا على بريطانيا «العظمى» فأخذت تطاردهم ، وتزج بالعديد منهم في غياهب معتقلاتها ، وتعدم من ترى ضرورة اعدامه منهم .

وبتاريخ ٢٥ من مايو (أيار) سنة ١٩٣٦م هاجم جندها مكتب الحزب العربي الفلسطيني في القدس . لاعتقال عبد القادر ورفاقه في الحزب ، لكنهم لم يعثروا على أحد منهم ، وكان عبد القادر قد علم مقدماً بنية مهاجمة المكتب فأخبر رفاقه بذلك ، فلجأ إلى إحدى القرى . وغاب عن الأعين فترة من الزمن .

وفجأة ظهر في إحدى المناطق الجبلية وأعلن من عرينه هناك قيام الثورة المسلحة باسم جيش الجهاد المقدس وبدأت فصائل منه في مهاجمة القوات الانجليزية وتجمعات العصابات الصهيونية ، والاغارة على المعسكرات والقوافل .

وكان عبد القادر في هذه الأثناء وثيق الصلة بالمجاهد العربي السوري سعيد العاص . وخاضا معاً عدة معارك ظافرة ، من بينها معركة «القبو» ومعركة «الخضر» .

- معركة الخضر :

أولى المعارك الساخنة التي شارك في تسطيرها عبد القادر الحسيني . حدثت في الرابع من اكتوبر «تشرين أول» سنة ١٩٣٦م عندما شنت القوات الانجليزية هجوماً شاملاً على جبال قرية الخضر – قضاء بيت لحم – والتي تتمركز بها بعض فصائل الجهاد المقدس . والتقى الطرفان على أطراف قرية الخضر ، ونشب قتال ضار بينهما

---

(٤) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ص ١٨٦ .

امتد لعدة ساعات ، بينما أخذت الطائرات تقصف مواقع الثوار بعنف وضراوة ، وصمد الثوار أمام قوات تفوقهم عدة وعتاداً ، ولكن في نهاية الأمر احدق الانجليز بالمجاهدين واستطاعوا التغلب على مقاومتهم . وقد استشهد في هذه المعركة القائد العربي السوري سعيد العاص ، بينما اصيب عبد القادر بعدة جروح في أماكن متفرقة من جسمه سقط على أثرها وهو ينزف دماً «فانقض عليه أحد الجنود البريطانيين ليجهز عليه بحربته . فصاح عبد القادر منذراً متوعداً ، فانتهره أحد رفاقه قائلاً : ويحك كيف تريد قتله وقد رأيت شجاعته وبطولته ؟ وتقدم الجندي البريطاني الآخر من عبد القادر وحمله إلى المستشفى حيث أنقذ من الموت»[٥] .

- الهروب من المستشفى :

سيق عبد القادر مكبلاً إلى المستشفى العسكري بالقدس ومكث فيه فترة من الزمن تحت الحراسة والعلاج ، وكانت السلطات البريطانية تنتظر شفاءه ثم تقدمه إلى المحاكمة . ولكن لم يتسن لهم تحقيق مأربهم . فعندما تحسنت صحته بدرجة معقولة استطاع زملاؤه أن ينفذوا خطتهم الجريئة للفرار به من المستشفى العسكري فأخرجوه سرّاً ونقلوه إلى دمشق حيث استكمل فترة علاجه بالقرب من اسرته .

- جهاد وعناد :

لقد أبرزت معركة الخضر اسم عبد القادر ضمن قائمة المقاتلين الشرفاء الذين نذروا شبابهم لبلادهم ، وقد كان ترصعه بذلك الوسام الذي ناله في معركة الخضر أكبر دليل على شهامته ومروءته .

ومن جانب آخر بدأت صحة البطل تتدرج في تحسنها رويداً رويداً ، وخلال فترة النقاهة التي قضاها في دمشق عمل على إعادة تقييم المعركة ، والترتيب لمواصلة النضال ، فبدأ في شراء السلاح وإرساله إلى القيادات المحلية في فلسطين لتتولى بدورها توزيعه على المجاهدين ، وقد شجعه على ذلك يقينه الثابت بغدر بريطانيا برغم ذلك النداء العاطفي الذي وجهه المسؤولون العرب لوقف الإضراب .

وفي تلك الآونة أصدرت لجنة التحقيق الملكية البريطانية تقريرها في

(٥) قدري قلعجي - مجلة العربي ابريل (نيسان) سنة ١٩٦١م .

صيف ١٩٣٧م وأوصت فيه بتقسيم فلسطين ، وساعتها اضطربت خواطر العرب واعلنوا استنكارهم واستياءهم للموقف البريطاني المحبذ لهذه التوصية .

ووقعت اصطدامات عنيفة مع القوات الانجليزية والعصابات الصهيونية ، وحاولت بريطانيا امتصاص نقمة الشعب الفلسطيني بالطرق الديبلوماسية .. ولكن الشعب الذي عقرته هذه الديبلوماسية مرات عديدة لن يأمن لها أبداً ،واستمر الغليان الجماهيري في عنفوانه ، فقابلته السلطات الاستعمارية بالمزيد من اجراءاتها التعسفية فتعقبت خطوات الثوار ، واعتقلت العديد من أعضاء اللجان القومية في عدة مناطق من فلسطين ، كما قامت تلك السلطات بحملات ارهابية بحثاً عن السلاح .. وبلغت غضبة الشعب ذروتها حينما تصدى بعض الفدائيين العرب لموكب السفاح البريطاني (أندروز) حاكم اللواء الشمالي وقتلوه ، وبلغت حماقة الانجليز شأواً كبيراً حين اتهمت اللجنة العربية العليا لفلسطين بتدبير عملية الاغتيال ، فأصدرت قراراً بحل تلك اللجنة واعتقلت بعض أعضائها ونفتهم إلى جزيرة «سيشل» كما حلّت المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى وحرمت رئيسه سماحة الحاج محمد أمين الحسيني من مركزه هذا ، وشكلت لجنة أخرى بديلة عنه يرأسها مسؤول بريطاني كبير .

- عودة البطل :

لم يهنأ عبد القادر - والظروف هذه - في اقامته بدمشق بسبب بعده عن أرضية الثورة ،فصمم على العودة بعد أن تدارس الوضع مع عدد من اخوانه المجاهدين فتسلل سراً إلى فلسطين ، ووصل إلى مقر قيادته في بلدة بئر زيت مع بعض رفاقه ومن هناك اعلن عن استمرارية الثورة مجدداً .

وكانت باكورة أعماله في هذه المرحلة مهاجمة مستعمرة (فيجان) اليهودية الواقعة جنوبي مدينة القدس ، واتجه إليها في أوائل شهر مايو (ايار) سنة ١٩٣٨م وبرفقته أكثر من ثمانين مجاهداً ، فضربوا حولها حصاراً واسعاً ، وانقضوا عليها ليلاً في غارة خاطفة ، وتمكنوا من قتل بعض أفراد البوليس اليهودي ، ومجموعة من غلاة اليهود وحراس المستعمرة ، وفي النهاية انسحبوا بنجاح دون أن تقع بينهم أية خسائر تذكر .

وفي الليلة العشرين من ذات الشهر قامت قوات بريطانية كبيرة بتطويق بعض القرى العربية . وكان جهاز الرصد التابع للجهاد المقدس قد علم بنبأ هذا التطويق

فكمن عبد القادر مع رجاله الأبطال في سفح جبل وعر كان لا بد لقوات العدو ان تجتازه في طريق عودتها ، وبالفعل عندما مرّت تلك القوات امطرها المجاهدون بنيرانهم وقنابلهم اليدوية ، وفوجئ الانجليز بهذا الهجوم المباغت ، فخسروا خمسة وثلاثين قتيلاً وعشرات الجرحى .. وغنم المجاهدون كثيراً من الأسلحة والذخائر . وقد استشهد ستة منهم .

وواصل الثوار هجماتهم الانتقامية .. فهاجموا مستعمرة «رامات راحيل» وغيرها من المستعمرات اليهودية .

فتنة طائفية :

قطعت الثورة الفلسطينية شوطاً طويلاً في مسيرتها النضالية ، ولم تكن الثورة لتقطع هذا الشوط بمفردها لولا التفاف الجماهير الفلسطينية من حولها ودعمها وحمايتها. وهذا التأييد المطلق للثورة كان السبب الرئيسي وراء تلك الفتنة الطائفية الدنيئة التي عمل الانجليز على اثارتها بالبلاد بهدف تقويض الثورة من الداخل ، حينما يقتتل المسلمون والمسيحيون فيما بينهم ، فتأكل الثورة نفسها بنفسها .

واستطاعت الاستخبارات العسكرية الانجليزية شراء عدد من الضمائر والذمم المريضة ، لاذكاء نار الفتنة بين أبناء هاتين الطائفتين المتحابتين أبداً «وكلفوهم الفتك بالمسيحيين الفلسطينيين ومهاجمة قراهم ونهب أموالهم ، وذلك في المنطقة الوسطى من فلسطين ، كما سلحوا عصابة كبيرة جداً من مائة مسلح في المنطقة الجنوبية من فلسطين لهذه الغاية ، وجعلوا عليها أحد المجرمين المحكومين بالسجن المؤبد بعد أن سهلوا له سبيل الفرار من السجن ، وكانت مهمته مهاجمة المدن والقرى المسيحية في منطقة القدس كالطيبة وبير زيت ورام الله وبيت لحم وبيت جالا»[٦] .

وعندما تنبهت اللجنة العربية العليا لهذا الغرض الخبيث كلفت قائد الجهاد المقدس بالقضاء على هذه الفتنة الخطيرة وتعقب منفذيها ، وبالفعل رسم خطة محكمة وجهز مئات المجاهدين ، وفي خلال مدة وجيزة أجهز على هؤلاء المجرمين ، وتم القاء القبض على الكثيرين منهم ، ومثلوا أمام «محكمة الجهاد» . ويبدو ان العقاب العادل الذي اصدرته المحكمة على المدانين قد انعكس صداه على نفوس المعارضين

---

(٦) نشرة فلسطين العدد ٢٦ أول نيسان (ابريل) سنة ١٩٦٣م .

للخط السياسي لعبد القادر ، فأسقطوا عليه وابلاً من شتائمهم وتقريعاتهم وانتقاداتهم غير البناءة ، ولكن ذلك لم ينل من شخصيته .

- **معركة بني نعيم الكبرى :**

بعد أن نجح عبد القادر في القضاء على الفتنة الدينية ، عاود الاغارة على المعسكرات البريطانية والمستعمرات اليهودية ، واستطاع الثوار الفلسطينيون أن يحققوا انتصارات رائعة على الاعداء «وتمكن المجاهدون من احتلال عدة مدن وطرد الانكليز منها ، ورفع العلم العربي عليها ، كان منها القدس القديمة ، وبيت لحم والخليل واريحا ورام الله وبئر السبع وعشرات القرى»[٧] .

ولقد أثارت هذه الانتصارات موجدة الانجليز ، فقاموا في خريف سنة ١٩٣٨ بضرب حصار واسع النطاق حول منطقة «بني نعيم» بين بيت لحم والخليل ، هدفهم في ذلك ضرب معاقل الثوار ، والقضاء على مقاومتهم ، وحيث كان عبد القادر ينظم القوات في تلك المنطقة ، وقدر أحد المجاهدين المؤرخين عدد القوات البريطانية المهاجمة بخمسة الاف جندي[٨] مدعومة بالطائرات وبالآليات المدرعة .

فأمر عبد القادر قواته بالانتشار لايهام العدو بأن الثوار كثيرون ، غير أن الطائرات المعادية قد استدلت على أماكن تواجدهم ، فأخذت تقصفهم بنيرانها ، في الوقت الذي زحفت فيه القوات البرية على الجبال ، ونشبت معركة حامية بين الطرفين غير المتكافئين .. ورغم ذلك استبسل المجاهدون ايما استبسال ، وعندما شعروا بالخطر الخطير يحدق بهم طلبوا النجدة من القرى المجاورة فتوجه اليهم البطل عبدالحليم الجولاني الشهير « بالشلف »مع مائة من اخوانه المجاهدين ، وتجدد القتال .. وقويت شوكة العرب .. واستمرت المعارك أكثر من عشر ساعات .. لكن الطائرات التي يمتلكها العدو ويفتقر إليها الثوار كان لها أعظم الأثر في السيطرة على ميدان المعركة ، وبالرغم ان الثوار قد قتلوا كثيراً من أفراد الجيش البريطاني وتمكنوا من اسقاط ثلاث من طائراته إلا أن خسارة العرب كانت كبيرة ، حيث استشهد عشرات المجاهدين ، ومن بينهم المهندس الشهيد علي الحسيني ابن عم القائد ، وجرح عبد القادر نفسه جراحاً بليغة .. وقد ظن الانجليز والثوار معاً بأنه قد استشهد ، وفي صبيحة اليوم التالي

---

(٧) المرجع السابق ص ٢٩ .

(٨) صبحي ياسين – الثورة العربية الكبرى في فلسطين .

خرج أهل القرى للبحث عن جثث الشهداء .. وبينما هم كذلك إذا بهم يسمعون انيناً خافتاً ينبعث من بين الأموات .. ففوجئوا بعبد القادر وبه رمق من حياة .. « ونقله رفاقه إلى المستشفى الإنجليزي في الخليل ، وارغموا طبيب المستشفى على معالجته ، بعد أن قطعوا كل اتصال بين المستشفى والخارج ، وعندما التأم جرحه نقله الرفاق حتى الحدود السورية »[٩] .

- تجميد الثورة والرحيل إلى العراق :

توقفت الثورة العربية في فلسطين على أثر اندلاع الحرب العالمية الثانية في سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٣٩م ، لاعتبارات عديدة ، وانصرف الكثيرون من المجاهدين إلى حياتهم الاعتيادية على أمل العودة للنضال مستقبلاً .

واستمرت السلطات البريطانية في تشديد قبضتها على فلسطين وثوارها ، ومطاردة احرار البلاد شر مطاردة ، وفي كل من سوريا ولبنان لاحق الفرنسيون الفلسطينيين ، واعطوهم مهلة اسبوعين لتسليم أنفسهم لمراكز الشرطة ، وكان البوليس السري بلبنان قد نشط في البحث عن عبد القادر منذ وصوله إليها .. غير ان عبد القادر وصل إلى بغداد بصورة سرية مدهشة يرويها السيد طالب مشتاق بقوله »[١٠] .

« دخل مكتبي في يوم من أيام سنة ١٩٣٨م الصديق أبو الهدى اليافي المحامي من الشام ، وقد كنت إذ ذاك قنصلاً للعراق في بيروت . وكان برفقته شاب قصير القامة ، وسيم الطلعة ، ذو نظرات نفاذة ، تنم عن ذكاء حاد ، ورجولة كامنة ، فقدمه الاستاذ اليافي اليّ وقال : الا تعرفه ؟ فقلت : مع الأسف .. قال : هذا عبد القادر الحسيني نجل المغفور له موسى كاظم باشا الحسيني قلت : أهلاً وسهلاً يا مرحباً ، فهذا الشبل من ذاك الأسد . قال : وقد جئناك لأمر هام طالبين منك النجدة . قلت : كل شيء يهون في سبيلكم ان شاء الله قال : انت تعلم أن الانجليز قد حكموا على عبد القادر بالإعدام ، وهم الآن يستطلعون اخباره ، ويتعقبون خطواته ، كما ان الفرنسيين أيضاً يحاولون القاء القبض عليه وتسليمه إلى اعدائه .

ما كان في امكاني أن اتردد برهة واحدة ، كان واجبي في تلك اللحظة أن أنقذ

---

(٩) النكبة - عارف العارف .

(١٠) وردت في نص مطبوع على الآلة الكاتبة ضمن رسالة السيد عبد الله عبد المجيد المؤرخة بتاريخ ١٩٧٣/٤/٢٥م .

حياة عبد القادر هذا الجندي العربي المقدام بأي ثمن كان وكفى ، لقد صممت وكان تصميمي جدياً وقطعياً ، كان عليّ أن أخرج عن حدود صلاحيتي ، واخالف أوامر حكومتي ، ومتى كانت الوظيفة بالنسبة لي اطاعة عمياء لأوامر الحكومة ، وتنفيذ أوامرها بدون قيد أو شرط ؟ ومتى كانت الصلاحية تعيقني عن اداء واجب وطني ؟ اليس مغزى الوظيفة بالنسبة لي هو الخدمة العامة ؟ وأية خدمة عامة أعظم من الضرب على يد الجلاد ومنعه من اراقة دم زكي طاهر كدم هذا المتطوع الجريء لخدمة الأمة العربية والمدافع عن حقها المغتصب ، والذائد عن حيضة الوطن الجريح ؟ .. تعال يا ولد .. آتني بجواز سفر غير مستعمل فآتاني بالجواز واخذت القلم بيدي وصرت املأه .

اسمك محمد عبد اللطيف .. افهمت يا عبد القادر ؟ محمد عبد اللطيف عمرك ٣٥ عاماً محل ولادتك الاعظمية .. وهكذا أصبح عبد القادر عراقياً في مدة لا تتجاوز ربع ساعة ، فناولته جواز سفره ، واتصلت ببعض شركات النقل بالشام ، وبعد يومين اثنين كان عبد القادر الحسيني أو (محمد عبد اللطيف) يطوف شوارع بغداد هازئاً بالانجليز ساخراً من الفرنسيين» .

بهذه الطريق وصل عبد القادر وافراد عائلته إلى العراق .. «الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وانفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون»[١١] .

---

(١١) سورة التوبة – الآية العشرون .

الباب الثالث

عبد القادر في العراق : مهاجراً وثائراً

بكل الحب والترحاب استقبل الشعب العراقي المضياف عبد القادر واسرته ، وعشرات من مجاهدي فلسطين .

وأقام عبد القادر بحي «الكرادة الشرقية» ببغداد ، وعمل استاذاً للرياضيات في المدرسة العسكرية بمعسكر الرشيد ، وكذلك في مدرسة التفيض المتوسطة ولكي يساير تطور العلوم الحربية التحق بدورة لضباط الاحتياط بالكلية العسكرية بأول شهر ابريل (نيسان) سنة ١٩٤٠م ، وبعد ستة أشهر انتهت هذه الدورة وتخرج عبد القادر بعدها برتبة ضابط .

الانتفاضة الوطنية بالعراق :

في عام سنة ١٩٤١م اقدم الإنجليز على تنفيذ عدد من الأعمال الانتقامية الاستفزازية ضد الحكم الوطني الشرعي بالعراق ، والذي تزعمه السيد رشيد عالي الكيلاني رئيس الوزراء . وكان هدف الاستعماريين من وراء ذلك اغتيال استقلال العراق وربطه في القاطرة الاستعمارية من جديد ، فقرروا ادخال قواتهم العسكرية إلى بغداد ، برغم ان معاهدتهم السابقة مع العراق لا تجيز لهم مثل هذا التصرف ، فقررت الحكومة العراقية الثورية – ومن ورائها – الشعب العراقي – مواجهة القوات البريطانية الغازية دفاعاً عن استقلال العراق وهويته .

وفي يوم ٢١ من ابريل (نيسان) سنة ١٩٤١م وقع الصدام بين الجانبين ، ورأى الثوار الفلسطينيون هناك حتمية مساندتهم للشعب العراقي في محنته ، فاشتركوا بصورة

فعلية مؤثرة في القتال ، بقيادة البطل عبد القادر الحسيني .. فأبلوا في المعارك بلاء رائعاً وخاصة في منطقة صدر أبي غريب ، فاختلط الدم الفلسطيني العراقي في ساحة المجد اليعربي لترتسم في النهاية لوحة خالدة لوحدة صادقة .

وبعد شهر كامل من القتال الضاري استطاع الجيش البريطاني الكثيف في عدده وعدده (بضم العين) ان يتغلب على المقاومة الوطنية ، وأن يفرض سيطرته على العراق بأكمله ، فاسقط حكومة الثورة ، وألقى بمئات الوطنيين الأحرار في غياهب السجون والمعتقلات ..

وعندما وجد المجاهدون الفلسطينيون في العراق ان الانجليز قد أوشكوا السيطرة على الوضع انسحبوا من المعركة[1] .

وقد اذاع مذياع لندن يومها بأن المقاتلين الفلسطينيين الذين يقودهم عبد القادر الحسيني هم آخر من انسحب من ميدان المعركة .

وضيق الخناق بعبد القادر ورفاقه ، فوجدوا أخيراً ان من الصواب لهم مغادرة العراق إلى ايران اتقاء لبطش الانجليز وباعتبارها دولة مسلمة شقيقة .. وبالفعل .. بدّلوا ملابسهم ، واتجهوا إلى الحدود الايرانية عن طريق الكوت – بدرة سيراً على الاقدام .. يرقدون نهاراً ويسيرون ليلاً .. وأخيراً وبعد عناء ومشقة شديدين وصلوا نقطة الحدود الايرانية وهم مستبشرون خيراً بمساعدة السلطات الايرانية لهم ، الا انهم صدموا لهول ما رأوا .. فقد اسيئت معاملتهم ، وردّوا على اعقابهم ، فلم تسمح سلطات الحدود الا لعبد القادر شخصياً بالدخول إلى ايران – لاعتبارات عديدة – غير أن شهامته ابت عليه النجاة دون رفاقه ، فآثر العودة معهم إلى العراق ، ليتجرّعوا معاً كأس الغيب التي كتبتها السماء عليهم .

وبعد مشيهم مسيرة خمس وعشرين يوماً .. وقطعهم مسافة ألف من الكيلومترات توالى وصولهم إلى بيت عبد القادر في (الكرادة الشرقية) ما بين السادسة

---

(١) روى الاستاذ المرحوم محمد علي الطاهر للدكتورة خيرية قاسمية بأنه قد بلغه وهو في القاهرة بأن مدير الأمن العراقي (أحمد الراوي) قد اتصل بعبد القادر ومجموعته ، وكانت لا تزال في استحكاماتها داخل إحدى البنايات طالباً منها الفرار بعد أن استسلمت الحكومة نفسها ولم يعد هناك جدوى للمقاومة . (شؤون فلسطينية العدد ٢٠ نيسان (ابريل) سنة ١٩٧٣م) .

صباحاً والثامنة مساءً .. وعددهم يزيد عن الثلاثين مجاهداً ، فاستقبلتهم المجاهدة الصابرة السيدة وجيهة الحسيني زوجة عبد القادر ، استقبلتهم بالبشر والترحاب وقدمت لهم كل ما يمكن أن تقدمه الأم الرؤوم لأولادها ، تغسل وترتق ما اتسخ وما انقدّ من ملابسهم ، تطهو طعامهم ، وتبتاع بنفسها متطلباتهم وعبد القادر بينهم يساعد زوجته في خدمة رفاقه برغم الاعياء المضاعف الذي اصابه نتيجة السير المرهق من جانب ، ونتيجة ألم سابق في قدمه من جانب آخر ..

مكث الرفاق ببيت عبد القادر أكثر من اسبوعين ، ولما استعاد أكثرهم الصحة والنشاط ، تسللوا إلى الحدود السورية واللبنانية ، وبعد فترة وجيزة (ألقي القبض على عبد القادر الحسيني ، وسيق للمحاكمة أمام محكمة عسكرية عراقية بتهمة «انه ومن معه من الفلسطينيين اوقفوا الجيش البريطاني عشرة أيام وأخّروا زحفه على بغداد» وحكم عليه وعلى عدد من إخوانه بالسجن)[1] .

ولم يكد يصدر فيه الحكم بالسجن حتى هب لنصرته نفر من أحرار العراق – بسبب تدني صحته – ومن ضمنهم المرحوم سعيد ثابت رئيس جمعية انقاذ فلسطين ، وكذلك المرحوم ابراهيم عطار باشي حيث وافقت السلطات المسؤولة على استعاضة السجن بالنفي والإقامة الجبرية ببلدة زاخو بأقصى الشمال العراقي قرب الحدود مع تركيا .

كما مثلت أمام المحكمة المجاهدة السيدة وجيهة الحسيني بحجة مساعدتها وايوائها للثوار ، وتحريضهم على القتال ، وحكم عليها بالإقامة الجبرية في بيتها ببغداد ، وقد أمضت عشرين شهراً تحت الحراسة في المرحلة الأولى ، وهي نفس المدة التي قضاها زوجها البطل منفياً في زاخو .

يقول السيد عبد الله عبد المجيد ... أو عبد الله فلسطين كما كان يلقبه اصدقاؤه لشدة تعلقه بالقضية الفلسطينية « ... وعندما جاء فخري النشاشيبي إلى بغداد ، وهو من كبار الخونة في فلسطين ، ومن عملاء الانجليز وسمع المرحوم عبد القادر بقدومه لبغداد رجع من زاخو – بقصد المعالجة – واتصل بي ، وطلب مني نقل عائلته إلى الأعظمية حيث لم يبق مع العائلة أحد يعتمد عليه ، كما اتصل هو أيضاً ببعض

---

(١) النكبة – عارف العارف .

الفلسطينيين الموجودين في بغداد ، وقفل راجعاً لزاخو ، وفي الطريق حدث حادث اطلاق النار على الخائن فخري النشاشيبي في شارع الرشيد وقُضي عليه في الحال . فقامت قائمة اعوان الانجليز في بغداد لأن أسيادهم فقدوا حقيراً كبيرا مثلهم ، فجاءوا بالمرحوم عبد القادر لبغداد متهمين اياه بالحادث ، وبقي موقوفاً مدة تقارب السنة ، ولما لم يجدوا ضده أي دليل ارسلوه إلى معتقل العمارة ، وقد ساءت صحته هناك فنقل بعدها إلى مستشفى البصرة »[1] .

- عبد القادر في السعودية :

أمضى عبد القادر قرابة السنتين ما بين التوقيف والاعتقال في العمارة وبذلك بلغت مدة نفيه وتوقيفه واعتقاله ثلاثة أعوام وبضعة أشهر .

وفي معتقل العمارة نشط عبد القادر برغم مرضه في توعية رفاقه المعتقلين ، وتبصيرهم بشتى المعارف وخاصة في تاريخ فلسطين ، كما ساعد الراغبين منهم في العلم بشرح كثير من القضايا الرياضية والكيميائية والدينية ، فكان بحق استاذ المعتقل وإمامه .

وقد تطاير خبر اعتلال صحته في أرجاء كثيرة من الوطن العربي ، وطالب الكثيرون من أحرار العروبة باطلاق سراحه ، وافراج قيوده .. كما أبرق مفتي فلسطين الراحل إلى عدد من الملوك والرؤساء العرب طالباً منهم التدخل لإنقاذ حياة القائد المجاهد عبد القادر الحسيني . وسرعان ما استجاب العاهل السعودي الملك عبد العزيز آل سعود لهذا النداء ، فاتصل بالسلطات العراقية المسؤولة وطلب منها الافراج عن عبد القادر والسماح له بالحضور إلى المملكة العربية السعودية ، وبالفعل .. نجحت وساطة العاهل السعودي ، وحضر عبد القادر إلى السعودية في أواخر سنة ١٩٤٣م ، وأقام فيها ضيفاً على الحكومة مدة تزيد عن السنتين ، ما بين مكة المكرمة والطائف .

وفي تلك الآونة عمل عبد القادر على الاتصال والتشاور مع بعض الفلسطينيين الذين وفدوا خصيصاً للقائه من خارج المملكة ، ومع من كان موجوداً منهم في الأراضي السعودية .. ذلك كله بغية قراءة أفكارهم لتنظيمهم واعدادهم .

---

(١) من رسالة السيد عبد الله عبد المجيد المؤرخة بتاريخ ١٩٧٣/٤/٢٥م

- عبد القادر في المانيا :

تؤكد جميع المصادر أن عبد القادر قد سافر إلى المانيا وحضر دورة عسكرية في أحد المعاهد الألمانية للتدريب على صناعة المتفجرات ، وأغلب هذه المصادر تجمع على أن بغداد كانت نقطة انطلاقه إلى المانيا . ولكن السيد أميل الغوري أحد الأعضاء الرئيسين في الهيئة العربية العليا لفلسطين يؤكد في كتابه «اظهار حقائق وتفنيد أباطيل» - والذي صدر حديثاً في عمان - بأن «حضر عبد القادر الحسيني إلى المانيا سرّاً في مطلع ١٩٤٤م بناء على طلب المفتي والتحق بصورة مكتومة بأحد المعاهد العسكرية الألمانية للتدرب خاصة على صنع المتفجرات والألغام ، وقضى ستة أسابيع في هذا المعهد ، ولما انهى دورته فيه . اجتمع بسماحة المفتي واتفق معه على مخطط عام للعمل ، ثم قفل راجعاً إلى السعودية ... وهذه هي أول مرة تذاع فيها هذه المسألة» ونحن من جانبنا نميل إلى تصديق هذه المسألة .. في الوقت الذي نتحفظ فيه على قبول الرأي الأول وذلك لسببين :

الأول : ان الفترة التي قضاها الشهيد بالعراق كانت فترة اضطراب وعدم استقرار في حياة عبد القادر ، وخاصة بعد ثورة السيد رشيد عالي الكيلاني .

الثاني : ان عملاً كهذا يحتاج إلى تنسيق مع الحكومة العراقية ، ولم تكن علاقة عبد القادر ، مع تلك الحكومة لتسمح له بمثل هذا التنسيق وخاصة إذا امعنا النظر في علاقة الحكومة البريطانية مع المانيا النازية ابان تلك الآونة .

أما تعليلنا لقبول مسألة الانطلاق من الأراضي العربية السعودية فرجعه لسببين كذلك :

الأول : إن الفترة التي قضاها البطل بالعربية السعودية كانت فترة نقاهة واستقرار بالنسبة له .

الثاني : العلاقة الوطيدة التي كانت تربط بين الملك عبد العزيز آل سعود من جانب ، والزعيم موسى كاظم الحسيني منذ كان الأخير متصرفاً لنجد زمن الدولة العثمانية من جانب آخر ، وامتداد هذه العلاقة مع الحاج أمين الحسيني فيما بعد .

ولا نستبعد أن يكون الملك عبد العزيز قد وافق على سفر عبد القادر بناءً على طلب من المفتي ، بل نتوقع أن تكون الحكومة السعودية قد صرفت جواز سفر سعودي لعبد القادر وهيأت لسفره واقامته أسباب النجاح .

ولكافة هذه الاعتبارات نسحب بساط الثقة من الرأي الأول ، ونمده تحت

اعمدة التقرير الثاني الذي أفصح عنه الاستاذ الغوري ، ومهما يكن الأمر فالذي يهمنا في نهاية التجوال أن عبد القادر قد توجه إلى المانيا وتدرب على صناعة المتفجرات فأتقن صنعها .. وبذلك أضاف بعداً جديداً في مسيرته العسكرية .. وحنكته العلمية .

- انتقاله إلى مصر :

ارتأى المجاهدون الفلسطينيون ان المصلحة الوطنية تستوجب حضور عبد القادر إلى مصر .. ومصر بالذات .. لعدة عوامل منها :

- ان مصر أضحت تمثل بؤرة الرحى في المنطقة العربية ، وبخاصة بعد انشاء الجامعة العربية (سنة ١٩٤٥) واتخاذ القاهرة مقراً رئيسياً لأمانة الجامعة .

- ان مجال العمل والتحرك في مصر أكثر سعة وأكفل حرية من غيره من المجالات .

- امكانية الحصول على الأسلحة من مخلفات الحرب العالمية الثانية في الصحراء الغربية وليبيا .

وقد أجرى بعض الإخوان اتصالاتهم بعبد القادر في مكة المكرمة وعرضوا عليه الرأي ، فأبدى استعداده بل وترحيبه للحضور إلى مصر . إلا أن هذا الحضور في الحقيقة لم يكن ميسوراً في ذلك الوقت ، ذلك أن السلطات المصرية كانت شديدة التحفظ بالنسبة لحركة الفلسطينيين بأراضيها تجنباً لإغضاب بريطانيا ، ومن أجل ذلك اتصل نفر من المجاهدين المقيمين بالقاهرة بالسيد محمد علي علوية «باشا» ليتوسط في الأمر لدى السلطات المسؤولة ، فاستجاب «الباشا» وأجرى اتصالاته مع القصر ، وتكللت مساعيه بالفوز ، وقد ابلغ مصطفى النحاس «باشا» رئيس الوزارة المصرية بتاريخ ١١ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٤٥م أبلغ وفداً فلسطينياً[٤] موافقة الحكومة على مجيء عبد القادر إلى مصر وانها - أي الحكومة - بعثت تعليماتها بهذا الخصوص إلى المفوضية المصرية بجدة لمنح عبد القادر تأشيرة الدخول إلى مصر .

وبعد فترة بسيطة وصل عبد القادر وعائلته إلى القاهرة في أوائل يناير سنة ١٩٤٦م . ولقد أثار نبأ وصوله اليها عواطف الشعب المصري الشقيق ، فاستقبله بالغبطة والحبور ، وأقامت كثير من الجمعيات والنوادي حفلات التكريم

---

(٤) كان الوفد مشكلاً من السادة : توفيق صالح الحسيني - مصطفى بوشناق - اميل الغوري - الشيخ صبري عابدين .

والترحيب بفتى العروبة والإسلام. وزين شباب فلسطين عبد القادر موسى الحسيني.

- الإعداد في مصر:

استأجر عبد القادر لسكناه شقة متواضعة بشارع منية السيرج في حي شبرا الشعبي بالقاهرة، وباشر اتصالاته بإخوانه المجاهدين الذين سعدوا بلقائه، وقد اطلعوه على الترتيبات التي اجروها في غيابه، فبارك بعضها، وعدل في اخراها، وأضاف جديداً اليها، وكان حريصاً منذ البداية على توفير السلاح ونقله إلى فلسطين، لأجل هذا كلف بعض رفاقه للقيام بهذه المهمة الشاقة..

وفيما هو كذلك حدث معه حادث عارض تقتضينا الأمانة المجردة ان نعرج عليها، فخلال رئاسة السيد ابراهيم عبد الهادي للحكومة المصرية - في عهد السعديين - سعت تلك الحكومة إلى اخراج عبد القادر من مصر، ويروي الاستاذ المرحوم محمد علي الطاهر هذه الحادثة في كتاب «هاكستب»[٥]، فيقول بأن ادارة الجوازات طلبت من عبد القادر مغادرة مصر فوراً وهددته بحبسه بسجن الأجانب إلى أن يستأذن حكومة فلسطين البريطانية بتسفيره إلى فلسطين، وقد طلب عبد القادر من رئيس الإدارة أن يمهله بضعة أيام ريثما يحصل على اذن بدخول سوريا أو لبنان، وقد حاول عبد القادر أن يسرّ بأذن ذلك المسؤول انه لا يستطيع دخول فلسطين لأن الانجليز فيها قد سبق لهم أن حكموا عليه بالإعدام لمحاربته اياهم ١٩٣٦م - ١٩٤١م وبدلاً من أن يقدر الموظف جهاده نهره بجواب فظ «احنا مش عاوزين قتالين قتلى في بلادنا يا الله على بلدك». وأخيراً افرج موظف الجوازات بعد أن أخذ منه تعهداً مكتوباً بأن يغادر مصر بعد اسبوع، وأن يتعهد بأن لا يبذل أي جهد أو وساطة لتمديد الإقامة.

ويتابع الاستاذ محمد علي الطاهر انه قد ذكر عبد القادر بحادثة إخراجه في عهد اسماعيل صدقي من مصر وهو تلميذ سنة ١٩٣٢م، وحرضه أن لا يخرج الآن وهو مجاهد إلا بالقوة، ثم قام بعد ذلك بتقديم عبد القادر مع شرح لقضيته إلى بعض ادارات الصحف المصرية، واخبارها بما فعلته الحكومة مع هذا المجاهد الوطني

---

(٥) هاكستب - القاهرة - ١٩٤٩م.

الحر.. فشنت الصحف بعد ذلك حملة اجماعية كانت السبب في صرف النظر عن ترحيله من مصر.

لم تؤثر هذه الحادثة الطارئة في نفسية عبد القادر، واعتبرها مسألة هامشية تعبر فقط عن مسلك قلة من مسؤولي الدولة، وهي في حد ذاتها مبتورة الصلة تماماً عن مشاعر الشعب المصري الأصيل.

وواصل الرجل اتصالاته برفاقه الموجودين بالقاهرة.. كما وجه الدعوة لبعض العاملين في فلسطين وسوريا ولبنان للحضور إلى مصر، بقصد مواصلة وتوسيع دائرة التشاور، وتنسيق العمل للمرحلتين: الآنية، والآتية، وتلبية لدعوته تلك حضر عدد من القادة والمجاهدين نذكر منهم:

الشيخ حسن سلامة – كامل عريقات – محمد محمود الصفوري – محمد سليم ابو لبن – عبد الحليم الجيلاني – صالح الريماوي – خالد الفرخ – ابراهيم ابو دية – شحادة حسونة – صبحي أبو غربية – خليل خليف – قاسم الريماوي – رشيد عريقات – جمال الفارس – صالح عون الله – خليل طبري – خالد الحسيني – رفيق عويص – توفيق الابراهيم – عودة إبراهيم عودة – خليل منون – عبد الله سمرين – بهجت أبو غربية – حافظ أبو الفيلات. وآخرين غيرهم.

واتفق عبد القادر معهم على الخطة العامة للنضال، وشكل من بينهم بعض اللجان المختلفة، كلجنة الاشراف على العمل في الداخل، ولجان شراء الاسلحة في مصر وسورية ولبنان.. ولجان لتوصيلها إلى فلسطين.

وكان عبد القادر قد التزم بثورية في المنهج، وقومية في التخطيط حين تعاون مع عدد من زملائه الشبان الاكفاء من ضباط مصريين وسوريين وعراقيين للاستنارة بآرائهم ومقترحاتهم العسكرية بوجه خاص، فرسموا معاً الخرائط العسكرية وحددوا عليها الأهداف والأماكن الاستراتيجية الواجب احتلالها أو الواجب زيادة تحصينها وما شابه ذلك «وجعل عبد القادر من بيته الصغير المتواضع (مختبراً) لصنع المتفجرات وهو فن يتقنه اتقاناً كبيراً»[٦].

وقد قام بتدريب العديد من الشبان على فن هذه الصناعة الدقيقة، ومن الناحية

---

(٦) اميل الغوري – اظهار حقائق وتفنيد اباطيل – عمان سنة ١٩٧٤م.

السياسية تعاون عبد القادر مع حزب مصر الفتاة ورئيسه المحامي أحمد حسين ، وتعاون مع جماعة الاخوان المسلمين ورئيسهم الشيخ حسن البنا ، ومع كافة الأحرار الملتزمين بالخط القومي ، وأنصار القضية الفلسطينية في مصر .

لقد كان النقص في السلاح من اعقد المشاكل التي اعتورت حركة الكفاح الفلسطيني فلا غرابة اذن ان تواجه لجان شرائه وتخزينه وتوصيله كثيراً من المصاعب والمخاطر ..

حدثنا المجاهد عبد الرحمن علي شحدة (من لفتا) – وكان أحد الاعضاء البارزين في لجنة شراء الأسلحة في مصر– عن مهمته فقال[٧] :

في أواخر سنة ١٩٤٦ كلفني الشهيد عبد القادر الحسيني وسماحة المفتي للقيام بشراء الأسلحة من مصر . وكان لدى الشهيد عبد القادر سيارة من نوع «ستيشن واجن» يقودها اخ سوداني اسمه محمود دياب ، فذهبت أنا ومحمود إلى منطقة «أبو رواسن» قرب هرم سقارة بالجيزة ، وحصلنا منها على خمس بنادق مستعملة . وأخبرنا الرجل الذي اشترينا منه البنادق الخمس بوجود اسلحة في قرية (أبو المطامير) عند كوبري العبد بمحافظة البحيرة ، فتوجهت اليها مع الأخ خليل العوري (من بيت عور) فاشترينا بعض الأسلحة المختلفة ، ثم تشاء الظروف ان نتعرف على السيد محمد بيك نصير عضو مجلس النواب المصري الذي تعرف بدوره على الشهيد عبد القادر . وقد اقترح نصير بك أن يرافقنا اليوزباشي المناضل جلال حسن ندا (من بنها) لمصاحبتنا وتأمين تنقلاتنا ، وأخذ جلال يصاحب سيارتنا من كوبري العبد إلى القاهرة حيث يتسلمها الشهيد عبد القادر .

وذات مرة فوجئنا ببعض الخفراء التابعين لعزبة البستان يعترضون طريقنا ، وكان أمر شرائنا للأسلحة قد شاع في المنطقة ، فأخذ المسؤولون في البحث عنا ، وقررت أن اواجه الموقف بنفسي .

فدخلت إلى السيد «أحمد اسماعيل علي» عمدة العزبة ، ورفضت شرب القهوة وبادرته «أنا الفلسطيني اللي بتفتشوا عليه ، وأنا ادافع عن بيت الله ، والمسجد الأقصى ، اللي ما ليش فيه أكثر منك ، خذني وسلمني للشرطة إذا كنت تريد الدنيا

---

(٧) في لقائنا معه بتاريخ ١٩٦٧/١١/٥ بالقاهرة .

وزينتها». وقد أفهمت العمدة اننا نعمل سراً في المرحلة الحاضرة ، وسنعمل علانية في المستقبل ، وشرحت له الوضع في فلسطين ، فتأثر الرجل تأثراً بالغاً ... وغلبته عاطفته فبكى ، ووافق على تسهيل مهمتنا ، وأخذ رقم سيارتنا .. وبرّ بوعده ، وساعدنا فعلاً ، وبعد فترة قصيرة قام بزيارة سماحة المفتي بحي حلمية الزيتون بالقاهرة وقدم له خمسة صناديق مليئة بالذخيرة .

ولم تكن عشرات البنادق والمسدسات التي حصلنا عليها لتكفينا ، فقررنا الذهاب إلى «مرسى مطروح» وهي المصدر الرئيسي للسلاح ، ولم يكن اجتياز الصحراء الغربية في مصر هيناً ، ولا الوصول إلى عاصمتها ميسوراً ، فهي منطقة حدود ، ويحتاج من يريد دخولها إلى تصريح خاص من السلطات المسؤولة .

فاطلعنا الشهيد عبد القادر على فكرتنا فباركها .. وأصرّ على مرافقتنا . سألنا بعض معارفنا : من أشد الناس عداوة للانجليز في «مرسى مطروح» وفي امكانه مساعدتنا ؟ قالوا : سيد بك فرح وكيل المحافظة . جميل . ومن يمت له بصلة قوية وفي امكانه مساعدتنا ؟ قالوا : ابن عم له يدعى محمود .. وقابلنا محمود .. كان بحق وطنياً صادقاً ، واتفقنا معاً على حيلة توصلنا إلى مطروح ، وتدرأ عنا شبهات حرس الحدود ، وصرت في لحظة ابن عمة الوكيل ، وعبد القادر ابن خاله ، وحتى تنطلي الحيلة كلية ابرق إلى سيد فرح يخبره بأنه وصهاره سيزورونه .. وبالفعل .. ركبنا في سيارتين .. الشهيد عبد القادر ، ومحمود جميل الحسيني وأنا في سيارة ، ومحمود وزوجته وأولاده في سيارة ثانية .. واتجهنا إلى مطروح دونما عناء أو مشقة .. حيث كان سيد فرح قد ابلغ البوابات الواقعة بين الاسكندرية ومطروح بتسهيل مرورنا .

ونزلنا بيته ، وقد رحب بنا كثيراً ، وخلال ذهابه لاحضار الطعام قلت لأبي موسى : لنكشف أوراقنا للرجل .. فأومأ بالموافقة .. وبعد برهة احضر سيد بك الطعام وأشار الينا بتناوله ، ، فما فعلنا إذ سارعته بالقول : هل تعلم من ضيفك ؟ واردفت دون أن انتظر جواباً : انه المجاهد الكبير عبد القادر الحسيني ، وقد جئناك نطلب الحماية للمسجد الأقصى ، فانبهر الرجل ولكن سرعان ما ادرك مقصدنا . وقال : على الرحب والسعة ، وهل في دنيا العروبة والإسلام من يضن في حماية الأقصى . وعلى الفور ارسل ابنه سيف معنا ، واتجهنا إلى بعض مضارب البدو وحصلنا على نحو ستين بندقية مختلفة الاطرزة .

واذكر أن أحد الأعراب قد أخبرنا بوجود بعض مدافع الهاون عند أحد اصدقائه

القاطنين بالصحراء ، فاشرأبّت نفس الشهيد عبد القادر حين سمع بذلك ، وأصرّ على الذهاب فوراً ، برغم أن الأعرابي قد حذّرنا من وعورة الطريق ، غير أن عبد القادر لم يأبه لهذا التحذير .. بل وتجاهله ، وركبنا السيارة .. وانطلقنا إلى بغيتنا وأثناء سيرنا فوجئنا بطبقات كثيفة من الرمال تغطي طريقنا الرئيسي .. مما تسبب في وقوف السيارة مرات عديدة ، فما نجد عبد القادر إلا قافزاً تحت عجلاتها مسوياً الطريق بيديه ، وتكرر ذلك عدة كرات .. وفي النهاية وصلنا .. واشترينا ما صلح من تلك المدافع . وعدنا ثانية وقد أصاب منا التعب ما أصاب .

وبعد فترة تشكلت «اللجنة العسكرية» التابعة لجامعة الدول العربية . فاكتسب عملنا صفتي الشرعية والعلنية ، فاستمررنا في جمع السلاح ، وانضم إلينا المجاهد صبحي الخضرا ، وأذكر انه حضر ذات مرة مع الشهيد عبد القادر إلى مرسى مطروح ، فذهبنا معاً لزيارة المحافظ القائمقام أحمد سيف اليزل بك ، وأقام لنا مأدبة غداء ، وقدم لنا كثيراً من المساعدات .

وأما بشأن الأسلحة التي كنا نحصل عليها خلال المرحلة السرية فكنا نخزنها في بيت السيد عبد الزين جبريل توطئة لنقلها إلى فلسطين عن طريق ميناء صيدا اللبناني . حيث كان المجاهد معروف سعد (نائب صيدا سابقاً) يتكفل بتوصيلها إلى مجاهدي الشمال .

والبعض الآخر من الأسلحة كنا نوصله إلى القاهرة . ومن هناك يقوم المجاهد ابراهيم أبو دية بنقله إلى غزة ، حيث يتم تخزينه في منطقة (المعين) شرقي مدينة خان يونس بمساعدة المجاهد عبد الله أبو سته ، ومن هناك ينقل إلى بئر زيت حيث مقر جيش الجهاد المقدس .

يقول المجاهد عبد الله مهنا (من المسمية) «... وكنت اضع السلاح في فندق «البرلمان» بالعتبة ، حيث كنت اجمعه هناك علناً ، ثم احمله حتى مدينة الاسماعيلية حيث ينتظرنا ضباط مصريون ليمررونا حتى العريش بسيارات الجيش المصري ، ومن العريش كنا نحملها بسيارات فلسطينية نمر بها عن طريق رفح ، ثم نوزعها على المقاتلين في القرى ، وكان معي في هذه العملية حلمي الأغا (من خان يونس)[٨] هذا ولقد استعان عبد القادر بثلاثة من الجنود الألمان الهاربين من الأسر ، وعملوا على صيانة الأسلحة التي كانت تجمع في أحد المخازن بالقاهرة .

---

(٨) هكذا كنا نجمع السلاح – شؤون فلسطينية – العدد ٢١ (مايو – ايار) سنة ١٩٧٣م .

في هذه الفترة حدثت تطورات سريعة وهامة في القضية الفلسطينية على المستويين : العربي والعالمي .

ولا بدّ للباحث في سيرة البطل عبد القادر الحسيني ان يتعرض لهذه الظروف حتى بداية نكبة التشرد الفلسطيني ، وتعتبر هذه الفترة بالغة الحساسية سواء على المستوى الدولي أو على المستوى العربي الفلسطيني ، ولا بدّ من المرور الوئيد عليها كي يتسنى الإلمام ببعض القضايا الرئيسية التي احاطت بنضال هذه الأمة ، هذا النضال المتمثل في سيرة عبد القادر .

- على المستوى الدولي :

عندما انتهت الحرب العالمية الثانية انتقلت زعامة الرأسمالية العالمية من بريطانيا العظمى – آنذاك – إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، ولقد توثقت أواصر العلاقات المشتركة بين حزب العمال – الذي تولى الحكم في بريطانيا خلال عام ١٩٤٥ – وبين هاري ترومان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، وتدشيناً لهذه الأصرة الاستعمارية فقد اتخذ مجلس الشيوخ الأمريكي في واشنطن قراراً بإجماع الآراء يطلب من الحكومة الأمريكية أن تتوسط لدى بريطانيا بشأن السماح بفتح باب الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وكذلك محاولة تجميد الكتاب الأبيض البريطاني (١٩٣٩) والذي تعهد وقتها بإقفال باب الهجرة اليهودية إلى فلسطين في أواخر عام ١٩٤٥م . كما طالب مجلس الشيوخ من الحكومة الأمريكية أن تسعى لدى بريطانيا للموافقة على إنشاء فيلق يهودي في فلسطين ! .

والغريب أن هذه التوصيات الثلاث وغيرها قد نفذت تماماً ، ليس ارضاء لمشاعر الحكومة الأمريكية فحسب ، بل لأن بريطانيا نفسها كانت تنوي تحقيق المآرب اليهودية ، وبالتالي فلم يكن الأمر بالنسبة لها بحاجة إلى وساطة .

وقد كانت الأحزاب البريطانية تتسابق في إعلان تأييدها للصهيونية العالمية لدرجة أن حزب العمال في عام ١٩٤٤ اقترح تحويل فلسطين إلى دولة يهودية بعد اخراج الفلسطينيين ونقلهم إلى الدول العربية ! .

بالنسبة للكتاب الأبيض فإن بريطانيا قد اصدرته ترضية للأمة العربية ، ودغدغة لعواطفها ، وامتصاصاً لنقمتها ، ولم تكن جادة ألبتة في تنفيذ تعهداتها الواردة فيه بدليل انها سرعان ما أعلنت يوم ٢٩ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٤٦م استمرار الهجرة اليهودية إلى فلسطين بمعدل ألف وخمسمائة مهاجر شهرياً بالطريق الشرعي ، عدا عن المئات الوافدة بطرق غير شرعية .

ولم يقتصر الأمر عند حدّ الهجرة فقط ، بل عملت بريطانيا على توسيع مخططاتها الهادفة لانتزاع املاك العرب ، بغض النظر عن الوسائل التي تتبعها لتنفيذ هذه المخططات .

أما الفيلق اليهودي الموصى على اعداده ، فقد كان معداً بالفعل في فلسطين . وكان مجهزاً بأسلحة حديثة ، ومدرباً تدريباً عالياً ، ولم يكن بحاجة إلا إلى الإعلان عنه بصورة رسمية ، وقد تم ذلك بالفعل حينما أعلن «ونستون تشرشل» رئيس وزراء بريطانيا عن انشاء هذه القوة العسكرية ، هذا بالرغم من التحفظ الذي أبداه الجنرال (وايڤل) القائد البريطاني العام في الشرق الأوسط . وكان (وايڤل) يرى بعدم الإعلان عن إنشاء ذلك الفيلق على المستوى الرسمي مراعاة لمشاعر العرب ، إلا أن الاستعماري الضليع قد سفّه رأي القائد البريطاني ، وقال في مذكراته بالحرف الواحد [... لقد تحدّيت «وايڤل» ، وكتبت إلى الدكتور وايزمان سامحاً بتأليف ذلك الجيش . ولم يتحرك كلب عربي واحد][1] .

واستمراراً في تخدير أعصاب العرب اعلنت بريطانيا عن رغبتها في تكوين لجنة بريطانية – أمريكية مشتركة تكون مهمتها التحقيق في وضع فلسطين بشكل عام ، تمهيداً لحل المشكلة ، وبالفعل تشكلت اللجنة من اثني عشر عضواً نصفهم من الانجليز ، ونصفهم الآخر من الأمريكيين ، ووصلت اللجنة إلى فلسطين وباشرت أعمالها واستمعت إلى شهادة الأمين العام للجامعة العربية بالقاهرة ، وشهادات بعض رؤساء الحكومات العربية ، كما اجتمعت مع العديد من الشخصيات العربية واليهودية .

وبعد أشهر من العمل الصوري ، أصدرت اللجنة تقريرها بتاريخ ٢٠ من ابريل (نيسان) سنة ١٩٤٦م ، وقد اشتمل ذلك التقرير المهين على عدة بنود من أهمها :

(أ) السماح بإدخال مائة ألف مهاجر يهودي إلى فلسطين ، من ضحايا الاضطهاد النازي والفاشي .

(ب) استمرار الانتداب البريطاني على فلسطين حتى اشعار آخر .

(ج) رفع القيود ، وتسهيل تمليك الأراضي الفلسطينية إلى اليهود .

---

(١) حقائق عن قضية فلسطين – محمد أمين الحسيني .

(د) [... كما اوصت اللجنة بأن لا تكون الهجرة إلى فلسطين معلقة على رضاء العرب، بحجة عدم وجود بلاد غير فلسطين ترضى بالهجرة إليها، وان اليهود لا يرغبون في الهجرة إلى بلاد غير فلسطين][٢].

لقد جاء هذا التقرير مطابقاً لما ارادته الصهيونية العالمية، ولما اراده الرئيس الأمريكي، وقد نسف كل الآمال المرجوة لانصاف الشعب الفلسطيني. وشعر ولاة الأمر من ملوك ورؤساء الأقطار العربية بحراجة الموقف المتردي في فلسطين، فتنادوا إلى اجتماع طارئ لبحث الوضع برمته.

وانعقد المؤتمر بتاريخ ٢٨ من مايو (أيار) سنة ١٩٤٦م في بلدة انشاص بمصر، وحضره: الملك فاروق ملك مصر والسودان، وشكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية، وبشارة الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية، والأمير سعود عن المملكة العربية السعودية، والأمير سيف الاسلام عن المملكة المتوكلية اليمنية، وعبد الاله وصي عرش العراق. كما شهد الاجتماع بعض وزراء الخارجية العرب، وبعض الشخصيات العربية المرموقة، واستمر المؤتمر مدة يومين، صدرت في نهايته عدة توصيات، كان من أبرزها:

(أ) اعتبار قضية فلسطين [هي قضية العرب جميعاً، وأن فلسطين عربية يتحتم على دول العرب وشعوبها صيانة عروبتها، وأنه ليس في امكان هذه الدول ان توافق بوجه من الوجوه على أي هجرة جديدة][٣].

(ب) تكوين هيئة عربية فلسطينية عليا تتحدث باسم فلسطين وتمثلها في المحافل الدولية.

(ج) الرد على لجنة التحقيق الانجلو - أمريكية شريطة أن يكون الرد متسامحاً ومهذباً يتناسب مع ما للدولتين من مرموق المكانة في العالم العربي، كما أن المؤتمرين (لهم عظيم الأمل أن لا يعكر صفو علائق المودة القائمة بين الدول والشعوب العربية من جهة والدولتين الديمقراطيتين الصديقتين من جهة أخرى)[٤].

---

(٢) من مذكرات الحاج أمين الحسيني - مجلة فلسطين (تشرين الثاني) سنة ١٩٧٣م.
(٣) القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها - محمد عزة دروزة.
(٤) المرجع السابق.

وواضح أن هذه القرارات الواضحة الهزال لا تغيظ عدواً ، ولا تفرح صديقاً .. وبرغم هذا فإن الجماهير الفلسطينية المغلوبة على واقعها قد أبدت نوعاً من الرضى والتفاؤل ، فالبيان قد رفض على الأقل قبول مهاجرين جدد .. كما اعتبر ان من واجب الحكومات العربية صيانة عروبة فلسطين .

وعلى المستوى الفلسطيني ذاته فقد كان هناك خلاف حاد بين مختلف الأحزاب .. وحدثت عدة صراعات ومهاترات بين قادة الأحزاب أنفسهم .. ولقد عانت فلسطين الكثير من ويلات هذا الخلاف .. وكان الاستعمار البريطاني – عن طريق عملائه – يذكي لهيب هذه الصراعات .. يحرض حزباً على آخر ، يفتن قائداً ضد رفيقه ، يثبت زعيماً في مركز غير جدير به ، يوقع بين عشيرة وأخرى .. ويحفر عميق الحفر لمنع أي توافق بين قبيلة وأخرى ..

وعندما بدأت مشاورات مجلس الجامعة العربية في دورته الثانية لم يكن هناك من يمثل فلسطين في البداية .. لأن أهل فلسطين مختلفون فيما بينهم على شخصية ممثلهم .. وتقرر ايفاد السيد جميل مردم رئيس تلك الدورة ليساعد على حل المشكلة .. فاتصل بكافة رجال الأحزاب .. وفي النهاية اختار لجنة مشتركة تضم قادة الأحزاب وهم : راغب النشاشيبي (الدفاع) – عوني عبد الهادي (الاستقلال) – توفيق الحسيني (العربي) – الدكتور حسين الخالدي (الإصلاح) – عبد اللطيف صلاح (الكتلة الوطنية) – يعقوب الغصين (مؤتمر الشباب) ، وأضيف إلى هؤلاء : أحمد حلمي عبد الباقي – رفيق التميمي وموسى العلمي – اميل الغوري – يوسف صهيون. استطاعت اللجنة أن تختار وفداً مثلها فيما تبقى من اجتماعات مجلس الجامعة ، إلا انها لم تستطع الاستمرار ، كان الصراع حاداً بين «القادة» ، وكان هناك ما يفرقهم»[٥]

وعندما اجتمع مجلس الجامعة العربية في مصيف «بلودان» بالجمهورية السورية (٨ – ١٢ حزيران سنة ١٩٤٦) كان من ضمن قراراته انشاء (الهيئة العربية العليا) لفلسطين مكونة من السادة : أحمد حلمي عبد الباقي – جمال الحسيني (نائب الرئيس) – حسين فخري الخالدي – اميل الغوري . ونظراً لأن المفتي كان ما يزال

---

(٥) المقاومة العربية في فلسطين – ناجي علوش – دار الطليعة – بيروت سنة ١٩٧٠م .

معتقلاً في إحدى ضواحي باريس ، فقد تقرر أن يبقى منصب رئاسة الهيئة شاغراً ليشغله المفتي حين عودته ، ثم أصدر المفتي – بعد وصوله إلى القاهرة قادماً من باريس – مرسوماً بإضافة مجموعة أخرى إلى الهيئة العربية العليا . هم السادة : محمد عزة دروزة – رفيق التميمي – معين الماضي – حسن أبو السعود – اسحق درويش وبالنسبة لمؤتمر بلودان ذاته فهناك نقطة سوداء يقتضينا الموقف اعادة تسجيلها ، فمعلوم أن المؤتمر قد حضره (٤١١) اربعمائة وأحد عشر عضواً ، من بينهم مسؤولان بريطانيان شاركا في المؤتمر وخلواته ، وقراراته مشاركة فعلية ! ! هذان المسؤولان هما : الجنرال كلايتون رئيس مخابرات الجيش البريطاني في الشرق الأوسط ، ورفيقه المستر برايانس المدير المساعد للمخابرات البريطانية في فلسطين ! ! .

وكأنهما قد حضرا لمباركة المؤتمر ، ولكن على الطريقة البريطانية المعهودة ، والتي تمثلت في تزكية المؤتمر بمفاوضة الحكومة البريطانية لحل القضية الفلسطينية ، وإذا لم يكتب النجاح لهذه المفاوضة فلا بأس من عرض القضية على الأمم المتحدة ، أو هكذا أراد كلايتون ، وهذا بمثابة استجابة لبيان المستر بيڤن الذي رغب في ادخال الولايات المتحدة الأمريكية طرفاً رئيساً في قضية فلسطين ، وبالنسبة للجانب المادي فقد قرر المؤتمر رصد مبلغ مليون جنيه سنوياً لدعم صمود الشعب الفلسطيني «ولكن على الرغم من ضآلة هذا الجهد الذي قررته سبع دول عربية تزيد مجموعات ميزانيتها عن الفي مليون جنيه سنوياً في ذلك الوقت فإن هذا القرار لم ينفذ»[٦] .

انفض المؤتمر .. وبدء الإعداد لمفاوضة بريطانيا في لندن ذاتها . وعقد اللقاء في شهر نوفمبر سنة ١٩٤٦م ، وهناك استبدل العرب مواقف الحزم والصرامة بمواقف الضعف والخناعة ، وبدا ذلك جلياً في «المشروع العربي» الذي قُدّم إلى المستر بيڤن وزير الخارجية البريطانية والذي جاء فيه [[اعترف العرب بما لليهود من كيان ومكان في فلسطين ، على الا يزيدوا في أي يوم من الأيام عن ثلث السكان وهم مستعدون للسماح بهجرة جديدة عند اللزوم للمحافظة على النسبة المذكورة . وإنشاء مجلس تمثيل لا يتجاوز أعضاء اليهود نسبة الثلث ، على الا يتخذ في ذلك المجلس أي قرار بشأن هجرة اليهود ومصالح اليهود إلا إذا وافقت على ذلك القرار أكثرية الأعضاء اليهود ، على أن يتمتع اليهود في مناطقهم بحقوق دستورية ، وبلغتهم العبرية ،

---

(٦) جهاد شعب فلسطين – صالح مسعود بو يصير دار الفتح – بيروت .

وبالإشراف على التعليم ، وبقسط وافر من الحكم الذاتي ، وان يكون كل ذلك وسط دولة فلسطينية مستقلة ومرتبطة مع بريطانيا بمعاهدة تحالف]] ، ويعلق باحث عربي على هذا المشروع بقوله «... ان هذا العرض العربي لا يمكن أن يكون صادراً عن جماعة مؤمنة باستطاعتها استرداد حقها المنهوب وان هذا الضعف العربي الذي برز للعيان في المؤتمر يحاول به أصحابه تأجيل نكبة هم مدركوها ، وهم لا يزنونها وزنها الحق ، بل هم أضعف من أن يقرروا اخطارها ويسبروا غورها»[٧] .

وبرغم ما في هذا المشروع من خور وهوان فلم توافق عليه بريطانيا عينها بحجة أن اليهود لا يوافقون عليه ! !

وبالطبع أعلن الفلسطينيون رفضهم المطلق للمشروع .

وهكذا لم يكتب النجاح لمشروع مفاوضة بريطانيا ، اذن فلا بأس من عرض القضية على الأمم المتحدة ، الأمر الذي كانت بريطانيا وأمريكا تسعيان إليه سلفاً لأنهما واثقتان كلية بنجاح أي مشروع مقترح من ناحيتهما . وذلك بالنظر إلى هيمنتهما على الهيئة الدولية ، وقد انتوتا هذه النيّة عندما احستا بأن الوضع في فلسطين قد بات مهيأ لإنبات الدولة اليهودية .

وهكذا نقلت القضية إلى الأمم المتحدة ، وبناء على طلب مقدم من الحكومة البريطانية قررت الأمانة العامة للأمم المتحدة عقد دورة استثنائية لبحث القضية الفلسطينية بتاريخ ٢٧ من ابريل (نيسان) سنة ١٩٤٧م وبناء على ذلك تقرر تكوين لجنة دولية لدراسة القضية تتألف من إحدى عشرة دولة لم تدخلها أي من الدول الكبرى ولكن أغلبها من الدول السائرة في الفلك الاستعماري . وباشرت اللجنة مهماتها فطافت بعدة أقطار عربية واستمعت لآراء عدد من المسؤولين العرب .

ووصلت اللجنة إلى فلسطين في اليوم السابع عشر من يونيه (حزيران) سنة ١٩٤٧م وقد حرصت منذ بداية وصولها على مقابلة زعماء المنظمات اليهودية الإرهابية ، الذين رحبوا بقول أحد أعضاء اللجنة الدولية «كان بودنا لو قررنا أن تصبح فلسطين كلها لكم ، لولا اننا لا نستطيع أن نطلب لكم أكثر من الحدود التي رسمتها الوكالة اليهودية في مطالبتها بتقسيم فلسطين بينكم وبين العرب»[٨]

---

(٧) صالح مسعود بو يصير - المرجع السابق

(٨) تذكرة عودة - ناصر الدين النشاشيبي

وأما الشعب الفلسطيني فلم يكترث بوجود هذه اللجنة التي تشكل الرقم الثاني والعشرين من اللجان التي انيط بها بحث قضية فلسطين. وقد قررت الهيئة العربية العليا مقاطعة اللجنة لأنها غير مكلفة بدراسة المطلب الأساسي للفلسطينيين وهو الاستقلال، ومن ثم دعت الهيئة إلى مقاطعة اللجنة الدولية.

انهت اللجنة أعمالها.. ولم تكن قراراتها لتخفى على أحد. فقد طالبت الأكثرية من أعضائها بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود، أما الأقلية من أعضائها – الهند – ايران – يوغسلافيا – فقد اقترحت ان تقام في فلسطين حكومتان مستقلتان تتحدان معاً في دولة واحدة تكون القدس عاصمة لها.

ورفعت اللجنة تقريرها إلى الجمعية العمومية للأمم المتحدة في خريف ١٩٤٧ م لإقراره.

– مواجهة الخطط المعادية:

ازاء هذه التطورات الدولية الخطيرة، قررت الهيئة العربية العليا عقد اجتماع بالاسكندرية في أواخر شهر (آب) سنة ١٩٤٦م برئاسة المفتي ووضع عبد القادر الحسيني أمام الهيئة جميع ما وفق إلى تحقيقه من خطط ودراسات وبرامج وآراء.

وقررت الهيئة مواجهة الخطط الاستعمارية الصهيونية بالقوة المسلحة، وتقرر إنشاء جيش فلسطيني لممارسة الجهاد الفعلي. واختير رئيس الهيئة قائداً أعلى لهذا الجيش، فأعاد تكوين منظمة الجهاد المقدس ثم حولها إلى جيش الجهاد المقدس الفلسطيني. وأسند قيادته العامة إلى عبد القادر الحسيني، وتولى كامل عريقات منصب النائب العام لقائد الجيش وقاسم الريماوي أمانة السر. أما القائدان: الشيخ حسن سلامة وابراهيم أبو دية فقد اختيرا مستشاران عسكريان. ووضعت ميزانية خاصة لهذا الجيش تولى السيدان سعد الدين عبد اللطيف ورجائي الحسيني مهمة الإشراف عليها، وكذلك شكل المفتي – فيما بعد – لجنة ثنائية يناط بها الإشراف على أمور التهيئة والمجاهدين بعضوية السيدين صالح الريماوي واميل الغوري.

ولما انتقل عبد القادر إلى فلسطين شكل مجلس قيادة للثورة كان من ضمن أعضائه: كامل عريقات – حسن سلامة – ابراهيم أبو ديه – بهجت أبو غربية – توفيق الابراهيم – حسن شبلاق – عودة ابراهيم عودة – محمد محمود الصفوري – محمود درويش – محمد عمر النوباني.

كذلك قام عبد القادر بتشكيل لجنة التموين وحشد النجدات كان من ضمن

أعضائها قاسم الريماوي وجريس خليف وفريد فخر الدين – موسى أبو شيبان – والعبد اسماعيل ، كما أعلن المجاهد كامل عريقات عن وضع منظمة الشباب تحت تصرف القيادة العليا للجيش .

– **خطة الجهاد المقدس** :

اشترك عبد القادر والشيخ حسن سلامة في وضع الخطة العامة للجهاد المقدس ، وذلك بالتعاون مع عدد من الضباط العرب : مصريين وسوريين وعراقيين واطلع المفتي عليها ، تم عرضها على أعضاء الهيئة العربية العليا في اجتماع لها بمقرها الجديد بضاحية حلمية الزيتون بالقاهرة في مطلع شهر سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٤٧م وشرح للأعضاء خطوطها العريضة والتي تتضمن :

(أ) الاعتماد على الفلسطينيين انفسهم في المعركة الحاسمة مع اليهود .

(ب) مطالبة الدول العربية الشقيقة بإمداد الفلسطينيين بالسلاح والخبرة العسكرية .

(ج) إعلان قيام حكومة عربية تتحدث باسم عرب فلسطين .

(د) مناشدة الشعوب العربية والإسلامية وحكوماتها تقديم المساعدة المالية لعرب فلسطين ، وشرح القضية في المحافل الدولية .

وعندما تأكدت للدول العربية نوايا الدول الكبرى المتجهة لتقسيم فلسطين دعيت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية إلى عقد جلسة استثنائية بمصيف «عاليه» بالجمهورية اللبنانية ، وسافر الوفد الفلسطيني سرّاً – بطائرة خاصة – إلى بيروت وكان مكوناً من : محمد أمين الحسيني – عبد القادر الحسيني – منيف الحسيني – حسن سلامة – اميل الغوري ، وأربعة مسلحين من رجال الجهاد المقدس .

كما وجهت الدعوة لجميع أعضاء الهيئة العربية العليا للحضور إلى لبنان فوصلوها فعلاً خلا السيد جمال الحسيني الذي كان غائباً في نيويورك .

«وعقدت الهيئة العربية العليا اجتماعاً سرياً في بيت عمر الداعوق الصيفي في عاليه . حضره عبد القادر الحسيني وحسن سلامة وصبحي الخضراء الذي دعي إلى الاجتماع للإستنارة بآرائه العسكرية ، وعرضت في هذا الاجتماع السري خطة الجهاد المقدس ، فدار نقاش حاد حولها بين عبد القادر وصبحي الخضراء ، حال

سماحة المفتي دون تفاهه ، وانتهى الاجتماع بتفويض سماحته بالبحث مع أقطاب الجامعة العربية بشأن موضوع الدفاع عن فلسطين وخطة الجهاد المقدس»[٩] .

وعقد اجتماع مجلس الجامعة العربية برئاسة محمود فهمي النقراشي رئيس الحكومة المصرية للبحث في موضوع الدفاع عن فلسطين وبعض الشؤون السياسية الأخرى ، وقد شكل المجلس لجنة عسكرية ضمت عدداً من كبار العسكريين العرب برئاسة اللواء الركن اسماعيل صفوت – العراق – ، وعضوية العقيد محمود الهندي – سورية – والمقدم الركن شوكت شقير – لبنان – بهجت طبارة – شرق الأردن ، صبحي الخضرا – فلسطين – .

وقد كلفت هذه اللجنة «بدراسة القضية الفلسطينية من الناحية العسكرية ومعاونة أهل فلسطين في الدفاع عن انفسهم وكيانهم ، وذلك بالإشراف على إدارة العمل وتنظيمه وصرف الأموال التي تخصصها الدول العربية لمعاونة أهل فلسطين»[١٠] .

وبعد عدة أيام قضتها اللجنة العسكرية في دراسة مستفيضة قدمت تقريرها الأول في التاسع من اكتوبر (تشرين أول) سنة ١٩٤٧ م أفادت فيه بأن لليهود في فلسطين منظمات وتشكيلات سياسية وعسكرية وإدارية على درجة قصوى من النظام والاحكام وفي وسعها أن تنقلب فوراً إلى حكومة صهيونية لها كل ما تحتاج إليه من الوسائل والوسائط اللازمة للحكم . وان لديهم قوة كبيرة من الرجال والسلاح والعتاد في الوقت الحاضر تقدر بـ ٦٥ – ٧٥ ألف مقاتل من الهاغانا والارغون وشتيرن . وفي أمكانهم تجنيد قوات احتياطية كبيرة فيما إذا أعلنوا النفير العام» .

وحذر التقرير من الخطر المحدق بالفلسطينيين القاطنين وسط الاكثريات اليهودية واحتمال ممارسة اليهود إلى القتل الجماعي ضدهم لأن الصهاينة يخشون «بقاء عرب فلسطين وراء ظهورهم خاصة وإن لهم تجارب وخبرات قتالية ضد بريطانيا والصهاينة طيلة سنوات الاحتلال والانتداب»[١١] .

---

(٩) اظهار حقائق وتفنيد اباطيل – اميل الغوري – عمان – ١٩٧٤م .
(١٠) محنة فلسطين واسرارها السياسية والعسكرية – صالح صائب الجبوري
(١١) النكبة – عارف العارف – الجزء الأول .

لذلك أوصت اللجنة بتأليف قيادة عربية عامة ، وأن يعيّن المرجع الأعلى لهذه القيادة من كافة الدول الأعضاء بالجامعة العربية ، وإلى أن يتم ذلك يجب أن يمد الفلسطينيون بمقادير وافية من الاسلحة لا تقل عن عشرة آلاف بندقية وبالرشاشات والقنابل اليدوية والألغام كدفعة أولى ، «مع المواد الهندسية اللازمة والاسمنت خاصة ليستطيعوا بناء وسائل الدفاع عن الأحياء في المدن والقرى العربية ، بالإضافة إلى تخصيص الأموال اللازمة لتنفيذ مثل هذه المشاريع لحماية عروبة فلسطين»[١٢]

كما أوصت اللجنة بفتح أبواب التطوع أمام جميع المواطنين العرب ، والعمل على تدريبهم وتسليحهم لاتاحة الفرصة لهم في المشاركة الفعالة لإنقاذ فلسطين . وكان تقرير الهيئة العربية قد تضمن ضرورة أن يكون الفلسطينيون هم الأساس في الدفاع عن بلادهم ، لأنهم أخبر بمواقعها ومسالكها ، ولأنهم أشد تصميماً واستماتة في الذود عن أهليهم وأموالهم وبلادهم ، يضاف إلى ذلك انهم أقل نفقة من المتطوعين أو الجنود القادمين من خارج فلسطين ، وجاء في التقرير أيضاً ان الجيوش النظامية للدول العربية ينبغي أن ترابط على حدود فلسطين دون دخولها ، وذلك لتقوية الفلسطينيين ومساعدة المجاهدين عند الضرورة بصفة متطوعين[١٣] .

هذا وقد عهدت اللجنة السياسية إلى اللواء الركن اسماعيل صفوت برئاسة اللجنة العسكرية موصية بوضع توصيات اللجنة العسكرية موضع التنفيذ الفوري .

وبالفعل اتخذت اللجنة العسكرية مقراً لها في «قدسية» إحدى ضواحي العاصمة السورية ، وعهدت الحكومة السورية إلى الفريق طه الهاشمي مهمة الإشراف العام على تعبئة وتدريب كافة المتطوعين من فلسطينيين وعرب ثم مفتشاً عاماً لقوات المتطوعين ، كما تم انشاء مدرسة للتدريب في معسكر (قطنة) قرب دمشق ، وقد افرزت وزارة الدفاع السورية مجموعة من الضباط السوريين للقيام بمهمة إعداد وتدريب المتطوعين .

وفي الحقيقة كانت مقررات مؤتمر «عاليه» مفيدة جداً للقضية الفلسطينية لو انها طبقت بحذافيرها .. وخاصة ذلك البند الذي ينص على انه «يجب أن يترك

---

(١٢) جيش الانقاذ – هاني الهندي – دار القدس – بيروت .

(١٣) من مذكرات السيد محمد أمين الحسيني – الحلقة ٦٤ ، نشرة فلسطين – حزيران سنة ١٩٧٤م .

للفلسطينيين أنفسهم عبء الدفاع عن بلادهم على أن تزودهم الحكومات العربية بالمال والسلاح والخبراء العسكريين»[١٤] .

ولقد اثارت هذه التوصية بالذات حنق السياسة الاستعمارية التي مارست عملية الضغط على عدد من المسؤولين العرب للحد من مثل هذه التصرفات ، وبدا ذلك واضحاً حين تقدم الجنرال كلايتون مدير المخابرات البريطانية في الشرق الأوسط (ومقره القاهرة) بمذكرة إلى الجامعة العربية باسم بريطانيا معارضة فيها تسليح الفلسطينيين وتدريبهم ومعتبرة ذلك «عملاً غير ودي » لأن بريطانيا ما زالت موجودة في فلسطين .

وقد كان لبريطانيا بعض ما ارادت ، فقد تقلّص عدد المقبولين من المتطوعين العرب في معسكر (قطنة) . كما أن اللجنة العسكرية لم تقدم لعرب فلسطين سوى ألف وستمائة بندقية فقط[١٥] من أصل عشرة آلاف موصى عليها .. وحتى هذه الكمية الضئيلة يبدو انها سحبت من المتاحف الحربية لبعض العواصم العربية . وحملت إحدى الطائرات العسكرية التابعة لإحدى الدول العربية الكبيرة الجزء الأكبر من هذه الكمية (٩٧٢) بندقية . وأفرغت هذه الحمولة في قرية (أسكاكة) فكانت عبارة عن (٢٣٧) بندقية نمساوية قديمة جداً ، وتعرف بالخديوية ، وقد غنمها الوهابيون من الجيش المصري في حربه مع الوهابيين في القرن الماضي ، (٢٣٣) بندقية المانية – (٢٤٤) بندقية من مختلف الأنواع : انجليزية والمانية وفرنسية وتركية وهندية لا تصلح أبداً للاستعمال و (٢٥٨) بندقية نمساوية وروسية مفقودة العتاد (ولم يبق من هذه الشحنة الكبيرة التي أخذت طائرة لنقلها وحسبت على شعب فلسطين الا ١٧٧ بندقية تصلح للاستعمال بعد تعميرها»[١٦] .

وبهذه الأسلحة ومثلها أرادوا هزيمة الاعداء ! ! .

---

(١٤) النكبة – عارف العارف – الجزء الأول .
(١٥) المقاومة العربية في فلسطين – ناجي علوش ص ١٦٢ .
(١٦) اظهار حقائق وتفنيد اباطيل – اميل الغوري .

الباب الرابع

اصدار قرار التقسيم

- **إصدار قرار التقسيم :**

عرض مشروع التقسيم المقترح من قبل اللجنة الدولية ، فحاز بموافقة (٢٥) صوتاً . مقابل (١٣) صوتاً ضد القرار ، وامتنعت (١٧) دولة عن التصويت .

وهذه النسبة لا تضمن للمشروع نجاحه عند التصويت عليه في الجمعية العمومية بسبب ضرورة حصوله على أغلبية الثلثين .

وفي هذا الحين برز دور الولايات المتحدة الأمريكية لإنجاح المشروع بأية وسيلة ، ولو بطريق التضليل والرشوة والإرهاب . مما نتج عنه أخيراً صدور قرار التقسيم في ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٤٧م بأغلبية ٣٣ صوتاً (بدلاً من ٢٥) ، مقابل (١٣) صوتاً ضد القرار ، وامتناع عشر دول عن التصويت (بدلاً من ١٧) .

ولسنا هنا بصدد عرض لأساليب الامبريالية العالمية لإنجاح المشروع ، وحسبنا ان نورد بعض الآراء في هذه المسألة :

- يقول البروفيسور الأمريكي ميلر بوروز «... وعلى عاتق حكومتنا تقع مسؤولية اقرار التقسيم في الأمم المتحدة . فقد فرضت حكومتنا هذه النتيجة فرضاً . بعد أن لجأت دون حياء أو خجل إلى اصطناع سياسيات القوة التي انقضى عهدها .

ولقد كان القرار برهاناً معيباً على أن في وسع أساليب التهديد والضغط التي تخلو من التحفظ ، وتفتقر إلى الأخلاق ، أن تسيطر على منظمة دولية ، أقيمت لغاية نبيلة سامية ، وهي تحقيق العدل الدولي ، كما كان في الوقت نفسه قاضياً على كل ما للعالم من ثقة بالولايات المتحدة وبالأمم المتحدة نفسها »[1] .

– وقال جيمس فورستال وزير الدفاع الأمريكي السابق في معرض تعليقه على اصدار قرار التقسيم : « .. لقد خسرت امريكا الكثير من مكانتها في العالم العربي بسبب موقفها في فلسطين ، ولا ريب في أن الأساليب التي اتبعت لغرض الاكراه والضغط على الدول الأخرى في الجمعية العامة كانت أقرب إلى الفضائح منها إلى أي شيء آخر » .

– وقال مندوب دولة هايتي والدمع يترقرق من عينيه : «انني ما زلت عند رأيي الشخصي في معارضة التقسيم ، لكنني بصفتي ممثلاً لحكومتي لا يسعني إلا أن انزل عند ارادتها في الموافقة على المشروع » .

«قال هذا بعد أن رفض استلام مبلغ أربعين ألف دولار أمريكي كرشوة » .

– أما الارهابي الصهيوني حايم وايزمان فقال مخاطباً الوفد الفرنسي في هيئة الأمم المتحدة : «يا قوم ... اعطونا نحن اليهود نصف فرصة .. ونصف فرصة فقط ونحن نكشف للعالم ان حكاية قوة العرب ، وتماسك العرب ، ونفوذ العرب هي حكاية كلها كذب في كذب » ! ! .

كما قال للوفد الأمريكي في تحد وتبجح : « انني لا أضارب بمليم واحد في بورصة اسطورة (قوة العرب) ! ! .

– أما الارهابي الضليع «مناحيم بيجن» زعيم عصابة الأرجون ورئيس وزراء الحكومة الصهيونية فيما بعد فقد قال في معرض مذكراته عن قرارات هيئة الأمم التي تدين الكيان الصهيوني « ... أما من ناحية قرارات هيئة الأمم فكنا نستطيع أن ندبر ذلك ، ففي مثل هذه الحالات لا وجود للأخلاق والمثل العليا ، لقد كنا في حالة حرب ، وكانت المشكلة مشكلة حياة أو موت »[2] .

---

(١) ميلر بوروز – مشكلة فلسطين شغلنا الشاغل .

(٢) من كتاب الثورة – تأليف مناحيم بيجن . ترجمة سمير صنبر صفحة ٦٠ .

المهم .. على أسوأ حال اصدر اقرار التقسيم ، وصفق له اليهود وهللوا ، وأخذ الكثيرون منهم يهتفون «لقد أصبح لنا الآن دولة» . بينما اعترت وجوه العرب مسحة كئيبة من الحزن والأسى .

وقد علق القائد عبد القادر الحسيني على هذا القرار الجائر بقوله «لقد اتخذت هيئة الأمم المتحدة قراراً مزوراً غير عادل فيما يتصل بفلسطين ، وقد حاولنا بالوسائل الديبلوماسية اقناع هذه الهيئة بالرجوع إلى منطق العقل ، ولكن يبدو انه لم يعد لهذا الاسلوب من الكلام أي أثر» . واختتم تعليقه بقوله : «سنقاتل إلى النهاية ، وسيقاتل ابناؤنا واصدقاؤنا من بعدنا ، فنحن مصممون على القتال ، وان كنا لا نرغب الا أن نعيش في سلام ، غير أن الدول الكبرى تريد غير ذلك»[٣] .

- تأليف اللجنة الخماسية :

يتضمن قرار التقسيم وجوب تأليف «لجنة خماسية» مكونة من بعض الدول الأعضاء في الأمم المتحدة مهمتها الاشراف على تسليم السلطة من بريطانيا واعطائها إلى العرب واليهود ، وقد عين المستر رالف بانش سكرتيراً لهذه اللجنة ، وقد دعت اللجنة كلاً من العرب واليهود لتعيين ممثليهم فيها ، فرفضت الهيئة العربية العليا تعيين من يمثلها بحجة انها رافضة لقرار التقسيم اصلاً .

وقد سئل قائد الثورة عن رأيه في تكوين هذه اللجنة فأجاب «لن نمكن أعضاء اللجنة الأجانب الخمسة من إنجاز أي عمل يراد به تقسيم فلسطين ، فنحن أقوياء على الرغم من قلة عددنا ، لأننا نؤمن بقضيتنا ، ولأننا نعلم اننا مؤيدون من جميع الشعوب التي تريد مثلنا أن تحيا في سلام ، ونعلم اننا مؤيدون من الشعوب التي ليست لها مطامع خفية كحكوماتها»[٤] .

وبتاريخ ٦ من فبراير (شباط) سنة ١٩٤٨م رفعت اللجنة الخماسية تقريرها إلى السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة ، وفيه اتهام صريح للعرب بأنهم يعملون على تغيير قرار الهيئة الدولية بالعنف ، وعلى هذا الأساس ترى اللجنة انه لا بدّ من ارسال قوة دولية إلى فلسطين لتنفيذ القرار بالقوة ، ومرة ثانية يعلق القائد بهذا الخصوص

---

(٣) أوراق مجموعة - محمد علي الطاهر .

(٤) المرجع السابق .

«انه لا يعتقد ان قوة دولية ترسلها هيئة الأمم المتحدة إلى فلسطين يمكن أن تحقق أي غرض سوى زيادة الدماء التي تراق على الأرض المقدسة. إن هيئة الأمم المتحدة تريد أن تفرض التقسيم فرضاً، وستفشل هذه الهيئة فيما تريده»[٥].

وكما هو متوقع فشلت اللجنة الخماسية في مهمتها لأن بريطانيا رفضت تسليم سلطاتها للجنة، وكذلك رفضت الموافقة على تأليف القوة الدولية مبررة ذلك بأنها لا نريد أن تفرض مشروعاً لا يكون مقبولاً لدى العرب واليهود على حد سواء.

- جيش الإنقاذ:

لقد سعت بريطانيا - متكلة على عملائها في المنطقة العربية - لإجهاض مقررات مؤتمر «عاليه» وبخاصة القرارين المتعلقين بوجوب تسليح الفلسطينيين وتدريبهم وتنظيمهم ليتولوا عبء الدفاع عن بلادهم «وفتح أبواب التطوع أمام العرب للمشاركة في انقاذ فلسطين، وتقديم كافة المستلزمات الضرورية لإعداد هؤلاء المتطوعين.

لاجل ذلك عمدت إلى فرض حظر واسع النطاق على بيع السلاح لبعض الدول العربية في الأسواق الأوروبية، وحجب السلاح الجيد عن الفلسطينين والسماح بإرسال الأنواع الرديئة منه، وممارسة عملية التسويف في دفع الالتزامات المالية التي قررتها بعض المؤتمرات العربية في السابق. وهناك جانب آخر من المسألة وهو المتعلق بغضبة الجماهير على امتداد الساحة العربية كلها ضد إقرار التقسيم، ورغبتها الملحاحة في احباطه والتصدي لتنفيذه بشتى الطرق وبمختلف الأساليب.

وبعد مشاورات عاجلة تمت بين بريطانيا وعملائها في المنطقة العربية بشأن هذا الوضع ووفق في نهاية الأمر على إنشاء جيش من المتطوعين العرب اطلق عليه عبثاً اسم «جيش الانقاذ». وقد وضعت عدة كوابح مع هذه الموافقة تتمثل فيما يلي:

(أ) ان تكون مشاركة هذا الجيش في الأعمال الحربية بفلسطين مشاركة صورية وبغرض امتصاص غضبة الجماهير العربية، ولإظهار المشاركة العربية في الحفاظ على عروبة فلسطين.

(ب) تقييد الحجم الكمي والكيفي لهذا الجيش.

---

(٥) المرجع السابق

(ج) تقليص عمليتي التسليح والتحريك .

(د) محاولة إجراء عمليتي ارباك في ساحتي فلسطين : العسكرية والسياسية .

(هـ) عدم ممارسة القتال الفعلي في فلسطين قبيل انتهاء مدة الانتداب البريطاني في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨م .

(و) محظور على الجيش ان يعسكر في مناطق قريبة من المراكز اليهودية (أو هكذا أراد كلايتون) .

ويرى أحد الدارسين العرب بأن الانجليز وأعوانهم قد اعتبروا جيش الانقاذ «وسيلة أو بالأحرى شرّاً لا بدّ منه لتقليص حجم الكفاح الفلسطيني ، بعد أن تبيّن لهؤلاء استحالة الوقوف في وجه الجماهير الغاضبة ، وصعوبة اعلان تأييدهم قرار التقسيم ، ومعارضة الدعوة للكفاح المسلح بسبب تلك الحماسة الشعبية الجارفة لمقاومة قيام دولة يهودية في فلسطين»[1] .

هذه الكوابح جميعها تشكل منطقة الاظلام الدامس في فكرة تكوين جيش الإنقاذ إذا نظرنا إليها بالمنظار اليعربي الأصيل .

أما المنطقة الثانية فهي منطقة الإشراق الساطع في الفكرة الرائعة لتكوين هذا الجيش ، والتي شخصت إليها آلاف «العيون الظماء للنور» في شتى الامصار العربية والإسلامية .

لقد وجدت الآلاف المؤلفة من الشبان العرب في فكرة جيش الانقاذ تجسيداً حيّاً لإرواء ظمئها في الكفاح ، واشباع نهمها في التضحية من أجل ابقاء عروبة فلسطين .

وانطلاقاً من هذه القاعدة الوطنية الصلبة تدفقت مجموعات هائلة من المتطوعين العرب لتقديم انفسها إلى الجهات المعنية بأمور التطوع .. في كل من دمشق وبيروت وبغداد والقاهرة .. وإلى ساح الجهاد بفلسطين زحفت عشرات المئات من المقاتلين الاشداء من قبائل الأردن العريقة وفي مقدمتهم قبائل الحويطات وبني صخر والعبيدات وبني خالد بوجه أخص واشتركوا في معارك القدس وباب الواد والجليل .

---

(١) هاني الهندي – مجلة شؤون فلسطينية العدد ٢٣ – تموز (يوليو) سنة ١٩٧٣م .

كما اتجهت اعداد وفيرة من المتطوعين العرب القادمين من الشمال الأفريقي وبخاصة من المغرب وتونس وليبيا والتي طوت في مسيرتها الطويلة مسافات شاسعة لتصل إلى مصر ومن ثم إلى فلسطين.

ومنذ اللحظة الأولى التي تقرر فيها تكوين هذا الجيش برز الخلاف الحاد على اختيار الشخص المناسب الذي يتولى قيادته، وفي النهاية تقرر تعيين المجاهد فوزي القاوقجي قائداً عاماً لجيش الإنقاذ.

وان أحداً لا يستطيع نكران الدور الوطني الذي اضطلع به القاوقجي في المشاركة العملية في الثورات العربية في كل من سورية والعراق وفلسطين إلا أن بعضاً من المطلعين يبدون نوعاً من التحفظات المشوبة بالحذر نحو الدور الذي مارسه القاوقجي ابان قيادته لجيش الإنقاذ في فلسطين منذ ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٤٧ حتى منتصف نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٤٨م.

اثار دخول القاوقجي إلى فلسطين مشاعر الحماس المتأجج في الصدور وخاصة عند الشعب الفلسطيني الذي ارتأى فيه «قائداً للتحرير» وفي جيش الإنقاذ منقذاً لفلسطين. وقد عبّر القاوقجي عن هذا الهدف بقوله في أول خطاب له بفلسطين «أتيناكم بقلب واحد ولهدف واحد هو: الغاء قرار هيئة الأمم المتحدة في التقسيم، ودك معالم الصهيونية وتصفيتها نهائياً، وتنفيذ قرارات الجامعة العربية وتثبيت عروبة فلسطين»[٢]..

اليس من حق المواطن العربي أن يتساءل اليوم: هل كان هذا فعلاً هو هدف القائد؟ وهل كان الضباط والجنود يعملون بهذا الهدف ويعملون من أجله؟ لنفترض جدلاً بأن الأجوبة عن تلك التساؤلات موجبة فهل كان عدد الجيش كافياً لتنفيذ تلك المهام؟ وماذا بشأن تسليحه؟ وهل يمتلك ذلك الجيش قدراً معقولاً من الكفاءة القتالية تؤهله للمشاركة الفعلية التي تضمن له احراز النصر؟.

لا بأس في أن نطلع القارئ على نموذج لتخبط الإعلام العربي في تلك الآونة يتعلق بعدد قوات جيش الإنقاذ.

– اشارت جريدة «النهار» اللبنانية بأن عدد الجيش قد بلغ (١٥) ألف جندي[٣].

---

(٢) جريدة النهار البيروتية بتاريخ ١٩٤٨/٣/٩م

(٣) ١٩٤٨/١٢/١٣م.

- ذكر أحد العسكريين العرب ممن شاركوا في هذا الجيش إلى «ان عدد المتطوعين في هذا الجيش قد بلغ عشرة آلاف في البداية ، إلا أن قسماً منه استنكف ولم يبق سوى خمسة آلاف ، إلا انه سار فعلاً منهم حتى شباط (فبراير) سنة ١٩٤٨م بالدقة (٤٦٣٠) متطوعاً من سائر البلاد العربية»[٤] .

- يقول المؤرخ الفلسطيني عارف العارف بأن عدد المتطوعين الذين تم تدريبهم في معسكر الجيش السوري بقطنا في ١٩٤٨/٢/٨م بلغ (٤٩٧٦) كان منهم (٢٩٨٧) سورياً ، (٨٠٠) فلسطيني. و (٨٠٠) عراقي ...الخ .

- المصادر البريطانية في فلسطين قدرت عدد القوات التي دخلت فلسطين للعمل تحت امرة القاوقجي بستة آلاف (٦٠٠٠) رجل .

- أكدت الدوائر العربية في القدس ان عدد هذه القوات يبلغ (١٥) ألف مقاتل[٥] .

- أما أكثر التصريحات العربية الرسمية جنوحاً إلى الخيال فهو تصريح لوزير الدفاع السوري وعضو اللجنة العسكرية أدلى به إلى مراسل جريدة الاهرام ذكر فيه أن عدد أفراد جيش الإنقاذ قد بلغ سبعين ألف مقاتل (٧٠.٠٠٠)[٦] .

هذا وقد تبين فيما بعد ان عدد قوات جيش الإنقاذ لم يتجاوز السبعة آلاف رجل .بالنسبة لمستوى التدريب العسكري فكان متدنياً بصورة واضحة. يشهد أحد العسكريين العرب ممن اشتركوا في تجربة جيش الإنقاذ «إن المتطوع كان يدخل معسكر التدريب وبدلاً من أن يتلقى فيه قدراً كافياً من التدريب والضبط العسكري كان يخرج وهو على حالة من الفوضى. بالإضافة إلى قصر مدة التدريب»[٧] .

ويحلل هذا الوضع أحد ضباط المدفعية العرب الذين شاركوا في أعمال جيش الإنقاذ : «لم يكن تدريب جنود الإنقاذ في مستوى لائق فكانوا يعملون كعصابات أو كأفراد يدخلون ويخرجون من المعركة متى شاءوا وبدون أمر ، وكان الجميع يخشون الليل ، ويتركون أماكنهم بمجرد الهجوم عليهم ليلاً ، ولم يكن لديهم انضباط نار ،

---

(٤) حرب فلسطين عام ١٩٤٨م . محمد فائز القصري – دمشق – ١٩٦٢ .
(٥) جريدةالف باءالسورية بتاريخ ١٩٤٨/٣/٧م .
(٦) جريدة الاهرام ٩ مارس ١٩٤٨م .
(٧) من مأساة فلسطين – عامر حسك – بغداد سنة ١٩٦٠م .

أي كانوا يطلقون النار بكميات كبيرة ثم ينسحبون بعد أن تنفد ذخيرتهم ، وربما لاستلام ذخيرة جديدة ، ولم تستخدم المعدات الحديثة كأجهزة اللاسلكي ، والمخابرات اللازمة ، وادوات الهندسة الضرورية وما يتبعها من الغام وأفخاخ ، ولم تستخدم المدفعية رغم وجودها في المهمات المناسبة . لقد استخدم المدفع لاحتلال الأهداف والقضاء على المقاومات الصغيرة عوضاً عن المشاة والمغاوير ، وأحياناً كان المدفع يقف في الصفوف الأولى قبل المشاة لرفع المعنويات والمحافظة على الخطوط الأمامية »[٨] .

ويرى السيد هاني الهندي ان التدني في مستوى التدريب العسكري في الانقاذ كان ظاهراً ، وهو دون العدو بكثير ، ولا تجوز المقارنة . ولكن مع ذلك كان من الممكن التقليل من آثاره السلبية إلى حد كبير لو اهتمت قيادة الإنقاذ بالجانب الآخر من التدريب والإعداد ، أي بالتوجيه السياسي والتعبئة المعنوية والشحن الروحي .

على كل حال هذه صورة عابرة لحال ذلك الجيش العربي الذي دخل لإنقاذ فلسطين ، خليط من البشر.. تجمع بين أفراده الرغبة الصادقة في الجهاد .. ولا يملكون المقدرة اللازمة . ولا الخبرة الضرورية لتحقيق هذه الرغبة ، وواضح ان هذا الجيش لم يحقق شيئاً من «الإنقاذ» كي يصبح هذا اللقب حلالاً على افراده وقادته ، برغم ان بعض فصائل هذا الجيش قد اشتركت فعلاً في معارك باب الواد والقدس وغيرها ، وسجلت بعض الانتصارات والبطولات التي لا تنسى . ولكن بالمقابل فإن هذا الجيش قد خسر عشرات المعارك مع العدو الصهيوني ، وان بعض حامياته قد انسحبت من مدينتي القدس ويافا عندما اشتد الخطر عليها بعدما تركت الكثير من اسلحتها !! .

وتؤكد تقارير المقاومة الفلسطينية في تلك الآونة بأن بعض مفارزها كانت تهب لنجدة بعض وحدات جيش الإنقاذ حينما يضيّق عليها الصهاينة الخناق كما حدث في معركتي الزراعة والخضيرة وغيرهما .

أما عندما يشتد الخطب ببعض وحدات المجاهدين الفلسطينيين وتستجير بجيش الانقاذ فسرعان ما يعتذر قادته بحجة عدم الرغبة في اغضاب بريطانيا .. وفي مأساة دير ياسين أوضح الدلائل واسطع البراهين .. ففي الوقت الذي هوجمت فيه القرية الوديعة بطائرات ودبابات العدو بشراسة متناهية تسلل بعض سكانها إلى أحد

---

(٨) حرب فلسطين عام ١٩٤٨م – العميد المتقاعد محمد فائز القصري . دمشق سنة ١٩٦٢م .

معسكرات جيش الانقاذ القريبة منهم في قرية «عين كارم».. وطلبوا النجدة.. فما انجدهم منجد، ولا انقذهم منقذ !! وكانت مأساة دير ياسين..

هذا عن الجانب القتالي لدى «جيش الانقاذ» فماذا عن الجانب السلوكي لدى بعض أفراده ووحداته ؟.

يقول السيد أحمد فراج طايع أحد الديبلوماسيين العرب – قنصل مصر العام في فلسطين ١٩٤٨، ضمن خطاب بعث به للوزارة المصرية بتاريخ ١١ من يوليو (تموز) سنة ١٩٤٨م «... ويهم الوزارة ان تعلم ان هذا الجيش قد ترك اسوأ الأثر في المنطقة التي كان يعمل فيها سابقاً، وهي منطقة نابلس – طولكرم – جنين، فقد استولى على كل ما وقعت يده عليه، فنهب المستشفيات وسرق بالإكراه مئات السيارات من أصحابها الفلسطينيين، وكان بعض ضباطه يعملون كما يعمل قطاع الطرق، وارتفعت الشكوى منه في كل مكان احتله، وتكلم بعض الزعماء الفلسطينيين مع القاوقجي عن تصرفات جيشه فلم يحرك ساكناً»[٩].

لم يقف سلوك بعض المتطوعين العرب عند هذا الحد، بل ان كثيراً منهم كانوا يستهدفون أموال الأهلين وخرافهم بل ودجاجهم وحمائمهم، ولم يتورعوا أيضاً عن الاعتداء على أعراض الفلسطينيات وبخاصة في الشمال الفلسطيني.

وجاء في تقرير طه الهاشمي المرفوع لجمعية انقاذ فلسطين ببغداد سنة ١٩٤٩م ما يلي: «ان محكمة قوة اليرموك حكمت على الملازم شناوة عود والمرشح اسماعيل قاطع اللذين جاءا مع عادل نجم الدين (من المتطوعين العرب) إلى يافا بالسجن ثلاث سنوات لانصرافهما إلى سلب المدنيين الفلسطينيين وزجهم في السجون وتعذيبهم وبيع الأسلحة بدلاً من الدفاع عن المناطق المكلفين بها»[١٠].

كما جاء في تقرير سابق للهاشمي نفسه «ان الملازم مهدي صالح (من متطوعي جيش الانقاذ) تصرف بالأسلحة تصرفاً غير مشروع، وانه باع في أسواق بيروت تلك الأسلحة مع الأسلحة التي غنمها المجاهدون من العدو، وانه سجن شهراً وطرد من الخدمة»[١١]..

---

(٩) صفحات مطوية عن فلسطين – أحمد فراج طايع ص ١٦٢.
(١٠) تقرير طه الهاشمي بتاريخ ٦ تموز (يوليو) سنة ١٩٤٨م.
(١١) تقرير طه الهاشمي رقم ٥١٠٧ بتاريخ ٦ تموز (يوليو) سنة ١٩٤٨م.

وقبل ان نختتم حديثنا عن «جيش الانقاذ» نعيد تسجيل جانب من اللقاء السري المثير الذي تم بين فوزي القاوقجي القائد العام لجيش الانقاذ وبين أحد الأعضاء السريين في عصابة «الهاغاناه»، كما يرويه الصحافيان «دومينيك لا بير» و«لاري كولينز» مؤلفا كتاب «ايه يا قدس»[١٢]:

كان اليهودي «يهوشوا بالمون» يحاول الاتصال بفوزي القاوقجي سرّاً، وكان هذا العميل للمخابرات في الوكالة اليهودية يتقن اللغة العربية، وقد عاش فترة من الزمن في الصحراء مع قبائل البدو، وبقي في سوريا سنة كاملة متنكراً بزي بائع متجول ومتنقلاً من مكان لآخر على ظهر بغل، وقد كان «يهوشوا» مقتنعاً بأن الصهيونية تستطيع أن تستثمر إلى أبعد حد النزاع العنيف بين القاوقجي والحاج أمين.

وأخيراً تم اللقاء بينهما واستمر لمدة ساعتين، وفجأة نقل «بالمون» الحديث إلى ما يتعلق بالحاج أمين الحسيني، فغضب القاوقجي فجأة، وراح برغم وجود عدد من مرؤوسيه يهاجم عائلة الحسيني، ويصفها بأنها «عائلة قتلة» وان اطماع الحاج أمين مناقضة لمصالح الأمة العربية.

ولما اشار «بالمون» إلى عبد القادر الحسيني وصفه القاوقجي بأنه يغذي اطماعه السياسية، وعندما غذى بالمون هذه الغضبة قال القاوقجي: (النص الحرفي): انني لا ابالي بعبد القادر الحسيني، بل انني آمل أن تلقنوه درساً لا ينساه، لا سيما انه لا يستطيع الاعتماد على أية مساعدة من ناحيتي، لأنني عاكف الآن على تهيئة انتقامي بعد فشل قواتي في «ثيرات زفي» يجب أن اهزمكم، وسأقاتلكم بعنف، واسحقكم في وادي جزارئيل عما قريب!» وكانت نتيجة تحديد مكان هذا الهجوم في «وادي جزرائيل» عشرات من الشهداء والجرحى ضحية للورم الدعائي!!.

وفي نهاية المطاف تطالعنا كلمات. السيد عبد الرحمن عزام الأمين العام السابق للجامعة العربية «... لقد تورطنا.. فلم أظن اننا سندخل الحرب بهذا الشكل كنت اعتقد أن تهديدات العرب بالدخول إلى فلسطين لن تصل إلى حيز التنفيذ، وإنما هي بضاعة خاصة للاستهلاك في الأمم المتحدة»!![١٣].

---

(١٢) مجلة الحوادث اللبنانية – ربيع مطر بتاريخ ١٩٧٢/٦/٣٠م العدد ٨١٧.
(١٣) ماذا جرى في الشرق الأوسط – ناصر الدين النشاشيبي.

الباب الخامس

١ – عبد القادر في فلسطين
يقود مجاهديها ويقدح زناد ثورتها

بعد مرور أقل من شهر على اصدار قرار التقسيم تسلل عبد القادر وبعض رفاقه سرّاً إلى أرض فلسطين فدخلها بتاريخ ٢٢ من ديسمبر (كانون أول) سنة ١٩٤٧م. بعد أن أدرك ابعاد الخطر الداهم الذي يتهدد وطنه وأمته «ولقد كان عبد القادر أول من دخل فلسطين ليقود ابناءها في نضالهم ضد الاعداء. وقد خاض كل المعارك التي وقعت قبل دخول الجيوش العربية تقريباً. والتي انتهت جميعها بالنصر والفوز إلى أن كانت معركة القسطل»[1].

وفي نفس الوقت اجتاز الحدود الفلسطينية عدد من المجاهدين القادمين من سورية ولبنان ومن بينهم المجاهد الكبير الشيخ حسن سلامة. والتقوا جميعاً بعبد القادر.. واخذوا يرسمون خطة جديدة للبدء في المرحلة القادمة من الجهاد فأعادوا تشكيل قوات الجهاد والقدس، واتخذت بلدة بئر زيت – قضاء رام الله – مقراً رئيسياً لتلك القوات، وتألفت في حيفا والناصرة وجنين وغزة قوات أخرى تابعة لها. وتشكلت القيادة العليا كالآتي:

– عبد القادر الحسيني قائداً عاماً.

– كامل عريقات نائباً للقائد العام.

---

(١) كارثة فلسطين – عبد الله التل.

- قاسم الريماوي اميناً للسر .
- داود الحسيني مفتشاً عاماً للشؤون الادارية .

وكانت الهيئة العربية العليا لفلسطين تقوم بالانفاق على هذه القوات .. التي كان لها فيما بعد دور بارز في فترة شديدة الحساسية في تاريخ القضية الفلسطينية ، برغم قصر أجل هذه القوات الذي لم يزد عن العامين ، حيث صدر قرار حلّها رسمياً من مكتب الهيئة العربية العليا بالقاهرة بتاريخ ١٥ من مايو (أيار) سنة ١٩٤٩م .

جيش الجهاد المقدس – التنظيم – التسليح – مسرح العمليات[٢]

المجندون : تتكون منهم القوة الضاربة المتحركة ، وقد كانت الهيئة العربية العليا تؤمن لهم الرواتب والسلاح .

المجاهدون المرابطون : وتتكون تنظيماتهم من المجاهدين المقيمين في القرى . ويقومون بأعمال الدفاع عن قراهم ، وتدفع لهم بعض الأموال وتوزع عليهم الأسلحة حسب الحاجة .

كان عدد المجندين يتراوح بين ٨ – ١٠ آلاف ، والمجاهدون المرابطون بين ١٢ – ١٨ ألف ، وقد قدر عدد المجاهدين الذين تمكنوا من تموين أنفسهم بالمال والسلاح بثلاثين ألفاً .

التسليح : كانت المصادر المختلفة التي اعتمد الجيش المقدس عليها لتأمين السلاح سواء بالشراء أو التبرع من الدول العربية متعددة . مما أدى إلى عدم توحيد السلاح والعتاد ، الأمر الذي أضعف القوة النارية بالنتيجة . وولد المشاكل والصعوبات الإدارية للتموين بالذخيرة ، وقطع التبديل . إلى جانب ضعف الجهاز الفني المختص بالتخزين والتوزيع والصيانة والتصليح . وفيما يلي قائمة بالأسلحة والعتاد التي توافرت لهذه القوات وهي متعددة النماذج والعيارات . ومختلفة الصنع . فبعضها انجليزي قديم . والآخر افرنسي صنع قبل الحرب العالمية الأولى . زد على ذلك بعض البنادق الألمانية والبلجيكية ... الخ .

---

(٢) هذه المعلومات مستقاة حرفياً من كتاب «الحرب الفدائية في فلسطين» للمقدم محمد الشاعر وهو الكتاب الوحيد الذي تعرض لهذا الموضوع بمثل هذه الدقة ، كما انه المرجع الوحيد الذي استطعنا الحصول منه على هذه المعلومات .

(أ) أسلحة خفيفة :

٥,٣٩٦	بندقية مختلفة الصنع
٣٦٤	رشيشة – تومي وستن
٣٠٩	مسدس مختلف الصنع
٣١٩	رشيش افرنسي وانجليزي
١٤٦.٧٤٠	قنبلة يدوية

(ب) أسلحة متوسطة :

١٨٠	رشاش
٢٣	مدفع هاون افرنسي وانجليزي .

(ج) أسلحة مضادة للدرع :

٢٤	مدفع بويز ضد الدبابات .
٦٦	مدفع مضاد للدبابات .

(د) معدات ومواد للتخريب :

٣.٨٦٧	لغم متنوع ضد الدبابات والأشخاص .
٣٣.٠٠٠	صاعق عادي
٨ طن	متفجرات معظمها بارود أسود .

(هـ) الذخائر :

٦.١٠٢.٢١٦	طلقة بندقية
٢٦٧.١١٨	طلقة رشاش
٥٦٦.٢٥٧	طلقة رشيشة
٤.٢٤٢	طلقة مسدس
٧.٤٤٥	طلقة ضد المصفحات
٦٠.٠٩٩	طلقة ضد الدبابات
١٢.٤٨٣	طلقة قنبلة هاون .

يضاف إلى ذلك بعض الأجهزة العسكرية من بدلات واحذية وبطانيات .

توزيع قوات الجهاد المقدس :

لقد بنت القيادة العامة للجهاد المقدس مخططها الدفاعي على أسس تتفق والمهمات العسكرية الكبيرة ، وفقاً لامكاناتها الضئيلة . وعدم توافر الوحدات الكافية للدفاع عن قطاعاتها مترامية الأطراف في المدن والقرى الممتدة من غزة جنوباً إلى الجليل شمالاً .

ان عبء المهمات الملقاة على قوات غير نظامية لم تتوافر لها وسائط المخابرات السلكية واللاسلكية بشكل منظم ، أو وسائل النقل لدفع النجدات من قرية إلى أخرى عند وقوع الخطر ، أضف إلى ذلك عدم توافر الأجهزة الفنية من عسكريين ومدنيين .

كل ذلك أوقع قوات الجهاد المقدس في مواقف يصعب حلها من قبل قوات نظامية ، تفوقها عدداً وقوة ، ومع ذلك فقد تمكنت هذه الوحدات من القيام بأعمال عسكرية تعتبر ناجحة ، إذا ما أخذت بعين الاعتبار أوضاعها المادية والمعنوية ، وانتشارها في مساحات واسعة من أرض فلسطين . لقد وزعت قوات الجهاد المقدس في سبع مناطق رئيسية كانت تغطي أرض فلسطين قبل احتلالها وفقاً للجدول التالي .

١ – منطقة القدس وقواتها :

٤ سرايا متحركة .

٤ سرايا تدمير .

وحدة طبية .

عدة مفارز دفاعية موزعة في أحياء القدس ، وكانت جميع هذه السرايا تقوم بمهمة الدفاع عن القدس وضواحيها .

٢ – منطقة بيت لحم وقواتها :

خمس سرايا – عدة مفارز دفاعية – فصيلين فدائيين .

٣ – منطقة رام الله – سريتان متحركتان – ٦ سرايا من المتطوعين .

٤ – المنطقة الغربية الوسطى – ٣ سرايا متحركة – ٣ سرايا تدمير .

وحدتان طبيتان – ٢٠ – ٢٥ مفرزه – ٣ فصائل تدمير . وقسمت إلى الجبهات التالية :

(أ) جبهة مدينة يافا .

(ب) جبهات القرى الغربية من يافا .

(ج) جبهات اللد وقراها .

(د) جبهات الرملة وقراها .

(هـ) المجدل وقراها .

٥ – المنطقة الجنوبية – ٣ سرايا – عدة مفارز دفاعية ، فصيل تدمير واحد ، وشملت غزة – خان يونس – بئر السبع وقراها .

٦ – المنطقة الغربية – عدة مفارز محدودة . وشملت قلقيليه ، طولكرم ، جنين وقراها .

٧ – المنطقة الشمالية : ٤ سرايا متحركة ، ٣ سرايا تدمير ، وحدة طبية ، ٣٠ – ٣٥ مفرزة ، ٤ فصائل تدمير وشملت : حيفا – عكا – الناصرة – طبرية – بيسان – صفد وقراها .

– من هذا العرض لقوات الجهاد المقدس يتضح لنا خطورة المهمات والواجبات التي القيت على عاتق هذه القوات غير النظامية التي انتظم إلى صفوفها أبناء الشعب الفلسطيني المدرب منهم على حمل السلاح وغير المدرب .

ان هذه القوات تعتبر طليعة العمل النضالي العربي التي انبثقت تنظيماتها من صميم الشعب الفلسطيني ، وكانت في الحقيقة أول مظهر من مظاهر القوات الشعبية التي تحمل في جوهرها صفة الجيش الشعبي في بلد كان يرزح تحت نير الاستعمار البريطاني . ويعاني ابناؤه من الظلم والاضطهاد .

ولقد برهن أفراد قوات الجهاد المقدس انهم الأبناء الحقيقيون لشعب قاوم الاستعمار البريطاني في فلسطين أكثر من ربع قرن وخاض غمار ثورات عديدة للذود عن وطنه متخطياً الصعاب ، بالرغم من قلة الوسائط ، وندرة السلاح . وعدم توافر الخبرة الفنية والعسكرية التي حرمه الاستعمار البريطاني منها في الوقت الذي كان يعمل على توفير كل وسائل الحرب للعدو ، وهو الابن المدلل للاستعمار .

لقد قامت هذه القوات بتنفيذ جزء كبير من واجباتها . فقد تمكنت قوات الجهاد المقدس من اجبار (١١٥) الف يهودي على الاستسلام في مدينة القدس نتيجة حصارهم باحتلال مضيق باب الواد واقفاله . وقاموا بعدة معارك محلية .

ونصبوا مئات الكمائن للقوافل اليهودية . والانجليزية . كما قامت فرق التدمير بنسف العديد من المنشآت والمباني التي تقع في أماكن تعبوية هامة نذكر منها : معمل السبيرتو الواقع عند مدخل يافا – عمارة حزبون – عمارة الوكالة اليهودية – معمل الجير – عمارة المطاحن بحيفا – عمارة شركة سولل بونيه اليهودية .

٢ - قوة الاهارب الصهيوني

تعرفنا في الصفحات السابقة لبيان مفصل عن قوة جيش الجهاد المقدس وهو الجيش الذي تحمل العبء الأكبر في مواجهة القوات الصهيونية والانجليزية على أرض فلسطين. كما اشرنا إلى جيش الإنقاذ.. وعرضنا بعضاً من استعداداته ومواجهاته مع القوات الصهيونية. تلك القوات التي كانت تمتلك مائة دبابة وخمسين مدرعة، وإحدى وعشرين طائرة، مقابل أربعة عشر مدفع ميدان لدى المتطوعين. كما جاء ذلك ضمن تقرير مكتوم رفعه إسماعيل صفوت باشا بوصفه القائد العام إلى رئيس لجنة فلسطين:

وحسبنا ان نورد بياناً مفصلاً عن قوات الإرهاب الصهيوني كما جاء في تقرير لجنة التحقيق الانجلو - امريكية سنة ١٩٤٦: [٣]

كانت الجيوش اليهودية تنتظم في منظمات ثلاث:

١ - الهاجاناه: (الدفاع):

كانت بريطانيا تعترف بهذه المنظمة كحرس للمستعمرات اليهودية. وأصبحت تبعاً لذلك جيشاً يهودياً مدرباً. وكانت هي القوة الحربية الرئيسية والرسمية لدى اليهود في فلسطين وتضم ٦٢ ألف (٦٢.٠٠٠) من الجنود المدربين والمزودين بأحدث الأسلحة. وكانت تخضع لقيادة واحدة ولها ثلاثة أقسام هي:

(أ) سكان المدن والمستعمرات وعددهم ٤٠ ألف مسلح (٤٠.٠٠٠).

---

(٣) فلسطين تاريخاً وعبرة ومصيراً: شفيق ارشيدات سنة ١٩٦٢م.

(ب) شرطة المستعمرات وتضم ١٦ ألف شخص (١٦.٠٠٠) مدرب ومسلح ومتفرغ (نصفهم من الفتيات).

(ج) البالماخ (الصاعقة) وتضم ستة آلاف (٦.٠٠٠) مقاتل مدربين في فن الحرب الحديثة، ومزودين بالمدفعية الخفيفة وبوسائل النقل المصفحة السريعة.

٢ - عصابة شتيرن. وتضم (ثلاثمائة) ٣٠٠ ارهابي مدرب، ومسلح ومزود بجميع وسائل النقل.

٣ - عصابة الأرغون زفاي ليومي (المنظمة القومية العسكرية): ويرأسها الإرهابي الضليع (مياحيم بيجن). وقد اشتهرت هذه المنظمة بأعمال إرهابية خطيرة كمجزرة دير ياسين. وهي تضم في حالة الطوارئ ستة آلاف (٦.٠٠٠) شخص مدرب ومسلح.

هذا بالإضافة إلى قوة الشرطة اليهودية المركزية التي كانت تخضع للإدارة البريطانية، وعددها حوالى ألف (١٠٠٠) شخص مدرب ومسلح.

هذا وقد تضمن تقرير اسماعيل صفوت على انه (ليس للعرب في يومنا هذا سوى (٧٧٠٠) مسلح، منهم (٥٢٠٠) متطوع تدربوا على القتال في معسكر قطنا، و (٢٥٠٠) مجاهد فلسطيني، وليس لدى المتطوعين سوى (١٤) مدفع ميدان خفيف).

٣ – عبد القادر : قائداً لجيش الجهاد المقدس

قامت اللجنة العسكرية التابعة لجامعة الدول العربية بتقسيم فلسطين إلى أربع مناطق عسكرية موزعة على الوجه التالي :

١ – منطقة الشمال : وتمتد من الحدود السورية حتى اللبنانية وتشمل : عكا – الناصرة – جنين – نابلس وعهدت بقيادتها إلى المجاهد فوزي القاوقجي .

٢ – منطقة الوسط وتشمل : القدس – رام الله – اريحا – الخليل ، وقد عهدت بقيادتها إلى القائد عبد القادر الحسيني (قائد جيش الجهاد المقدس) .

٣ – منطقة الغرب وتشمل : يافا – اللد – الرملة . وقد عهدت بقيادتها إلى القائد الشيخ حسن سلامة .

٤ – منطقة الجنوب وتشمل : المجدل – غزة – رفح ، وقد عهدت بقيادتها إلى المجاهد محمد طارق الأفريقي .

وقد ارتبطت جميع هذه المناطق بالقيادة الرئيسية في قرية (بئر زيت) – قضاء رام الله .

وقد وضعت القيادة العامة لقوات الجهاد المقدس أسس العمل والتنسيق بين المجاهدين وبين اللجان الفرعية ، فوزعت عليهم السلاح ، وأنشأت فرقة خاصة بالمغاوير ، وفرقة خاصة بالتدمير (يشرف عليها المجاهد فوزي القطب) وفرقتان للاسعاف والنجدة .

أهمية منطقة القدس :

لمدينة القدس أهمية عظيمة من النواحي السياسية والعسكرية والدينية ، فمن

الناحية السياسية فهي عاصمة فلسطين ، ومركز الوكالة اليهودية التي تعتبر الجهاز التنفيذي للحركة الصهيونية العالمية ، وأما من الناحية العسكرية فهي ذات مركز استراتيجي ممتاز لوقوعها على أربعة جبال ومن يسيطر على هذه الجبال يؤمن سلامة السواحل ، ويسيطر على الطريق التي تصل القدس بالاردن ، كما أنه يقطع الاتصال بين الخليل ونابلس ، وأما أهميتها الدينية فهي تتمتع بمركز ديني فريد لدى جميع الديانات السماوية ، ففيها المسجد الأقصى المبارك الذي بارك الله حوله ، وفيها الصخرة المشرفة التي عرج الرسول الكريم منها إلى السماء ، كما أن اليهود يزعمون ان بها حائط «المبكى» ويدعون انه من بقايا هيكل سليمان ، والقدس كذلك ذات قداسة عند معتنقي الديانة المسيحية لأنها شهدت ميلاد ومأساة السيد المسيح .. ، وفيها كنيسة القيامة .

- الخطة العربية للدفاع عن القدس :

«الهجوم خير وسيلة للدفاع» ، لقد اتخذت قيادة جيش الجهاد المقدس من هذه النظرية خطة عسكرية للدفاع عن القدس ، ولهذا الغرض عمل عبد القادر على مهاجمة المستعمرات اليهودية الحصينة المنتشرة حول المدينة ، بقصد عرقلة اية خطة يهودية للاستيلاء عليها ، ففي الشمال هاجم مستعمرتي «نيفي يعقوب» و «عطاروت» على طريق القدس - نابلس .

وفي الجنوب والغرب هاجم ثلاث مستعمرات يهودية هي : «ميكور حاييم» ، و «رامات راحيل» و «تل بيوت» وأحدث بها الكثير من الخسائر .

وهاجم بعض المواقع اليهودية في «سانهدريا» واوقع بقوات الهاجاناه كثيراً من الاصابات .

- الخطة اليهودية :

أما اليهود فقد عقدوا آمالهم للانتصار في معارك منطقة القدس كمقدمة لاحتلال القدس ذاتها ، وقد ركزوا أعظم مجهوداتهم العسكرية لتحقيق هذا الهدف وبخاصة أن لهم فيها ما يزيد عن عشرين مستعمرة ، تقطنها الأغلبية اليهودية التي بلغت حوالي مائة ألف نسمة ، وان اكثار عدد اليهود في القدس هو ضمن المخطط الصهيوني لتهويد المدينة .

ان أية عملية حربية مباشرة لتحقيق الخطة اليهودية لم تكن على درجة من السهولة ، إذن فلا بد من بلبلة المواطنين ، لا بد من ارهابهم وترويعهم ليجبروا على ترك مدينتهم والنزوح إلى أماكن أخرى غير القدس .. لذلك قذفوا القنابل على أماكن تجمع الناس وازدحامهم ، تربصوا للابرياء واعتدوا على حياتهم دونما تمييز .. في المساجد .. في الكنائس .. في الأسواق في الشوارع الرئيسية والميادين .. في المناسبات والأعياد .

ومن البديهي ان يستاء المواطنون لهذه الأفعال الهمجية ، وقد حذر عبد القادر شراذم اليهود أمام المراسلين الأجانب بقوله : «ان العرب سيكسرون شوكة اليهود إذا لم يقلعوا عن عبثهم الذي يبتعد كل البعد عن أعمال الحرب التقليدية» ! .

وفي ختام تصريحه قال : «**سنقاتل إلى النهاية ، وسيقاتل ابناؤنا واصدقاؤنا من بعدنا ، فنحن مصممون على القتال ، وان كنا لا نرغب إلا في أن نعيش في سلام . غير أن الدول الكبرى تريد غير ذلك**» .

ومرة اثر مرة يؤكد القائد على ضرورة خوض المعركة الفاصلة ، محذراً من التهاون في محاربة العدو خشية اقامة دولة صهيونية في فلسطين ، فاستنهض همم الفلسطينيين ، وناشد احرار العرب ليعملوا على نصرة الحق وانقاذ شرف العروبة .

فقد أدلى بتصريح لمراسل جريدة «النداء» المصرية بتاريخ ٦ يناير (كانون الثاني) عام ١٩٤٨م قال فيه : «ان عرب فلسطين يخوضون الآن معركة حياة أو فناء ، فإما ان نخرج من القتال فائزين ، وإما أن نموت جميعاً في الميدان ، ففلسطين لا يمكن أن تتسع للعرب وللصهيونيين في آن واحد ، فإما نحن واما هم .

ولقد وضعنا أرواحنا على اكفنا فمن يشاء يلحق بنا ممن يرغبون في الجهاد لإنقاذ عروبة فلسطين ، بل عروبة العالم العربي بأسره ، لأن إقامة دولة صهيونية في فلسطين معناه القضاء القريب على استقلال البلدان العربية المجاورة كلها .. بل وغير المجاورة أيضاً» .

لقد كانت نفس عبد القادر تفيض حنقاً وغضباً .. فتنفث رئتاه زفيراً حاداً لم يرطبه الا ثقته في نصر الله المبين .. وها هي القضية قد وصلت برمتها إلى احرج المراحل ، وقرار التقسيم بكل مآسيه قد اقرته الأمم المتحدة ، وأهل فلسطين له رافضون . وهذه هي الدولة المنتدبة توشك ان تنهي انتدابها وترحل ، ولكن بعد أن

هيأت لليهود كل وسائل الغلبة والقهر ، وكما قال «وايزمن» في مذكراته «كانت بريطانيا تعمل من أجل اليهود أكثر من اليهود أنفسهم»[1] .

إن الإنسان الفلسطيني – بما واجه من محن وخاض من تجارب – قد أدرك بوعيه أبعاد المؤامرة الشرسة التي تنتظره ، فأخذ يستعد ما وسعه الجهد ، الفلاح البسيط الذي طالما ارهقته ضرائب الانتداب واذلته السجون ازداد التصاقاً بأرضه ، باع ماشيته وزروعه وابتاع البندقية التي يتشوق إليها . اعداد كثيرة من الناس باعوا حلي نسائهم وتسلحوا والأكثرية من الشعب بقيت عزلاء إلاّ من الإيمان والعزيمة .

ان اليهود لم يرعوا ذمة ولا عهداً ، ولم يصونوا جيرة ولا ودا ، هم يملكون السلاح ولا يملكون الحق ، ونحن نملك الحق ونفتقر إلى السلاح .. وشعبنا – الضحية – يحدق النظر في الجامعة العربية تارة ، وفي الرأي العام العالمي تارة أخرى ، ولكن دون جدوى .

ان في نص البرقية التالية ترجمة امينة لأحوال شعبنا في بداية عام الضياع الأول عام ١٩٤٨م والتي ارسلتها اللجنة القومية في نابلس إلى ملوك ورؤساء ، ورؤساء الوزارات ، ورؤساء مجالس الشيوخ والنواب العرب وإلى الجامعة العربية . وهذا نص البرقية : «ان ما تسمعونه كل يوم من الجرائم اليهودية الغادرة التي يحترق بنيرانها مئات الأبرياء من العرب والتي يترفع عن اقترافها الجنود الشرفاء البواسل تجعل عرب فلسطين العزل من السلاح ، المؤمنين بحقهم ، والمجاهدين ذوداً عنه يسألونكم بمرارة وألم يا أصحاب الجلالة والفخامة والدولة : إلى متى ؟ .

إنه لشرف عظيم لعرب فلسطين يتسابقون اليه ان يموتوا دفاعاً عن بلادهم ، وصوناً لشرف العروبة والاسلام ، ولكنه يؤلمهم ان يموت ابناؤهم موت الخراف في الشوارع وايديهم يكبلها الاستعمار بقيوده وحديده وجنوده يؤلمهم تتابع هذه المآسي وعيون الأهل ناظرة ، والسيوف مغمدة ، يؤلمهم أن يفاجئهم الموت الغادر وما تزال في نفوسهم حسرة ، وقلوبهم ألم من الأهل والعشيرة فإلى متى ؟ إلى متى يرى العالم قوافل النجدة والعتاد من اليهودية العالمية ويسمع مقررات الدول العربية ؟ فإلى متى ؟ إلى متى ؟» .

---

(١) مذكرات وايزمن . ترجمة فتح الله مشعشع .

وبالرغم من هذا الوضع العصيب الأليم الذي اكتنف حياة الفلسطينيين إلا أن عزائمهم ما وهنت ، بل استمروا في كفاحهم .. واليك نماذج من هذا الكفاح الذي شارك فيه بطلنا عبد القادر الحسيني مشاركة فعالة وفي منطقة «القدس» وحدها .

الباب السادس

١ - ملاحم الأمجاد
معركة « بيت سوريك »

لقد عمل اليهود - بصمت - على تحصين مستعمراتهم داخل القدس وتكديسها بالمؤن والسلاح .

ولقد نُمي إلى علم قيادة المنطقة الوسطى بان هناك قافلة يهودية ضخمة سوف تتجه إلى القدس - عن طريق باب الواد - وهي محملة بالاعتدة الحربية ، ووسائل التموين والتغذية ، وان شخصية يهودية كبيرة سترافق القافلة . وفي الجانب العربي تم رسم خطة حربية لمهاجمة القافلة ، وزرع جزء من منطقة العبور بالالغام .

خمسة وخمسون مناضلاً يتقدمهم قائدهم عبد القادر الحسيني وبرفقته ثلة من كبار المجاهدين : إبراهيم أبو دية ، كامل عريقات ، عزمي الجاعوني ، وفوزي القطب .

وفيما كانت القافلة اليهودية تسير في طريقها المرسوم ، وإذ بإشارة سريعة تصل إلى قائدها تأمره بتغيير خط سيره على الفور ، والانعطاف صوب مستعمرة (خميس) اليهودية !

لم يكن المجاهدون بحاجة إلى عناء مجابهة ما حدث ، صمموا على تعقب القافلة حيث تتجه ، انقضوا على مؤخرة القافلة قبيل وصولها إلى المستعمرة ، وانهالوا عليها برصاصهم ، فدب الفزع في صفوف افراد القافلة ، فهرب منهم الكثيرون ، وتركوا بعض سياراتهم واعتدتهم ، وراحوا يتلمسون النجاة على قمم الجبال المجاورة ،

بينما اشتبك آخرون مع الثوار، معتمدين في قتالهم على القنابل والرشاشات، ولم يكن في حوزة العرب إلا البنادق العادية ورشاش واحد فقط !

وفيما كانت المعركة محتدمة في هذه المنطقة شنت عصابة « البالماخ » الارهابية هجوماً واسعاً على قرية « بيت سوريك » العربية القريبة من موقع الاشتباك الاول.

اخذت القوات المعادية تغطي سماء القرية بنيران رشاشاتها الكثيفة تساعدها في هذه المهمة مصفحتان تابعتان للقوات البريطانية وذلك في محاولة يهودية ماكرة لتطويق المجاهدين. يقول اشهر مؤرخي فلسطين[1] :

« واكد لي من اثق بصدق حديثه من رجال الجهاد المقدس الذين اشتركوا في هذه المعركة انه رأى بأم عينه مصفحتين بريطانيتين من مصفحات قوة الطيران البريطاني وهما تقاتلان في صفوف اليهود، وقد اصلتا المناضلين ناراً حامية من مدافعهما الرشاشة، ولقد احاطوا بالقرية وبالمجاهدين الذين فيها إحاطة السوار بالمعصم، وذاع الخبر ان عبد القادر وصحبه في خطر، وانتشر رسل القرية في القرى المجاورة يستنفرون القوم، ويستصرخونهم للنجدة، فلبى هؤلاء النداء، وانسلوا إلى الميدان من كل حدب، وبلغ عدد المجاهدين الذين خفوا للنجدة ألفاً، وبلغت حماسة الناس إلى درجة لا توصف فرأيت بأم عيني عندما كنت في « سنجل » استنفر المناضلين لنجدة إخوانهم المحصورين، فتى راح يتوسل إلى ابيه الشيخ كي يسمح له بالذهاب إلى ميدان الوغى بدلاً منه ،وابى الشيخ في البدء الا ان يذهب هو، ثم عاد فاستجاب لرجاء ولده وسلمه بندقيته وقال : « اذهب يا بني وعين الله ترعاك .. » وكذلك قل عن أخوين كادا يتضاربان إذ ود كل منهما ان يكون هو مع الذاهبين، وما كان ليختلفا لو كان معهما بندقيتان. وإني لاقسم غير حانث انه لم يتخلف عن القتال يومئذ سوى الضعفاء والمرضى، والذين لم يجدوا دابة تحملهم او سيارة تنقلهم ».

كان القائد قد قرر في اللحظة الحاسمة ان ينقل المعركة برمتها إلى « بيت سوريك » فخاضوا معركة ضارية مع اعدائهم فأعزهم الله بالنصر، وبذلك سطروا ملحمة رائعة من ملاحم البطولة والفداء .. فانحسر اليهود سراعاً إلى مستعمراتهم يحتمون بها .. بينما قتل منهم اربعة وثلاثون جندياً، وجرح تسعة وعشرون، وقد

---

(١) النكبة – عارف العارف. ج ١

استشهد ثلاثة من المناضلين العرب ، وجرح ثمانية بينهم البطل إبراهيم ابودية ، هذا في الوقت الذي غنم فيه الثوار كثيراً من قطع السلاح ، كما برزت في هذه المعركة صور كثيرة من صور البسالة والفداء ، كمثل المناضل عوض الترمسعاوي المرافق الخاص للقائد والذي شهد له رفاقه بانه قد قتل برشاشه سبعة من اليهود دفعة واحدة .

« واما بطولة القائد عبد القادر فحدث ولا حرج ، إذ كانت من الشجاعة والجرأة لدرجة انه عرض نفسه لرصاص الاعداء دون ان يخشى خطرا[1] » .

كر المجاهدون مرة ثانية صوب مستعمرة « خميس » حتى يسددوا لها ضربة ملائمة ، وبينما هم في طريقهم إليها وإذ برجال من البوليس البريطاني وبرفقتهم بعض من رجال البوليس اليهودي يتصدون للمجاهدين ويشتبكون معهم .. بينما يقرر القائد ورجاله الانسحاب إلى بيت سوريك ... وكان هذا القرار صائباً ، فلم يرغب القائد الاشتباك مع قوات بريطانية صهيونية مشتركة تفوق قواته عدة وعدداً ... « لقد كان المجاهدون يهجمون حيناً ، ويدافعون أحياناً ، ينقصهم كل شيء إلا النخوة والشجاعة ، ويعرضون أنفسهم لطعن القوات البريطانية لهم من الخلف ، لأن تلك القوات كانت تهب لحماية اليهود ، وتقتل العرب في سبيلهم[2] .. » .

---

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق .

٢ - نسف دار الصحافة اليهودية وتدمير شارع (هاسوليل)

كانت معركة (بيت سوريك) اول مواجهة ضارية بين قوات الجهاد المقدس الفتية الحديثة التدريب والتكوين وبين قوات يهودية - انجليزية ضالعة في فنون القتال ومتكاملة التسليح . ولقد اعتبر المراقبون - انذاك - بان النصر الذي احرزه الثوار العرب يعتبر انتصاراً للتنظيم العسكري للقائد العام لجيش الجهاد المقدس .

انتوى عبد القادر وجهة جديدة .. لم تكن نحو مواجهة عسكرية اخرى تكلف المجاهدين ما هو فوق طاقتهم .. فاتجه ناحية الفكر الصهيوني الذي يدفع ويخطط للإرهاب ، إلى دار الصحافة اليهودية وهي اكبر مؤسسة صحفية صهيونية في فلسطين وتشمل : شركة صحافة القدس ، مكاتب جريدتي (علهمشمار) و (هامشكيف) اليوميتين ، ومكتب وكالة اليونايتد برس الامريكية ، ومكتب وكالات الانباء اليهودية ، وبعض مؤسسات المرابين ورجال الاعمال اليهود .

كل هذا (الصيد) يا عبد القادر يمكن صيده بضربة واحدة ، فالمؤسسات متجاورة ، والبنايات متلاصقة ، وتقع كلها في شارع (هاسوليل) المزدحم الكائن وسط الحي اليهودي بالقدس ، والذي تقع فيه ايضا صحيفة (البالستاين بوست) وهي الجريدة الرسمية الناطقة باسم الوكالة اليهودية في فلسطين .

عقد القائد عدة اجتماعات مع كبار إخوانه المجاهدين ، لترتيب خطة مناسبة لتدمير هذه المؤسسات بضربة واحدة ... ما امكن ذلك . وكان من ضمنهم المجاهد فوزي القطب قائد فرقة التدمير التابعة للجهاد المقدس والذي يعود له فضل محمود

في تنفيذ الكثير من العمليات التدميرية ، وكذلك في تدريب عشرات الشبان على صناعة الالغام والمتفجرات اليدوية . وتم الاتفاق ، وتحدد يوم البدء... الاول من شباط (فبراير) عام ١٩٤٨م ، وتحددت ساعة البدء... العاشرة والنصف مساء .

كانت مدينة السلام ترقد في احضان الليل ، مجهدة من يوم عاصف ، لا يختلف أبداً عن الايام القريبة الماضية ، منذ ارادها اعداء السلام ان لا تكون مدينة للسلام ! ! كانت بعض المؤسسات المقصودة قد اقفلت ابوابها ، وأطفأت انوارها ، بينما كانت الانوار تتلألأ في مبنى جريدة « البالستاين بوست » وكذلك الجريدتين الأخريين . وعمال الطباعة يديرون الآلات ، استعداداً لإصدار عدد الغد من الجرائد .

وفجأة... ومثلما يسطع البرق الخاطف قبيل الرعد ، ومضت ومضة خاطفة ، ثم أعقبها دوي مروع وعنيف ، وزلزلت ارض المنطقة المنكوبة ، وتهاوت البناية الصهيونية الضخمة ، ومادت على الفور بعض العمارات المجاورة واعطبت اخرى ، وحلقت في الافق كثبان كثيفة من الدخان ، وانقطع التيار الكهربي ، وانصهرت حروف الطباعة فزادت الطين ابتلالا ، فالتحمت عشرات الاجساد بالحجارة والشظايا .

ودب الذعر والهلع في المدينة بأسرها ، وعلى وجه الخصوص ذلك الحي الذي كان على موعد مع القدر . وعلى الفور هرعت إلى مكان الحادث كل الفرق الاطفائية في القدس ، الانجليزية واليهودية والعربية ، ولم تتمكن كلها من محاصرة النيران – التي امتدت إلى مسافات بعيدة – إلا بعد مضي اثنتين وسبعين ساعة .

– وحي المنتفيوري :

وهذا أيضاً حي مهم من احياء اليهود السكنية في القدس ، قررت القيادة ان يكون ضمن مناطق عملياتها ، وكانت سلطات اليهود – بعد عملية هاسوليل – قد حصنته بالاسلاك الشائكة والمتاريس ، وخضع القادمون إليه للتفتيش الدقيق . ووضع القائد ومساعدوه خطة لزرع الالغام والمتفجرات في إحدى العمارات التي يسكنها ضباط يهود وسط الحي . فتقرر وضع كمية من المتفجرات في سيارة معينة وتمريرها إلى المنطقة بوسيلة معينة . وقد تم تكليف المجاهدين ناجي مصطفى وعبد القادر التونسي للقيام بهذه المهمة .

وتم كل شيء بدقة وسلام .. وفي اللحظة المعينة دوى انفجار قوي ، فذعر الناس ، وقد قتل عدد منهم ، وجرح اخرون ، واعطبت بعض المباني والحوانيت المجاورة ..

٣ - نسف شارع ابن يهوذا

استطاع المجاهدون ان يضموا إلى صفوفهم بعض الجنود البريطانيين الذين آمنوا بعدالة الموقف العربي واستعدوا للتضحية في سبيل القضية العادلة . فاستثمر القائد هذا التعاطف النبيل لتنفيذ عملية شارع ابن يهوذا كما استثمره من قبل في عملية (هاسوليل) .

وقد كانت مهمة هؤلاء هي تسهيل عبور الفدائيين إلى الحي اليهودي ، ومخاطبة الحراس الانجليز بلهجة بني جلدتهم . ولم يكن نجاح العملية الباهر إلا نتيجة لتآزر هؤلاء . فالشارع على درجة من الاهمية ، ويقع في منطقة حصينة يعتبرها اليهود إحدى قلاعهم الحصينة .

تم اختيار المجموعة المنفذة ، وتم تجهيز المعدات : ثلاثة اطنان من المتفجرات وثلاث سيارات كبيرة الحجم قديمة الصنع .. وفي جوف كل واحدة تم وضع طن واحد من المتفجرات ، ازياء عسكرية هي من نفس الملابس التي يرتديها افراد الجيش البريطاني ، لبسها الفدائيون لتمويه الحراس . تتقدم الجميع مصفحة بريطانية عليها سبعة افراد يقودها المجاهد عزمي الجاعوني .. انطلقت المجموعة من مقر القيادة العربية ببير زيت متجهة إلى القدس عن طريق رام الله - باب الواد ، واجتازت المخافر الانجليزية مخفراً إثر آخر وفي كل مرة يتبادل افرادها التحايا مع الحراس .. تحايا صباح اليوم الثاني والعشرين من فبراير (شباط) عام ١٩٤٨ م .

وصل الابطال إلى الاماكن المحددة لهم في الشارع ، نزل سائقو السيارات الثلاث ، اقلتهم المصفحة .. وابتعدت مسرعة ، وما هي إلا لحظات حتى دوت الانفجارات المروعة واهتزت المدينة بكاملها ، وتصاعدت إلى كبد السماء اعمدة من

الدخان الكثيف على ارتفاع مئات الاقدام ، وتهاوت على الارض تسع عمارات وفندق (اتلانتيك) وانهارت عدة منازل صغيرة ، ودار خيالة ، وحوانيت ومكاتب ، وتصدعت مبان اخرى ، واشتعلت النيران ، وتحطم زجاج بعض المنازل القائمة على مسافات بعيدة .. حتى في مدينة رام الله . وارتفع صراخ اليهود في الحي وهم يتصايحون في ذعر (عربيم ... عربيم) .

وقد جندت السلطات البريطانية جميع وسائل المواصلات الممكنة لنقل الجرحى والمصابين إلى المستشفيات . ووصف مراسل وكالة (رويتر) البريطانية للأنباء هذا الحادث بقوله « وصلت إلى المكان بعد حدوث الانفجار بدقيقتين فرأيت أناساً يترنحون والدماء تسيل منهم ، وهم يحاولون الخروج من المنازل التي اصابها الانفجار ولاحظت ان بعض المنازل انهارت اجزاؤها شيئاً فشيئاً كما لو كانت تنتظر وصولنا لتهوي امامنا . اما فندق (اتلنتك) فلم يصبح له وجود على الاطلاق ، وقد اسرعت فرق المطافىء البريطانية وكذا رجال الاسعاف فحضروا إلى المكان بعد دقائق . وكان رجال الاسعاف ينقلون نحو عشرين جثة عندما وصلت إلى المكان ، بينما كان عمال الانقاذ يجدون في الوصول إلى مصدر الصراخ الذي كان الضحايا يرسلونه من تحت اكوام الحجارة والانقاض التي تجمعت فوقهم » .

وتوجهت إلى مكان الحادث فرقة من المهندسين تابعة للجيش البريطاني بقصد المساعدة ، إلا ان اليهود رفضوا السماح لها بالعمل . فتقهقرت .

وقد بلغت الخسائر بالممتلكات حوالى مليونين من الجنيهات . اما بالنسبة للخسائر في الافراد ، فقد نشرت ثلاث إحصائيات مختلفة . البيان الحكومي ذكر ان عدد القتلى ٤٩ والجرحى ١٣٢ . واذاع اليهود ارقام الضحايا وقد بلغوا ٧٤ قتيلا ، و ٢٠٠ جريحا . بينما قال العرب بأن عدد القتلى يزيد عن مائتي قتيل ، والجرحى بلغوا الف جريح[1] .

وقد نشرت جريدة الاهرام حديثاً لعبد القادر الحسيني قائد القوات المجاهدة في منطقة القدس أدلى به إلى مراسل الصحيفة بالقدس جاء فيه « كنا قد حذرنا اليهود

---

(١) في المناظرة التي جرت بتاريخ ٣١ يناير ١٩٦١م بين تونبي وسفير اسرائيل في كندا اعترف السفير الصهيوني بمقتل ٥٠ شخصاً ، وجرح ٧٠ في هذه العملية .

وانذرنا مجرميهم مرات عديدة بان لا يعودوا إلى تكرار اعمال الغدر ، والاعتداء على العزل لآمنين من العرب ، ولكنهم لم يسمعوا النصح ، ولم يرعووا ، فاضطررنا ان نقابل الاعتداء بأفظع منه ، وليس حادث نسف شارع ابن يهوذا في القدس إلا صدى مدوياً لإجرام اليهود في الرملة يوم الأربعاء الماضي إذ وضعوا قنبلة في سوقها العربية . ويؤسفنا ان يضطرنا اليهود إلى مثل هذه الأعمال التي لا تقبلها الشهامة العربية إلاّ إذا كانت من قبيل التأديب والدفاع عن النفس ، وقد قال الله تعالى : «ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون» كما قال تعالى : «وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين» .

موقف شهم : بعد الحادث مباشرة اخذت السلطات البريطانية تحقق في كيفية وصول السيارات الملغمة إلى الحي اليهودي ، وعن هوية المصفحة التي كانت تتقدم المجموعة ، وقد عثروا عليها في مكان لا يبعد كثيراً عن موقع الانفجار وكان بداخلها ثلاثة جنود بريطانيين استنكفوا من الخدمة العسكرية وانضموا إلى الحركة الفلسطينية . والقت الحكومة القبض عليهم ، وحاول عبد القادر وزملاؤه إنقاذهم ، إلا ان الحكومة سارعت بنقلهم إلى السجن الرئيسي بحيفا ، وقدموا إلى محكمة ميدانية عقدت على ظهر إحدى البوارج البريطانية في صدر البحر المتوسط ، وقد بعث عبد القادر برسالة عاجلة إلى المحكمة ضمنها مسؤوليته عن احتجاز هؤلاء الجنود في مقر قيادته عندما ساوره الشك في شخصياتهم وبأنهم ربما يكونون على علاقة باليهود ، وانه قد عاد واطلق سراحهم عندما ثبت له عدم صحة هذا الشك ، وسلمهم المصفحة لكي يرجعوا بها إلى أماكن عملهم . وكان للرسالة أثرها لدى هيئة المحكمة فقد اكتفت بإصدار حكمها القاضي . بمغادرتهم فلسطين إلى بريطانيا .

٤ – نسف مقر الوكالة اليهودية

وهذه صفعة اخرى على صدغ الكبرياء اليهودي ، تأتي بعد مضي عشرين يوماً من عملية شارع ابن يهوذا ، تأتي هذه العملية الشجاعة لتصيب في القلب ... الجهاز التنفيذي للحركة الصهيونية العالمية « مقر الوكالة اليهودية » في القدس . والتي احدث صداها هزة عنيفة في معنويات اليهود ، جعلت الكثيرين منهم يجأرون بالشكوى لرؤسائهم ، ووجوب إنهاء الحرب الدائرة مع العرب على اية صورة تكون .

شاب عربي مسيحي اشتم رائحة الحب ، واستنشق عبير السلام من ارض السلام .. رأى الظلم يشتد وقعه على ابناء وطنه .. رحب كل الترحيب حين كلفته قيادة جيش الجهاد المقدس لأن يكون بطل عملية « الوكالة اليهودية » كان مستخدماً لدى القنصلية الامريكية بالقدس ، يقوم بقيادة السيارة الخاصة بالقنصل العام للولايات المتحدة الامريكية بفلسطين .. سيارة « فورد » حديثة وفارهة تحمل رقم ٦٦١١ « هيئة سياسية » وعليها يرفرف العلم الامريكي .

مائتان وخمسون كيلوجراماً من المواد الناسفة تم وضعها في السيارة ، ووصلت بساعة موقوتة . وفي ضحى اليوم الحادي والعشرين من شهر اذار – مارس انطلق السائق الشاب انطوان داود متجهاً إلى دار الوكالة اليهودية بشارع الملك جورج ، وفتحت البوابات الفولاذية المغلقة ، امام رفرفة العلم الامريكي .

وكانت الوكالة اليهودية بوصفها مقر قيادة الحركة الصهيونية اشبه بقلعة مغلقة تضم اقبيتها وثائق نصف قرن من النشاط الصهيوني ، وقد احيطت الوكالة بسور فولاذي ارتفاعه ثلاثة امتار يتولى حراسته عدد من جنود الهاجاناه ، كما زرعت جوانبها

بقضبان فولاذية تحول دون وصول اية سيارة إلا ضمن حدود ضيقة ، وكان على كل داخل ان يحمل تصريحاً خاصاً وهويته الشخصية[1] .

وتستقر السيارة في مرآب الدار ، ويتسلل البطل انطوان داود ببطء وفي حذر ، مغادراً منطقة الدار إلى مكان ما .. وحدث كل شيء في فترة محدودة ، دوى الانفجار ، وتهاوت على الفور اجزاء من العمارة ، وتصدعت بعض العمارات المجاورة ، وانتشرت النيران ، والتهمت بسعيرها المكاتب الصهيونية بما تحتويه من ملفات وسجلات ، واسرار .

واصاب التدمير مكاتب بيت المال اليهودي ، ومكاتب المجلس الملي اليهودي وكانت خسائر اليهود ٣٦ قتيلا ، وجرح حوالي المائة .

وذكر المستر (جريفس) رئيس بلدية القدس ان من بين القتلى الدكتور (لايب يافه) مؤسس بيت المال الصهيوني والسيدة (اليس لاسكر) من كبار سيدات بني صهيون ، ومن الذين اصيبوا (الأضون بن زفي) رئيس المجلس الملي ، والاضون ساسون رئيس القسم الشرقي في الوكالة اليهودية ، والمستر صمويل مدير الاذاعة ، ومسز سامبو ديسكي ، والأضون ليكوهين ، والأضون هرشي وكلهم من كبار الشخصيات اليهودية .

وقد ذكرت الصحف اليهودية فيما بعد ان الوكالة اليهودية كانت مجتمعة في تلك الدار في ذلك اليوم لتسوية الخلافات القائمة يومئذ بين المنظمات الارهابية الصهيونية .

ولقد عمق هذا الحادث اودية الحقد والكراهية بين العرب واليهود ، ورأى الكثيرون من زعماء اليهود في نجاح هذه العملية قدرة العرب على فعل المزيد من هذه الاعمال ، وطالبوا بوجوب الانتقام لضحايا هذه العملية .

اما العسكريون من الصهاينة فقد ادهشهم حسن التخطيط وقوة الانفجار وراحوا يسعون لمعرفة اسرار صناعة هذه المتفجرات العنيفة .

اما دولة الانتداب فقد وقفت (ظاهرياً) موقف القاضي امام الفريقين . وقد وجه البريجادير جونز الحاكم العسكري للقدس إنذاراً شديد اللهجة هدد فيه كلا

---

(١) « إيه يا قدس » – دومنيك روبير ولاري كولنز .

الفريقين وحثهما على اتباع الامن والسكينة ، وفي حالة نقض اي طرف منهما فإن القوات الانجليزية ستتخذ كل الاجراءات الحازمة ضد الفريق البادئ بخرق جدار الهدوء .

تقرير عن قوة الجيش البريطاني :

استطاع عبد القادر ان يحصي عدد القوات والمعدات البريطانية المتواجدة في فلسطين ، في الوقت الذي عجزت فيه الجامعة العربية على القيام بهذه المهمة الشاقة . وقد بعث عبد القادر بهذا التقرير إلى الحاج محمد امين الحسيني بوصفه رئيساً للهيئة العربية العليا لفلسطين ، وحتى يكون على بيّنة من الوضع .

ومما جاء في هذا التقرير ان قوة الجيش البريطاني مقسومة إلى قسمين : شمالي وجنوبي ، وإن القسم الشمالي يتألف من نحو ستة عشر الف جندياً ، يحتلون المنطقة الممتدة من بلدة « ناتانيا » (التي يحتلها الاسرائيليون) إلى ضفة نهر الاردن الغربية ، مارة بمدن طولكرم وجنين وبيسان . وإن هؤلاء الجنود ينتشرون شمالا حتى الحدود اللبنانية ، واضاف إلى ذلك معلومات عن المعسكرات البريطانية ومطار (كفر ياسيف) الذي اطلق عليه البريطانيون « سانت جين » وما فيه من اوكار ، بعضها فوق سطح الارض وبعضها تحت سطحها ، وكذلك عن مطار (البصة) الذي يقع على مسافة ثلاثة اميال جنوبي الحدود اللبنانية على طريق الناقورة – البصة ، وعلى مسافة ميلين من الطريق العام الممتد من الناقورة إلى عكا ، وانه رغم إخلائه فما يزال صالحاً للعمل .

وأورد أيضاً معلومات عن قوة الجيش العربي الاردني التي يقودها الجنرال غلوب باشا (ابو حنيك) ، وان نصف هذه القوة يتألف من رجال قوة الحدود الاردنية المعروفين بأصحاب الزنار الاحمر ، وإن قوة الحدود هذه قد انسحبت من فلسطين نهائياً بأمر من ابي حنيك ، ومعظمها يعسكر الآن على الحدود السورية الاردنية .

كما اورد في التقرير معلومات عن اليهود ، وكيف انهم اتخذوا من مستعمرة (حانوتا) المجاورة للحدود اللبنانية مركزاً لتهريب الاسلحة من لبنان وتركيا إلى فلسطين .

كما تضمن التقرير بعض المعلومات عن شركات اجنبية تعمل على تهريب الاسلحة لليهود عن طريق بيروت ، وأورد اسماء اشخاص من يهود لبنان يشتغلون

بالتهريب ويقومون بأعمال إرهابية ضد الفلسطينين وتناول في تقريره ضرورة التصدي للبواخر التي تحمل المهاجرين اليهود إلى فلسطين وذلك بنسفها او اقتيادها إلى اماكن محددة ، ثم اتباع الاجراءات الكفيلة بالتقليل من هذه الهجرة[1] .

نشاط اليهود بالقدس :

واشتمل التقرير أيضاً على معلومات إضافية عن استيراتيجية القدس والمستعمرات اليهودية المحيطة بها ، والتي حصنها اليهود تحصيناً قوياً ، وقال إن المنافذ الرئيسية للقدس إلى كل من يافا ونابلس والخليل واريحا وعمان يحاول اليهود إغلاقها ، بواسطة مستعمراتهم التي كادوا يطوقون بها القدس . وإن اربعة اخماس هذه المستعمرات قد تم القضاء عليها . وإن لليهود مركزين محصنين يسيطران على منفذ القدس إلى الشرق . هما الجامعة العبرية وهداسا . ويساعدان في السيطرة على منفذها إلى الشمال . ولهم على ساحل البحر الميت مستعمرة (الكابوتس) التي يمكنها السيطرة على جسر اللنبي .

اما طريق القدس الغربية إلى يافا فيسيطر عليها اليهود سيطرة تامة . وهي محصنة تحصيناً قوياً ، ولا يستطيع العرب ان يطأوها ، ولذلك استعاضوا عنها بالطريق الفرعية الممتدة من رام الله غرباً إلى ان تتصل بطريق يافا .

وإن لليهود على طريق يافا مستعمرات (موتز) وقرية العنب والخمسة . قرب بيت سوريك ومعامل اليشار ..

ثم اوضح التقرير الخطة القوية التي وضعها اليهود للاستيلاء على العمارات الكبرى والمراكز الاستراتيجية لاحتلالها داخل القدس . وعدد اسماءها ومواقعها (٦١) مركزاً . وارفق بالتقرير خريطة تبين هذه المراكز .

ثم اورد التقرير خطة كل من العرب واليهود للاستيلاء على القدس . وقال إن محاولات اليهود لاحتلال حي الشيخ جراح استمرت ثلاثة اشهر وما تزال . وانهم قبل بضعة ايام هاجموا هذا الحي بألف جندي .

ومعارك اخرى ....

لم تكن العمليات الحربية التي ذكرناها آنفاً هي كل المفاخر التي خطط لها

---

(١) مجلة فلسطين – من مذكرات السيد محمد أمين الحسيني – الحلقة (٥٦) .

وساهم في تنفيذها عبد القادر فقط ، بل هناك العديد منها لم نذكره تفصيلا .. مثال ذلك معركة (تل الماصيون) التي حدثت في اول مارس (اذار) عام ١٩٤٨ والتي كانت ردا على هجوم يهودي استهدف حافلة ركاب عربية كانت متجهة إلى مدينة رام الله . وبالرغم من ان احدا من ركابها لم يصب بأذى إلا ان المجاهدين قد ترصدوا للقوة اليهودية المهاجمة والمكونة من تسعة عشر يهوديا واشتبكوا معها عند (تل الماصيون) . وتمكن المناضلون من قتل خمسة من اليهود بينما لاذ الباقون صوب وادي الدير فأصدر عبد القادر اوامره بتعقب القوة الاسرائيلية الفارة مما زاد في خسائرها ... حيث لم يبق منها إلا اثنان تمكنا من الفرار صوب مستعمرة عطاروت جنوبي مدينة رام الله .

- معركة ميكور حايم :

كان اليهود من سكان هذه المستعمرة قد اعتدوا على سكان قرية بيت صفافا العربية . وتمكنوا من قتل امرأة وطفل . وسرقة بعض الاموال المملوكة للاهالي . ومن ثم لجأوا إلى مستعمرتهم . وكان لا بد للعرب من ان ينتقموا .. فقام عبد القادر على رأس مجموعة من رجال الجهاد المقدس ودكوا المستعمرة . وحطموا بعضا من منازلها وقتلوا واصابوا عددا من سكانها . وغنموا بعض قطع السلاح . فهب سكان مستعمرة « تل بيوت » المجاورة لميكور حايم لمعاونة بني جلدتهم . وكانت القيادة العربية تتوقع مثل هذا الامر . فتصدى المجاهدون لها واشتبكوا معها . وضيق المجاهدون الخناق . فشعر اليهود بضعف موقفهم . وكالعادة وصلت إلى مكان الاشتباك اعداد من الجنود الانجليز على متن مصفحاتهم . وانتهى الاشتباك إلى حين . وبعد اسبوع هاجم عبد القادر ورفاقه المستعمرة مرة اخرى . واستطاعوا السيطرة على بعض اجزائها واوقعوا بعض الاصابات بافرادها . ثم انتقل عنف الاشتباكات إلى حي القطمون ومرة اخرى يتدخل الجيش البريطاني لصالح اليهود . فيحول بين المجاهدين وبين خصومهم .. وقد نتج عن تدخل البريطانيين استشهاد عربي وإصابة اربعة بجراح .

- معركة شعفاط (ضمن سلسلة معارك الطرق) :

افادت اجهزة الرصد التابعة لقيادة الجهاد المقدس بان هناك قافلة يهودية خرجت من القدس تحمل المؤن إلى سكان مستعمرتي (النبي يعقوب) و (عطاروت) قرب قرية شعفاط . والواقعتين ضمن مخطط القائد العام الذي يقضي بضرورة فرض نظرية التجويع على المستعمرات اليهودية المحيطة بالقدس . ومنع اية إمدادات قد يحاول اليهود إيصالها إليهم . لأجل ذلك رابطت بعض مفارز الجهاد المقدس

في الطرق الهامة لصد اية محاولة يهودية لتهريب المؤن والسلاح . وعندما اقتربت القافلة من قرية شعفاط انقض عليها المناضلون واستطاعوا تدمير المصفحتين اللتين كانتا في مقدمة القافلة . وقتلوا اربعة عشر يهوديا وجرحوا عشرة اخرين وغنموا بعض الاسلحة . وصادف ساعتها مرور الجنرال ماكميلان قائد القوات البريطانية في فلسطين وسط المئات من جنده . واستطاع إنقاذ الجرحى اليهود . ومن تبقى حياً من افراد القافلة . وفي ذات اليوم استطاع المناضلون التصدي لقافلة يهودية اخرى على طريق يافا ونجحوا في تحطيم آلياتها وعددها ثلاث عشرة سيارة .

معنى ذلك ان مخطط عبد القادر ومجلس قيادته قد نجح في السيطرة على طرق المواصلات الرئيسية في البلاد والتحكم بها . وبدا العرب في تلك الفترة أكثر تفـــاؤلا ... يقـول «كريستوفر سايكس» في كتـــابـــه «مفـــارق الطرق إلى إسرائيل»[1] : وبدا العرب في نهاية شهر فبراير في وضع عسكري افضل من وضع اليهود ، وكان العرب يهاجمون المستعمرتين اليهوديتين الواقعتين إلى الشمال والجنوب من مدينة القدس ، وبالرغم من ان العرب لم يحتلوا إحداهما إلا ان الهجوم الذي قام به عبد القادر الحسيني على المستعمرة الجنوبية المسماة «كفار عصيون» ادى إلى إبادة جميع القوة الضاربة اليهودية «البالماخ» التي ارسلت لنجدتها ، ويقول «كمشي» إن هذه الكارثة قد اثرت تأثيراً نفسياً سيئاً على يهود فلسطين» .

احصائية الإجرام اليهودي :

قبيل ان ننتقل للحديث عن الفترة العصيبة في تاريخ القضية الفلسطينية ، وحتى لا يشعر القارئ بأن تلك الفترة كانت مليئة كلها بالانتصارات ، نود ان نلقي نظرة عابرة على إحصائية الاجرام اليهودي في ذلك الوقت .

من ١٩٤٧/١٢/١٣ إلى ١٩٤٨/٢/١٠ القيت سلسلة من القنابل والبراميل المتفجرة على مقاه واسواق وشوارع عامة عربية اسفرت عن استشهاد ١٠٥ اشخاص وجرح ٢٩٢ شخصا .

ومن ١٩٤٧/١٢/١١ إلى ١٩٤٨/٣/٣١ هوجمت شاحنات ركاب عربية ، ونسفت قطارات ركاب اسفرت عن ١٠٩ شهداء ، ١٩٥ جريحا ، وما بين

---

(١) تعريب خيري حماد .

١٩٤٨/١/٤ إلى ١٩٤٨/٤/١٩ نسفت بيوت وفنادق عربية اسفرت عن ١٦٧ شهيدا ، ٩٧ جريحا .

كما تعرضت ثماني عشرة قرية عربية لهجمات شرسة ومجازر ما بين ١٩٤٧/١٢/١٢ إلى ١٩٤٨/٤/٢٠ بلغت ضحاياها ٤٨٩ شهيدا ، ١٩٦ جريحا . وبذلك يكون المجموع الكلي (٨٧٠) شهيدا ، و (٧٨٠) جريحا[١] .

ويلاحظ ان هذه الاحصائية مقتصرة على مدة زمنية محددة لا تتجاوز الاربعة اشهر ونصف الشهر . كما يلاحظ ان اغلب هذه الحوادث قد اقترفت في فترة النضال العظيم لقوات الجهاد المقدس التي اضطلعت بعبء الكفاح في هذه الفترة العصبية ، إضافة إلى المحاربين غير النظاميين الذين كانوا يقاتلون بوحي من إرادتهم .

اشتداد المعارك :

حوالى منتصف شهر مارس (اذار) بلغ الضيق باليهود ذروته ، من جراء الحصار الكامل الذي فرضه المجاهدون على يهود القدس ، وعلى طرق المواصلات المؤدية إلى مستعمراتهم في تلك المنطقة ، فاستنجدوا بالسلطات البريطانية لمساعدتهم على حماية قوافلهم . وقد كان المجاهدون يركزون قواتهم في ممر باب الواد ، وفي القرى العربية الواقعة على جانبي الطريق الرئيسي الذي يربط بالقدس « واتخذ المجاهدون من قرية القسطل الجبلية المنيعة المتحكمة في طريق المواصلات إلى القدس قاعدة رئيسية لقطع الطريق والانقضاض على القوافل اليهودية والفتك بها ، وغدت قرية (القسطل) مصدر رعب شديد لليهود » .

وتدخل المندوب السامي البريطاني لدى الهيئة العربية العليا ولدى عبد القادر بشأن السماح بوصول الاغذية والمياه إلى اليهود المحاصرين .

كما توسط في الامر سفراء وقناصل الدول الغربية راجين فك الاطواق عن اليهود المحاصرين الذين « اوشكوا على الموت جوعا » كما قال شرتوك لمجلس الامن الدولي . كما ضغطت السياسة الاستعمارية على بعض الديبلوماسيين العرب بفلسطين للتوسط لدى قيادة الجهاد المقدس للغرض ذاته .

---

(١) منير شفيق – شؤون فلسطينية – مايو ١٩٧٣م .

وأصرت القيادة الفلسطينية على ضرورة استسلام العصابات الصهيونية المسلحة ، وتسليم اسلحتها كشرط اساسي لفك الحصار .

يقول البروفيسور الامريكي « ليون اويس » : وقد استطاع عبد القادر في منطقة القدس ان يرسم خطة كاملة على اساس دحض الحقيقة التي تقول بأن عرب فلسطين والمحاربين غير النظاميين لم يكونوا منظمين وليست لهم مهارة كافية ليقوموا بعمليات هجومية منظمة ، وكذلك أدرك عبد القادر ان اليهود سوف يتشبثون بكل مستعمرة ، وسوف يقاوم العرب بشكل عنيف ، وكان يحتاج إلى انتصارات سريعة ليشجع قومه فاستقر رأيه على ناحيتين : الاولى انه سوف يعزل المستعمرات اليهودية ويجوعها والثانية انه سوف يقوم بعمليات (اضرب واهرب) على النقليات وطرق المواصلات . وقد اثبتت استراتيجية عبد القادر كفاءتها ، فقد كان للعرب حرية الحركة بينما اجبر اليهود على ان يظلوا في مواقع ثابتة .

ويوما بعد يوم بدأت المستعمرات اليهودية تقع تحت الضغوط ، وقد ركز عبد القادر جهوده في منطقة القدس ، وكان الطريق بين تل ابيب والقدس يمر في منطقة تعج بالقرى العربية التي تسيطر على الطريق من المرتفعات ، واراد عبد القادر ان يقطع الطريق ويعزل ويجوع مائة الف يهودي في القدس الجديدة مما يسبب ضربة قوية لليهود .

ولكي يقاوم اليهود هذه الجهود استعملوا قوافل مصفحة على نطاق واسع ، ولكن الطريق إلى القدس امتلأت باشلاء هذه المصفحات ، وبدأت القدس تئن تحت هذا الضغط ، واضطر الناس إلى التنقل في اتوبيسات مصفحة ، ومع تزايد قوة العرب تضاءل امل اليهود .

وكانت هذه الحركة العربية السريعة تحت قيادة متمكنة قد اوقعت اليهود في ورطة لا مخرج منها ، واصدرت الهاغاناه اوامرها بتحويل كل مستعمرة إلى « طبرق صغيرة » فقد دفع اليهود من دمهم ليحصلوا على هذه الارض ، وإذا اراد العرب ان يأخذوها فعليهم ان يدفعوا الثمن .

عاود المندوب السامي البريطاني وقناصل الدول الغربية والشرقية اتصالاتهم بمكتب الهيئة العربية العليا بالقدس .. وابرقت الهيئة إلى الحاج محمد امين الحسيني

بالقاهرة تطلعه على حقيقة الوضع ... ووافق سماحة المفتي على فك الحصار عن القدس والمستعمرات اليهودية في المنطقة حسب الشرطين الآتيين :

١ – إخراج المسلحين اليهود من القدس .

٢ – تفتيش القوافل اليهودية المتجهة إلى القدس بإشراف الصليب الاحمر الدولي وعناصر من الجهاد المقدس .

وبرغم الضيق الذي يواجه اليهود إلا انهم رفضوا هذين الشرطين معتمدين في ذلك على إجراءات دولية كانت تستهدف وضع فلسطين تحت وصاية دولية والعدول عن مشروع التقسيم ، بالإضافة إلى حصولهم على وعود امريكية بقرب وصول شحنات جديدة من السلاح إليهم . كما فتحت دولة الانتداب – من جديد – مصاريع معسكراتها الحربية في وادي الصرار ورأس العين وصرفند ليأخذ اليهود منها احتياجاتهم لفك الحصار العربي .

كما نشطت حركة ميناء تل ابيب البحري بسبب وصول الاسلحة والذخائر وكثيرا ما كانت صناديق السلاح ممهورة بالعبارة الاتية : « مواد بناء إلى اديس ابابا » ! !

ولما ضمنت الوكالة اليهودية هذه المساعدات عقدت مع قواد الهاغاناه والارغون وشتيرن عدة اجتماعات سرية في الفترة من ٢٥ – ٢٧ من مارس عام ١٩٤٨ ، وكان من جملة الحاضرين دافيد بن جوريون رئيس الوكالة اليهودية وميناحيم بيجن ، وموسى شرتوك ، وموسى ديان ، ورسموا الخطوط العريضة لعملية ناخسون :

عملية ناخسون :

١ – فتح طريق المواصلات بين تل ابيب والقدس .
٢ – القيام باعمال الارهاب ضد العرب المدنيين لإجبارهم على ترك منازلهم .
٣ – فك الحصار عن القدس واحتلالها .
٤ – احتلال بعض القرى الفلسطينية الواقعة على طريق باب الواد – القدس وبالأخص قرية القسطل .
٥ – تشكيل قيادة صهيونية مشتركة لتنفيذ هذه الخطة ، وتكليف دافيد بن جوريون بالاشراف مباشرة على تطبيقها .

وقد اطلق الصهاينة اسم ناخسون على العملية هذه لأنهم يرون بأن ناخسون هذا

هو اول من عبر الحدود من اليهود إلى فلسطين اثناء هروبهم من مصر في عصر الفراعنة .

مواجهة خطة ناخسون : على الرغم من ان اليهود كانوا يحيطونها بالسرية التامة إلا ان قلم الاستخبارات في الجهاد المقدس استطاع ان يحصل على معلومات هذه الخطة ، كما علمت القيادة بان اليهود قد حددوا يوم السادس من ابريل (نيسان) لوضع العملية المذكورة موضع التنفيذ. اجتمع عبد القادر بمجموعة من كبار المجاهدين لمجابهة الخطة .

وقد حضر هذا الاجتماع : كامل عريقات – حسن سلامة – ابراهيم أبو دية – عبد الحليم الجيلاني – توفيق الابراهيم وغيرهم من قادة الجهاد المقدس .وبعد البحث في ابعاد الخطة الصهيونية تقرر ما يلي :

١ – استنفار كافة قطاعات الجهاد المقدس والمتطوعين .

٢ – إعادة تخطيط مراكز الدفاع والقيام بحركة تنقلات حسبما تستدعي الظروف .

٣ – تعزيز بعض المواقع بما يتوافر من اسلحه .

٤ – سفر القائد عبد القادر الحسيني إلى دمشق للاتصال باللجنة العسكرية التابعة لجامعة الدول العربية للحصول على بطاريات مدفعية ورشاشات وبعض الأسلحة الأخرى .

هذا وقد بلغ مجموع عدد المجاهدين في منطقة القدس حتى اواخر شهر مارس عام ١٩٤٨ ٥٨٦ مجاهدا موزعين كالتالي :

١٢٣ مجاهدا ضمن سرية فاضل عبد الله ترابط في الروضة .
١٢٥ في القطمون .
٤٠ في وادي الجوز .
٤٠ في الشيخ جراح .
٥٠ في البقعة .
١٨ في حي الثورة .
١٠ في دار الهيئة العربية العليا .
٢٠ في عمارة الاوقاف .
٣٠ في ماميلا .

١٥ في الشماعة .
٣٥ في المصرارة وباب الزاوية .

ولم يكن هذا العدد ثابتا ، فقد كان [يتذبذب احيانا ويصل إلى حوالى ٧٥٠ مجاهدا . ونظرا لعدم تسليحهم جميعا فقد كانوا يتناوبون العمل فيما بينهم .

واما عدد المجاهدين في قرى القدس فلم يكن يتجاوز الثلاثمائة مجاهد .

وبالنسبة لعبد القادر يقول عارف العارف : لم يكن عنده يومئذ سوى ١٩ رشاشا ، وثمانية مدافع هاون ، وعدداً من البرنات والهوشكس والبراوننج واما اليهود فقد كان لهم في القدس بنفس الفترة حوالى الف إرهابي يتبعون منظمة الأرغون ، والف اخرون يتبعون جيش الهاغاناه ، وبضع مئات يتبعون عصابة شتيرن . ولقد عملوا جهدهم على مضاعفة تسليحهم ، واعتمدوا في ذلك - خلاف الطرق الرسمية - على نهب معسكرات الجيش البريطاني سواء بالاتفاق ام بالعنوة . كما حدث للارغون حين انقضت إحدى مجموعاتها على معسكر رقم (٨٠) البريطاني ، و تمكنت من الاستيلاء على كمية وافرة من الاسلحة حدث هذا بعد ان قتلت المجموعة حرس المعسكر وقائده . وقل عن الشيء نفسه بالنسبة لهجوم يهودي على قطار حربي بريطاني ونهب كافة ما فيه من اعتدة حربية .

وبالنسبة لليهود المحاصرين في القدس فقد وهنت عزائمهم ، وتفجرت المظاهرات من بينهم مطالبين بوضع نهاية لآلامهم . وعندما شعرت قيادتهم بضعف معنوياتهم لجأت كالعادة إلى تقويتها بطريق العدوان . فانقضت مجموعة من عصابة شتيرن الاجرامية على قطار حيفا - القاهرة المدني ، وأصلته وابلاً من قنابلها ورصاصها . مما ادى إلى استشهاد اربعين عربيا وجرح ستين اخرين . كما قذفوا بالعديد من القنابل على الشوارع والمساجد العربية ، كما دبرت اشتيرن ايضا مكيدة لنسف (ملجأ الرجاء) وذلك باغرائها مالياً لجنديين بريطانيين للهجوم ليلاً على ملجأ الرجاء وهو مقر قيادة القطاع الغربي الذي يقوده البطل الشيخ حسن سلامة . فاستشهد في هذا الحادث ستة اشخاص وجرح آخرون .

الباب السابع

القائد في دمشق

تنفيذاً لما تم الاتفاق عليه في مواجهة خطة «ناخسون» الصهيونية توجه عبد القادر فوراً إلى دمشق . بينما تولى المجاهد كامل عريقات مسؤوليته كنائب للقائد العام ، اضافة إلى قيادة قوات الجهاد المقدس في منطقة القدس . فباشر مسؤولياته لتنفيذ خطة الاستنفار العام بالتعاون مع قادة القطاعات .

وقد علم اليهود بنبأ سفر القائد إلى دمشق . فقرروا اغتنام هذه الفرصة وتقديم موعد تنفيذ العملية قبيل عودة عبد القادر ومعه الاسلحة التي تقرر احضارها .

وقد مهّد اليهود لتنفيذ عمليتهم بمحاولة الاتصال بمستعمراتهم كفار عصيون في قضاء الخليل .. وتأمين الاتصال بينها وبين القدس . وانطلاقاً من هذه النقطة نشبت معركة الدهيشة التي وصفها السيد أمين أبو الشعر بأنها «تعتبر من مفاخر المجاهدين ومن أكبر معارك ثورة ١٩٤٨م»[١] .

معركة الدهيشة

قام اليهود بتجهيز قافلة تموين ضخمة للسفر إلى كفار عصيون عن طريق القدس – بيت لحم – الخليل . وقد اشتملت هذه القافلة على حوالى مائة سيارة شحن كبيرة ، و ١٩ مصفحة ، وخمس باصات كبيرة ، يرافقها حوالى (٢٠٠) جندي صهيوني مسلحين بحوالى عشرين رشاشاً وعشرات من البنادق والمسدسات والقنابل

---

(١) أمين أبو الشعر – مجاهد من أبو ديس – عمان ١٩٧٥م .

اليدوية . وقد استطاعت هذه القافلة أن تصل سالمة إلى كفار عصيون تحت قناع الظلام الدامس ليلة ٢٨ من مارس عام ١٩٤٨م .

وقد علم جهاز الرصد التابع لقوات الجهاد المقدس بأن القافلة المذكورة سوف تعود ثانية بعد تفريغ حمولتها في صباح يوم ٢٩ من مارس .. فرسم كامل عريقات متعاوناً مع اخوانه المجاهدين خطة لمباغتة القافلة في طريق عودتها .. فتم رسم خطة الهجوم في دقة وسرية .

ولما وصلت القافلة إلى النقطة المحددة .. انقض المجاهدون على القافلة من جميع النواحي واغلقوا عليها طريق التقهقر .. وقام الفدائي البطل يوسف الرشماوي بتدمير المصفحة الأولى بعد أن تمنطق بحزام ناسف سرعان ما انفجر به وبالمصفحة مما أوقف تقدم القافلة اليهودية .

وانقض بقية المجاهدين على المصفحات ببسالة نادرة ، ودارت بين الطرفين معركة كبيرة .. وقد علمت القيادة اليهودية بما جرى لرجالها .. فبعثت ببعض الطائرات لقصف مواقع المجاهدين ولكن نظراً للالتحام بين الفريقين وجها لوجه لم تستطع الطائرات ان تغير شيئاً من نتيجة المعركة .

وفي الغروب تدفقت نجدات قوية من أبناء القرى العربية المجاورة .. وانضمت إلى المجاهدين . وفي صباح ٣٠ من مارس انذرت القيادة الفلسطينية أفراد القافلة اليهودية بالاستسلام وتسليم اسلحتهم والا تعرضوا للابادة التامة ..

فالتجأ المسؤولون الصهاينة إلى المندوب السامي البريطاني بالوكالة . وإلى ممثل الصليب الأحمر الدولي للتدخل بشأن رفع الحصار عن القافلة . واقترح اليهود ارسال حملة عسكرية بريطانية لإجبار العرب على فك الحصار .. لكن المسؤولين البريطانيين لم يرق لهم ذلك . فقرروا ارسال الكولونيل (هاربر) قائدهم العسكري في القدس على رأس مجموعة من الضباط البريطانيين لمفاوضة المجاهدين .. ولكن لم تتيسر لتلك المجموعة سلامة الوصول إلى المنطقة المحاصرة نظراً لوجود الالغام المبثوثة حولها .. فعادوا أدراجهم وغابوا بضع ساعات ليكرروا محاولة الوصول . وكان برفقتهم هذه المرة ممثل الصليب الأحمر الدولي والسيدان عارف العارف وعيسى البندك رئيس بلدية بيت لحم ..

وتم الاتصال بينهم وبين المجاهد كامل عريقات والذي أصرّ على موقفه بوجوب استسلام اليهود وتسليم كافة اسلحتهم إلى جيش الجهاد المقدس ... وفي تلك الأثناء تم الاتصال بين عريقات وسماحة المفتي الذي أيد تلك الشروط عندئذ أمر القائد البريطاني جميع اليهود المحاصرين بأن يسلموا أسلحتهم وكافة عتادهم .. وتم ذلك

بالفعل خلال نصف ساعة .. في الوقت الذي تولى الصليب الأحمر الدولي نقل جثث القتلى والمصابين بسيارات الإسعاف.

«وتسلم العرب أسلحة اليهود ـ بعضها أعطب عن قصد قبل التسليم ـ والبعض الآخر كان في حالة صالحة للاستعمال ـ وكانت غنائم العرب ثلاث مصفحات ـ وثمانية حافلات كبيرة (باصات) وثلاثين سيارة للشحن ـ وثلاثين بندقية من طراز ستن، وأربعين من طراز برن ـ ومائة من البنادق الاعتيادية بين انجليزية والمانية ـ وعدداً من القنابل والمسدسات ـ وطناً ونصف الطن من ملح البارود والمتفجرات ـ ومقادير كبيرة من الاعتدة والذخائر»[1] .

هذا .. وقد ادعى اليهود ان قتلاهم خمسة عشر قتيلاً .. والجرحى خمسون .. وقد تسلمت الحكومة ١٥٩ يهودياً منهم ٢٤ مصاباً ـ واستشهد في هذه المعركة ١٢ مجاهداً ـ وجرح ثلاثة آخرون .

في دمشق .. لا سلاح للمجاهدين !

رافق عبد القادر في مهمته بعض أركان حربه ، وقد تزودوا بالخرائط العسكرية ، والتقارير السرية عن مخططات اليهود ، وامكاناتهم .. وسلاحهم ، ومراكز تجمعهم ـ ونقاط قوتهم وضعفهم .

وقد تصادف في تلك الأثناء وجود بعض الشخصيات العربية في دمشق من ضمنهم عبد الرحمن عزام (باشا) الأمين العام لجامعة الدول العربية ، والحاج محمد أمين الحسيني رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين ، ورياض الصلح رئيس وزراء لبنان .

وبمجرد وصول القائد إلى دمشق اجتمع بأمين الجامعة العربية بمقره في فندق «أوديون» وما أن رآه الأمين حتى نهض من مجلسه ورفع يديه محيياً ، وعانقه بحرارة وقال له : مرحبا .. مرحبا بالبطل .. لقد علمنا بأنباء انتصاراتك المشرفة على المجرمين اليهود .. لقد رفعت رؤوسنا عالياً يا عبد القادر ..

فرد عليه : ما زلنا في بداية المشوار يا باشا .. ولقد تأزم الموقف .. وانهالت على اليهود أسلحة جديدة وعديدة .. لقد كثرت عندهم الرشاشات والمدافع .. وعندهم طائرات تحمل المؤن لقواتهم .. وتقذف مواقعنا بالقنابل .. ولا نستطيع مواجهتهم بما نملكه من امكانات عسكرية محدودة .

---

(١) النكبة – عارف العارف .

فأجابه الأمين : نحن واثقون من قدرتك على مواجهة اليهود .. انت سيد الشجعان ..

فرد عليه عبد القادر : الشجاعة وحدها لا تكفي يا سعادة الباشا .. نحن بحاجة ملحاحة لأسلحة وذخائر .

– كن مطمئنا يا عبد القادر .. سنحقق رغبتكم ان شاء الله وسوف اتصل باللجنة العسكرية لهذا الغرض .. واستبشر القائد خيراً .

وفي اليوم التالي نشرت الصحف السورية نبأ الاجتماع .. وقد أجرى مندوب جريدة «المصري» بدمشق مقابلة صحفية مع عبد القادر الحسيني قال فيها :[1] «ان قوات الجهاد المقدس تسيطر سيطرة تامة على منطقة القدس بأكملها ، كما انها تشرف على خطوط المواصلات اليهودية في اريحا وبيت لحم ، وان مصير المائة ألف يهودي في القدس ليس بأحسن من مصير الألوف من اليهود في تل أبيب لأن القتال وحدة لا تتجزأ» . وقال أيضاً : «انني كقائد عسكري يتولى الدفاع عن سلامة العرب في القدس لا يهمني ما يجري في «اليك ساكسس» من مناقشات ، وما دام مشروع التقسيم قائماً فإن القتال سيستمر ولن نسمح بإنشاء دولة يهودية في فلسطين» .

يقول المراسل معلقاً : وأماط القائد عبد القادر الحسيني اللثام عن الجهود التي يبذلها رجال المخابرات البريطانية في فلسطين لمعرفة أسرار «المعادلات الكيميائية» التي تم بواسطتها نسف شارع ابن يهودا ، والوكالة اليهودية . وقال ان بعض هؤلاء الأشخاص عرضوا اموالاً طائلة على المجاهدين العرب لاعطائهم اسرار هذه المعادلات التي فاقت بقوة انفجارها كل ما استخدم حتى الآن من متفجرات في فلسطين ، ولكن العرب رفضوا هذه العروض وأجابوهم بأن هذه الأعمال ليست إلا بداية النهاية» .

المفاجأة :

توجه القائد إلى معسكر (قطنة) قرب دمشق .. حيث مقر اللجنة العسكرية التابعة لجامعة الدول العربية .. واجتمع باقطابها وعلى رأسهم اسماعيل صفوت رئيس اللجنة ، وطه الهاشمي المفتش العام لجيش الانقاذ .. وبعض كبار العسكريين العرب .

وعرض عبد القادر عليهم تقريراً مفصلاً ومدعماً بالوثائق تناول فيه الوضع العسكري في فلسطين من جميع جوانبه .. وبخاصة منطقة القدس كما اطلعهم على

---

(١) جريدة المصري ٤ من ابريل عام ١٩٤٨م .

المخطط اليهودي الذي لا يستهدف فك الحصار عن يهود القدس فقط بل يستهدف احتلالها أيضاً .

كما أطلعهم على الخطوط العريضة للخطة المضادة التي اعدتها قيادة جيش الجهاد المقدس .. وقد طلب في نهاية التقرير تزويده بالسلاح والذخيرة لاحباط الخطط اليهودية .

وهنا حدثت المفاجأة ...

قال الهاشمي : لماذا كل هذا الاهتمام بالقدس يا عبد القادر .. انها لا تستحقه .. ولو كانت القدس ميناء على البحر لاستحقت الاهتمام وقمنا بمساعدتك !

وانعقد لسان عبد القادر ولم يكن ليصدق ما يسمع .. وارتاب في كل شيء .. وقبيل أن يفيق من ذهوله إذ بأحد أعضاء اللجنة يتململ في مقعده ويقول موجهاً كلامه للهاشمي :

ولو كانت القدس تقع على البحر يا سعادة الباشا واحتلها اليهود ليلاً فإن اللجنة العسكرية سوف تستعيدها نهاراً ! ! .

تطاير الشرر من عيني عبد القادر .. واشتعل لهيب الغيظ في وجدانه وصاح في وجوههم : ما هذا الهراء ؟ ما هذا العبث بمصير الأوطان يا سادة .. انكم تريدون قهرنا واذلالنا ..

ولما رأوا من عبد القادر جسارته وانفعاله لم يشاءوا التمادي معه .. فابلغه طه الهاشمي بعدم وجود أسلحة لديهم . فصرخ فيهم عبد القادر : واين ذهبتم بالثمانمائة بندقية ، وبالمائة والثمانين رشاشاً .. تلك التي تبرع بثمنها اخواننا اللبنانيون ، والتي اشترطوا تسليمها لي ولأخي حسن سلامة ؟ ففوجئوا لدى سماعهم هذه الحقيقة على لسان عبد القادر والتي ارادوا لها أن تكون سراً لديهم فقط . فرد عليه طه الهاشمي بقوله : ان الأسلحة التي وصلتنا من مكتب فلسطين ببيروت سوف نسلح بها فوجاً جديداً من أفواج جيش الإنقاذ ! .

لم يشتم القائد رائحة للأمل في حواره مع اللجنة العسكرية ، فخرج حانقاً غاضباً ، وتوجه إلى مقر الحاج محمد أمين الحسيني وأبلغه بتفاصيل ما جرى ، وفي نهاية حديثه قدم اليه كتاب استقالة من كافة مسؤولياته العسكرية مبيناً لسماحته عن عدم قدرته على تحمل هذا العبء بامكاناته المحدودة ، وبسبب الظروف المشبوهة المحيطة به . فرفض المفتي مجرد الاطلاع على كتاب الاستقالة وأظهر للقائد خطورة

ما يفكر فيه في ذلك الظرف العصيب بالذات . واوضح له بأنه لا ينبغي لمثله أن يترك مكانه والأمة كلها تصبو إليه .. وبعد أخذ ورد .. عدل عبد القادر عن رايه .. بعد أن تلقى وعداً من المفتي ببذل جهوده لتأمين الأسلحة والذخائر .

معركة القسطل الأولى – سقوط القسطل :

علمت القيادة الصهيونية المشتركة بسفر عبد القادر إلى دمشق للحصول على أسلحة ، كما علمت عن استعداد المجاهدين لمواجهة خطة «ناخسون» فقررت تقديم موعد تنفيذ هذه الخطة أربعة أيام بحيث يتم تنفيذها قبيل عودة عبد القادر بأسلحة جديدة ، وقبيل اتمام استعدادات المجاهدين .

فهد اليهود لذلك بمحاولة اختراق الحصار الاقتصادي لمستعمراتهم وخاصة كفار عصيون . ومحاولة اعادة الاتصال بينها وبين القدس فكانت معركة الدهيشة التي سبق ذكرها .

لم تثن معركة الدهيشة اليهود عن خطتهم .. بل ربما كانت حافزاً على تنفيذها لكي لا يغتر العرب بقوتهم من جانب ، ولكي لا يزداد تضعضع الروح المعنوية للمدنيين اليهود من جانب آخر .

حشد اليهود ما يقرب من خمسة آلاف رجل مدججين بالسلاح . الجزء الأصغر من هذه القوات كانت مهمته احتلال قرية بيت محسير ، فاتجه صوب هدفه ، والجزء الأكبر من هذه القوات اتجه إلى ممر باب الواد لاقتحامه تمهيداً لاحتلال قرية القسطل في منطقة بيت محسير تصدى القائد الشيخ حسن سلامة واخوانه من المجاهدين لهجوم الجزء الأول من القوات المعادية فأفشلوا مهمتهم ، وكادت تنتهي المعركة ، إلا أن قيادة العدو قد دفعت بقوات اضافية إلى المعركة الأمر الذي منع قوات المجاهدين في هذه المنطقة من نصرة اخوانهم بباب الواد والذين تعرضوا لهجوم الموجة الاسرائيلية الكبيرة التي امتدت إلى قرية القسطل .. وتجدد القتال الضاري بين الفريقين .. واستبسل المجاهدون استبسال المؤمنين الصادقين . الا ان المحصلة النهائية للمعركة كانت في صالح العدو حيث استطاعت قواته القضاء على مقاومة المجاهدين من أهل القرية واقتحام باب الواد والسيطرة على قرية القسطل في فجر الثالث من نيسان ، ثم دفع العدو باعداد وفيرة من خبرائه ومهندسيه لتحصين القرية ، وتشييد استحكامات عسكرية قوية فيها .

- **جولة ثانية :**

أثار سقوط القسطل حمية المجاهدين في فلسطين برمتها ، وقررت قيادة منطقة القدس مهاجمة القرية قبيل أن تستقر اقدام الصهاينة فيها . وتوافد عدد من المجاهدين والقادة .. كامل عريقات على رأس مجموعة من اخوانه ، وابراهيم أبو دية يترأس مجموعة أخرى ، وحافظ بركات يقود مفارز عدة ، ثلاثمائة مناضل تجمعوا ووضعوا في حالة استعداد قصوى من أجل الجولة الثانية .

ليلة الاثنين الخامس من ابريل (نيسان) عام ١٩٤٨ حاصر المجاهدون القسطل واحتلوا بعض التلال المحيطة بها ، وتمركزوا فيها ، وفي يوم الثلاثاء هاجموا محاجر «الياشار» اليهودية ونسفوها بعد أن قضوا على الحراسات فيها . وفي الحقيقة ان هذه العملية قد استنفدت كثيراً من ذخائرهم ، فبدأت تشح في أيديهم ، ومما زاد من مرارة الوضع ان اعدادا اضافية من اليهود قد جاءت لنجدة قواتهم المتبقية حول المحاجر ، وكانت تساندهم عدة طائرات ومصفحات .

وعندما شعرت القيادة الفلسطينية بأن الوضع يزداد تأزماً وحرجاً بعثت في طلب النجدة من القدس ورام الله .

يقول جلوب باشا في مذكراته «جندي مع العرب» : «وبينما كانت معركة القسطل محتدمة كنت ماراً بشارع رام الله الرئيسي ، وإذا بسائق سيارة ينادي بأعلى صوته : ان رجال القسطل بحاجة إلى الذخيرة واني على استعداد لدفع ثمن هذه الذخيرة نقداً ، وسرعان ما تنادى أبناء المنطقة واستجابوا لرغبة السائق وزودوه بما يحتاج» .

والواقع أن السلاح الذي وصل إلى المجاهدين هناك لم يكن بكاف لتحقيق الحد الأدنى من النصر ، وبدا ان الوقت يسير في غير صالح العرب ، فاتصل بعض رسل الجهاد المقدس بقيادة أركان الجيش العربي الأردني الذي كان يقوده جلوب باشا البريطاني الأصل وطلبوا مساعدة المجاهدين في القسطل .. فاعتذر جلوب عدم قدرته على تقديم أية مساعدة . معللاً ذلك بأن ليس في استطاعة الجيش الأردني ان يدخل معارك حربية الا بعد انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين .

وكنتيجة مباشرة لهذا الوضع المتردي استطاع اليهود ان يتسللوا إلى القدس ومعهم عشرات من العربات المحملة بالأغذية والاطعمة لإنقاذ المحاصرين منهم في مدينة القدس .

- **مفاجأة ثانية :**

مجاهد قادم على التو من أرض المعركة في فلسطين حمل نبأ سقوط القسطل إلى قائده في دمشق :

صعق القائد من هول ما سمع ، وضرب كفاً بكف «وهاج كما يهيج النمر في قفصه»[1] ، وهرع من فوره إلى عزام باشا ليطلعه من جديد على جلية الموقف ، ويطلب منه تنفيذ وعده السابق .

غير ان سعادة الأمين رد القائد على اعقابه مبرراً ذلك بعدم وجود اسلحة كافية لدى الجامعة العربية وانه – أي الأمين – قد اتصل هاتفياً بطه الهاشمي لأجل هذا الغرض فلم يجد عنده أسلحة زائدة عن حاجته لاعطائها لعبد القادر ! ورجع بخفي حنين . فأشار عليه بعض مرافقيه بالعودة ثانية لمقابلة اللجنة العسكرية .. فتردد في قبول هذا الرأي .. ولكن نظراً لحرج الموقف في أرض المعركة تناسى ما حدث بينه وبين اللجنة منذ أيام .. وقرر الذهاب .. فلعل سقوط القسطل يزحزح كوامن الأمل ..

بمجرد ان رآه اسماعيل صفوت قال : هذه القسطل قد سقطت يا عبد القادر وعليك ان تستردها ، وإذا كنت عاجزاً عنها فأخبرنا بصراحة حتى نعهد بها إلى القاوقجي فما رأيك ؟ .

أجاب عبد القادر بغضب وانفعال شديدين : «القسطل يا باشا مأخوذة من كلمة (CASTEL) الافرنجية ومعناها الحصن .. وليس من السهل فتح الحصن بالبنادق الايطالية القديمة وبالذخائر القليلة التي بين ايدينا ..

لقد كانت خطتي إلى الآن أن أحاصر القدس والمستعمرات اليهودية وباب الواد ، وأن امنع وصول النجدات والمؤن إلى الصهاينة . ونجحت هذه الخطة لدرجة أن اليهود شرعوا في تموين رجالهم في القدس وباقي المستعمرات بالطائرات ، وقد وصلت اليهم طائرات ومدافع جديدة .. وليس من الميسور ان نستعيد القسطل بدون مدافع .. اعطني ما طلبت وأنا كفيل بكسر شوكة اليهود في منطقة القدس قبيل الخامس عشر من ايار .. وإذا لم أفعل فدمي حلال عليكم تشنقونني في أوسع ميادين الشام[2]

---

(١) هذا التعبير ورد على لسان المجاهد/قاسم الريماوي – في لقاء معه بعمان بتاريخ ١٩٧٤/٨/٢٣م .

(٢) الدكتور قاسم الريماوي في نفس الجلسة السابقة معه بعمان .

فقال له الباشا بلهجته العراقية : شنو عبد القادر ماكو مدافع ..

وهاج النمر الغاضب من جديد . وصاح بصوت مجلجل : السلاح في عنابركم ، ونحن احق به من مزابل جبع[1] . ان التاريخ سيتهمكم باضاعة فلسطين ، أما أنا فإني ذاهب إلى القسطل لأموت هناك قبيل أن أرى نتائج تقصيركم وتواطئكم .

في تلك الأثناء حاول المرحوم رياض الصلح تهدئة خاطر القائد الثائر ، فتوسط لدى اسماعيل باشا فوافق على تزويده بستين بندقية انجليزية مستعملة وعشرة رشاشات وعدة قنابل .

كما زوده المفتي بمبلغ نقدي قدره (٨٠٠) ثمانمائة جنيه فلسطيني لانفاقها في اغراض الجهاد .

غير ان ثائرة القائد لم تخمد حدتها فقال لرفيقه قاسم الريماوي : ليسقط دمي على رأس عبد الرحمن عزام وطه الهاشمي واسماعيل صفوت الذين يريدون تسليمنا لاعدائنا كي يذبحونا ذبح النعاج .. لكننا سنقاتل ، سنقاتل بدمائنا وأجسادنا ، وليبق السلاح مقدساً في عنابر اللجنة العسكرية وفي مزابل جبع .

سنرجع إلى فلسطيننا لنحقق املنا في الفوز بإحدى الحسنيين : النصر أو الشهادة ، ولنذكر قول الله تعالى : «فليقاتل في سبيل الله الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة ، فمن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه اجراً عظيماً»[2] .

وراح يردد قول رفيقه الشاعر المجاهد عبد الرحيم محمود :

بقلبي سأرمي وجوه العداة ... فقلبي حديد وناري لظى
وأحمي حياضي بحد الحسام ... فيعلم قومي بأني الفتى
أخوفاً ؟ وعندي تهون الحياة ! ... أذُلاً ! واني لرب الإبا

وهكذا .. قرر القائد العودة إلى فلسطين .. وان شئت فقل قرر أن ينتحر في فلسطين فغادر دمشق مساء الثلاثاء يوم السادس من ابريل ومعه ستة وخمسون متطوعاً .

---

(١) نسبة إلى منطقة تجمع لجيش الانقاذ .

(٢) سورة النساء – الآية ٧٤ .

انطلاق واستشهاد :

وصل عبد القادر وصحبه صباح الأربعاء ، وبمجرد وصوله عقد اجتماعاً مع كبار رفاقه المجاهدين . فتدارسوا الموقف عدة ساعات .. واتخذوا عدة قرارات من أهمها :

١ – الصمود التام في المعركة .

٢ – اعادة ترتيب القوات في القسطل .

٣ – استعادة القسطل .

هذا وقد تقرر توزيع تلك القوات على النحو التالي :[١]

– « ابراهيم أبو دية مع فصيلين من سريته . حامية القطمون في القلب أي في الناحية القبلية من القسطل .

– حافظ بركات في الميمنة أي في الناحية الشرقية .

– هارون بن حجازي في الميسرة أي في الناحية الغربية .

وبقي عبد القدر مع علي الموسوس وثلاثة آخرين من شباب بيت المقدس في موضع القيادة . وكان عددهم كلهم لا يزيد على ثلاثمائة ، وكان هناك أربعة من الانجليز المتطوعين يديرون أربعة من مدافع الهاون » .

– بداية المعركة :

الساعة تشير إلى الحادية عشرة مساء الأربعاء ويوم السابع من ابريل يلفظ أنفاسه الأخيرة .. بينما يطلق القائد اشارة البدء في الهجوم الكبير . ويلتحم المجاهدون مع الحاميات اليهودية .. وقد تمكن رجال الميسرة من اقتحام الاستحكامات الأمامية ، ودخل المجاهدون القرية من جانبها الغربي ، وتزداد المعركة ضراوة ، ويدفع العدو بقوات جديدة إلى المعركة .. ويبعث عبد القادر رسولاً يطلب المدد من المناطق المجاورة .. ويأتي :

– قاسم الريماوي يقود مجموعة من شباب الجهاد المقدس .

– الحاج عبد الحميد المدني يقود مجموعة من حراس الحرم الشريف .

---

(١) **النكبة – عارف العارف .**

- عبد الحليم الشلف يقود مجموعة من أهل الخليل .

- بهجت أبو غربية ومحمد عادل النجار على رأس مجموعة من شباب القدس .

- رشيد عريقات وجمال رشيد يقودان بعض مجموعات المتطوعين .

- وقام هؤلاء بحركة التفاف حول القسطل ، والتفوا بقوات الجهاد المقدس في قلب المعركة .

غير أن جانباً من القوات الصهيونية استطاع أن يشل حركة رجال الميمنة من الناحية الشرقية ، وأصيب ابراهيم أبو دية بجرح عميق ومعه ستة عشر من رجاله ..

واستشهد آخرون .. وتضعضع قلب الهجوم .. فغضب عبد القادر أشد الغضب وأقساه وخشي الهزيمة .. فاندفع مزمجراً مكبراً : الله أكبر .. إلى الأمام يا ابطال القسطل .. اتبعوني يا رجال .. وتبعه الرجال وهم يرددون : الله أكبر .. «وهاجم تلاً عالياً حصيناً وقاد بنفسه جنوده مخالفاً بذلك قوانين الحرب التي تحتم بقاء القادة الكبار في مؤخرة الجنود حرصاً على سلامتهم ، وانتصر البطل ، وحقق معجزة حربية»[1] .

ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ، واقتحم الأبطال خطوط الدفاع اليهودية ، فتهاوت حصونهم ، وانهارت مقاومتهم ، ورفع المجاهدون علم فلسطين على ربوة القسطل ، ونظراً لكثرة الخسائر البشرية التي مني بها اليهود فإنهم لم يستطيعوا نقل قتلاهم من أرض المعركة . فسعوا لدى الانجليز لاخراج جثث قتلاهم .. وقد أعلنت اللجنة العربية العليا تفاصيل خسائر العدو فكانت على النحو التالي : ١٧٠ قتيلاً - ٨٠ جريحاً - ٧٠ أسيراً .

- أين القائد :

وسط هذا النصر المؤزر افتقد المجاهدون قائدهم وحبيبهم ، وكلهم يسأل : أين عبد القادر ؟ وبعد حين يرتطم الخبر في اسماع الجميع : استشهد عبد القادر ! ! وتتزاحم الأسئلة اين ؟ ومتى ؟ وكيف ؟ .

وتختلف الروايات عن كيفية استشهاده ، وتكثر الاشاعات عن تمثيل اليهود

---

(١) كارثة فلسطين - عبد الله التل .

بجثته .. قيل ان القائد قد لاحق يهودياً اختبأ في منزل من منازل القرية فدخل وراءه ، فألقى اليهودي عليه قنبلة فانفجرت فيه . وقيل انه جرح في المعركة فوقع أرضاً وظل دمه ينزف .. وان أحد اليهود عرفه فأفرغ فيه رشاشه . وقيل إن رصاصة طائشة قد اصابت منه مقتلاً .. وقيل غير ذلك .

غير أن عدداً من رفاقه المجاهدين اجمعوا بأنه قد التحم مع بعض اليهود في معركة قصيرة بين جدران أحد المنازل الواقعة في الطرف الشرقي من القرية فاصابته عدة طلقات فمات .. ويدعم هذا الرأي ان زملاءه قد وجدوا عند جثمانه رشاشاً فارغ الطلقات من نوع «توميجن» ومسدس و«سلملك» .

وايا ما كان الأمر فلقد استشهد بطل القسطل . وتحولت نشوة الظفر في وجوه المجاهدين إلى فجيعة كبيرة في قلوبهم . فأمست الضحكات في ثغورهم إلى عبرات ساخنةفي مآقيهم ، وتهاووا على جثمانه يبكون .

وقد ترك كثير من المجاهدين مواقعهم العسكرية وذهبوا للمشاركة في تشييع قائدهم إلى مثواه الأخير ، فتوجهوا إلى القدس ولم يبق بالقسطل سوى العدد القليل منهم .

وقد استغل الصهاينة ذلك الموقف وكروا على القسطل مرة أخرى وبعدد من الرجال أكبر وبكمية من العتاد أوفر واحاطوا القرية من كل جانب ، وهاجموها بمختلف أنواع الأسلحة ، وما كاد صباح التاسع من ابريل ينبلج حتى كانت القسطل في حوزتهم «وباحتلال القسطل استطاعت القوات اليهودية ان تحافظ على الطريق إلى القدس»[1] .

وقد قامت الطائرات الاسرائيلية بإلقاء النشرات على المدن والقرى الفلسطينية اشارت فيها بشماتة إلى سقوط القسطل واستشهاد عبد القادر الحسيني ملقية اللوم على طه الهاشمي وعزام باشا وموقف اللجنة العسكرية المتخاذل من الفلسطينيين مطالبة في نهاية النشرة باستسلام الثوار لانه ليس باستطاعتهم الانتصار على اليهود بمفردهم ولأن الجامعة العربية لن تقدم لهم أية مساعدة ذات بال !

---

(١) الثورة – مناحيم بيجن .

- **صورة الوضع بعد سقوط القسطل :**

لقد ترك غياب القائد فراغاً كبيراً ، وفتحت أبواب الصراعات العقائدية والتناحرات العائلية ، مما دفع المجاهد القائد حسن سلامة – وبدافع المسؤولية والحرص – للسفر إلى دمشق والتشاور مع المسؤولين العرب هناك ، وليجدد طلب رفيقه عبد القادر لتزويد المقاتلين بالسلاح والذخيرة غير انه رجع فارغ اليدين خالي الوفاض ، لكن ذلك لم يمنعه من مواصلة الجهاد وإعادة تنظيم صفوف المجاهدين الذين اغاروا على بعض المواقع اليهودية واحتلوا بعضاً منها في قضاء رام الله كما استطاعوا السيطرة على طريق باب الواد من جديد .

حدث كل هذا خلال احتدام الصراع بين اللجنة العسكرية والهيئة العربية العليا ، واختلافهما على تعيين خلف للقائد الراحل . وأخيراً تمت الغلبة للنعرة العائلية فقد أصدر الحاج محمد أمين الحسيني قراراً بتعيين خالد الحسيني خلفاً لعبد القادر ، والحقيقة ان المفتي لم يحالفه التوفيق في اختياره الخلف المناسب لأن خالد الحسيني لم يكن يتمتع بالحد الأدنى من الحنكة العسكرية ، بينما كانت اللجنة العسكرية ترغب في تعيين المجاهد ذو الكفل عبد اللطيف وهو يتمتع بكفاءة عسكرية عالية .

ومن جانب آخر وعلى أثر استشهاد عبد القادر الحسيني حاول اليهود استغلال الكارثة ، واستثمار الأسى العربي فنفذوا مجزرة «دير ياسين» الرهيبة التي راح ضحيتها أكثر من مائتين وخمسين شهيداً .

لقد كان سقوط القسطل بمثابة مقدمة لاستيلاء اليهود على عشرات من القرى والمدن الفلسطينية فيما بعد .

ففي الفترة الواقعة ما بين معركة القسطل في ٨ من ابريل عام ١٩٤٨ وحتى السابع والعشرين من ذات الشهر استولى اليهود على المناطق التالية :

القسطل – دير محيسن – خلدة احتلها اليهود بتاريخ ٨ من ابريل .

دير ياسين احتلها اليهود بتاريخ ٩ من ابريل .

اللجون احتلها اليهود بتاريخ ١٥ من ابريل .

ساريسي احتلها اليهود بتاريخ ١٧ من ابريل .

طبريا احتلها اليهود بتاريخ ٢٠ من ابريل .

حيفا احتلها اليهود بتاريخ ٢٢ من ابريل .

القدس (بعض المناطق) احتلها اليهود بتاريخ ٢٥ من ابريل .

يافا احتلها اليهود بتاريخ ٢٦ من ابريل .

عكا احتلها اليهود بتاريخ ٢٧ من ابريل .

كما تم احتلال مدينة صفد في اليوم السابع من مايو (أيار) من نفس العام ، وكذلك مدينة بيسان التي تم احتلالها في اليوم التاسع من مايو ، بالإضافة إلى عدة قرى أخرى . علماً بأن كل هذه المناطق قد تمت السيطرة اليهودية عليها تحت رعاية الانتداب البريطاني في فلسطين والذي كان مقرراً ان ينتهي يوم ١٥ من مايو عام ١٩٤٨م .

وبسبب هذه النهاية الوشيكة للانتداب لم تكن القوات البريطانية تتدخل لفض القتال بين العرب واليهود اللهم إلا إذا كان اليهود في وضع حربي حرج ، وفي هذا المعنى يقول ابن بريطانيا المخلص جلوب باشا في مذكراته : «في أيار (مايو) عام ١٩٤٨ بينما كان الانتداب يصعد انفاسه الأخيرة كان القتال في فلسطين يتزايد والمعارك على أشدها في شوارع القدس ، واليهود اخذوا باحتلال مناطق المدينة قسماً فقسماً ، وكان القتال يدور من منزل إلى آخر ، والجيش البريطاني مرابط على بعد مائة متر من هذه المعارك ولم يكن يتدخل إلا عندما تحتدم المعركة لأنه لم يكن ليرغب في تقديم ضحاياه رخيصة ما دام سوف ينسحب بعد مدة وجيزة» .

- نقيضان في مشهد واحد :

في الوقت الذي كان الصدام محتدماً بين العرب والصهاينة .. كانت الإذاعات العربية مشغولة في تقديم برامجها العادية . والصحافة لا تنشر من أنباء المعارك إلا بالقدر الذي يهمها نشره .

فنلاحظ مثلاً انه في نفس الوقت الذي نشرت فيه الصحف : (السورية مثلاً)[١] .. أنباء استشهاد بطل القسطل ، وأنباء مجزرة دير ياسين .. نراها تضمن بعض اعدادها هذه المقتطفات[٢] :

---

(١) لقد ركزنا على الصحف السورية باعتبار سورية كانت المقر العام للقوات العربية ومركز التقاء المتطوعين العرب .

(٢) جريدة الأخبار السورية - من ١٠ - ١٤ ابريل سنة ١٩٤٨ .

- (ضربة القدر) .. تمدد اسبوعاً ثانياً بسينما الأهرام ، مع مناظر جلالة الملك فاروق في اسوان .
- العراق يستعد للاحتفال بعيد ميلاد صاحب الجلالة الملك فيصل الثاني المعظم ، استعداداً يتفق وما للشعب من تعلق بمليكه المفدى .
- كراج (العون بالله) يخصص سيارات حديثة موديل (١٩٤٨) ، وصالونات فخمة سريعة يقودها أمهر السواقين ، تسير يومياً لكافة مصايف سوريا ولبنان .
- الجامعة السورية تطرح مناقصة على طريقة الظرف المختوم لتقديم برادات .
- رزق الوجيه المعروف السيد (٠٠٠٠٠) مولوداً ذكراً اسماه (.....) جعله الله من أبناء السعادة وأقرّ به عيون والديه .
- وصول آلات جديدة لمعمل الزجاج .
- هل أنت مصاب بالامساك ؟ اذن تناول حبوب (كارتر) مفعولها لطيف ، لا قوي ولا ضعيف !! .
- شاهدوا غداً بسينما دمشق فيلم «رجال السيف» المبارزون ، الفيلم الجبار الذي فاق بقوته فيلم «ابن روبين هود» وللسيدات حفلة واحدة اسبوعياً بالطابق العلوي .
- قطرة ابن سينا تباع في جميع الصيدليات .
- الآنسة ام كلثوم ستزور دمشق في الصيف .
- بذار البطاطا أصبح قطعاً نادراً .
- الثلاثاء القادم في ملهى كازا نوفا شاهدوا راقصة الباليه الآنسة (سيمون) .
- استعملوا (الشومينتو) الاسمنت الوطني .
- يوغسلافيا تدعوكم لزيارة معرضها في زغرب .
- صدر حديثاً : قابلت جلالة الملك فاروق ، وشهدت ولادة الجامعة العربية . عشرة أيام في القاهرة للاستاذ/عبد الله المشنوق .

● مديرية الزراعة تقوم بتجارب واسعة لاستخراج نوع جديد من البطيخ يضاهي في نكهته البطيخ العراقي .

وهذا بالطبع لا يمنع وجود بعض الإعلانات التي تحث الجماهير للتبرع من أجل فلسطين : [1]

● ايها الأغنياء : هل تبرعتم لفلسطين ؟

ايها التجار : هل أديتم واجبكم نحو فلسطين ؟

ايها الشعب : فلسطين تستصرخ ايمانك وقد ابتدأت المعركة ، فأدِّ ما عليك نحو بلدك المقدس .

● ايها التجار الأغنياء :

ادفعوا ضريبة المجد ثمن حريتكم وحرية نسائكم واطفالكم . وإذا كنتم لا تربحون في هذه الأيام فادفعوا لفلسطين من ارباحكم في الماضي .

● « ... وهلا ساهم القادة والزعماء في سبيل فلسطين بما يذر الرماد ، ويقطع السنة الناقدين ، ثم أين المبالغ الطائلة التي جمعت لشراء الأسلحة والذخائر ، ولم لم تتحرك هذه الأسلحة في طريقها إلى هؤلاء المجاهدين ، بربكم يا سادة .. أسرعوا وسارعوا لنجدة هؤلاء العرب لا بالخطب والأقوال ولكن بالعتاد والمال والرجال فلقد اشتد الخطب ، وتأزمت الأمور وضيق الخناق على القوم ، ولم يبق إلا أن نكون فعاليه لا قواليه »[2] .

● مقتطفات من جريدة « نهضة العرب » التي تصدر في ديترويت[3] « شردهم الصهاينة فمن يعولهم ؟ البؤساء المشردون من فلسطين اخوة لنا في القومية والإنسانية ، فلا تمل وجهك عنهم ايها العربي المغترب ، بل اسرع إلى معونتهم ، انهم في حال ما امضها من حال » .

– ايها العربي .. سواء أكنت من اتباع محمد ام من اتباع عيسى هذه فلسطينك تستنجد بك .. فإلى الواجب .

---

(١) جريدة المنار الدمشقية .

(٢) جريدة المقطم : ٢٧ ابريل سنة ١٩٤٨ .

(٣) نهضة العرب – ديترويت ٢٣ نيسان ١٩٤٨م .

– في فلسطين العربية مشكلة سياسية لا يحلها غير العمل والتضحية ، ونكبة إنسانية تستدعي العطف والنجدة فإلى الواجب .

– ونشرت جريدة «البلاغ» المصرية هذا النداء «سلّحوا العرب .. فدماء العرب عزيزة علينا وعلينا وحدنا .. فيا زعماء العرب قولوها كلمة ، واصدروه قراراً ، ونفذوه فعلاً وليكن ما يكون»[1] ...

● كتب الأديب أحمد حسن الزيات في مجلة الرسالة[2] «ماذا جرى حتى استجملت الناقة يا يهود ، وماذا جرى حتى استنوق الجمل يا عرب ؟ جرى ان اليهود يعملون ونحن نقول ، ويجدّون ونحن نهزل ، ويبذلون ونحن نبخل ، ويتعاونون ونحن نتخاذل ، ويتكلمون ونحن نتواكل !

للجامعة العربية في كل شهر مؤتمر ، وفي كل اسبوع مجتمع ، وفي كل يوم قرار ، وفي كل ساعة تصريح ، وفي كل دقيقة خطبة ، وكل أولئك يحمله الهواء إلى المجاهدين المجهودين أصواتاً لا تدفع سيارة ، ولا ترفع طائرة ، ولا تحشو مدفعاً ، ولا تملأ بطناً ، ولا تبعث القوة ، فإذا جاء يوم العمل نظر بعضهم إلى بعض واجماً» .

● وأما على المستوى الفلسطيني ذاته فتستطيع قراءة مؤشر الغضب الشعبي في نص هذه البرقية اللاهبة التي ارسلتها اللجنة القومية في نابلس في أول يناير سنة ١٩٤٨م إلى ملوك ورؤساء الوزارات ، ورؤساء مجالس الشيوخ والنواب وإلى ولي عهد السعودية وإلى الهيئة العربية العليا بالقاهرة وإلى الجامعة العربية تطلب فيها اللجنة القومية السلاح وهذا نص البرقية : «ان ما تسمعونه كل يوم من الجرائم اليهودية الغادرة التي يحترق بنيرانها مئات الأبرياء من العرب والتي يترفع عن اقترافها الجنود الشرفاء البواسل تجعل عرب فلسطين العزل من السلاح المؤمنين بحقهم والمجاهدين ذوداً عنه يسألونكم بمرارة وألم يا أصحاب الجلالة والفخامة والدولة : إلى متى ؟ .. انه لشرف عظيم لعرب فلسطين يتسابقون اليه ان يموتوا دفاعاً عن بلادهم ، وصوناً لشرف العروبة ، ولكنه يؤلمهم ان يموت ابناؤهم موت الخراف في الشوارع وأيديهم يكبلّها الاستعمار بقيوده وحديده وجنوده ، يؤلمهم تتابع هذه المآسي ، وعيون الأهل ناظرة ، والسيوف مغمدة ، يؤلمهم ان يفاجئهم الموت الغادر وما تزال في نفوسهم حسرة

---

(٤) جريدة البلاغ – ١٤ ابريل ١٩٤٨م .

(١) مجلة الرسالة ٣ مايو سنة ١٩٤٨م ٢٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٧م .

وقلوبهم ألم من الأهل والعشيرة ! فإلى متى ..؟ يرى العالم قوافل النجدة والعتاد من اليهودية العالمية ويسمع مقررات الدول العربية فإلى متى ؟»...

نعي الهيئة العربية العليا لفلسطين «فقيد فلسطين الكبير»

«من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً».

تنعي الهيئة العربية العليا بالقاهرة بمزيد مع الأسى مع الفخر والاعتزاز للأمة العربية الكريمة في فلسطين وسائر الاقطار العربية وللعالم الإسلامي رجل فلسطين البار وقائدها الوطني الفذ الشهيد المرحوم السيد عبد القادر الحسيني الذي سقط شهيداً في معركة «القسطل» بعدما ربح المعركة واسترد ذلك الموقع الخطير من أيدي اليهود.

وان الخسارة التي حلّت بالشعب الفلسطيني بفقد ذلك القائد البطل العظيم الذي خاض كقائد بطل معارك الجهاد في سبيل الدفاع عن فلسطين منذ سنة ١٩٣٦م ولم يخسر في حياته معركة واحدة، حتى المعركة التي استشهد فيها.

ان الخسارة لكبيرة، وان الرزء بفقده لعظيم.

وسيشيع جثمان الفقيد العظيم في الساعة العاشرة والنصف من صباح اليوم (الجمعة) من منزل شقيقه السيد سامي الحسيني بالقدس إلى المسجد الأقصى المبارك حيث يصلى عليه ثم يدفن في جانب ضريح والده المرحوم موسى كاظم باشا الحسيني بجوار المسجد الأقصى.

فعزاء لآل الفقيد ولفلسطين المجاهدة، وللأمة العربية الكريمة بهذا المصاب الفادح ولتحيا فلسطين حرة عربية إلى الأبد».

جثمان بطل القسطل لم يشوه :

جاء في نشرة للهيئة العربية العليا ما يلي : «اذيع أن اليهود شوهوا جثمان القائد العربي وفصلوا الرأس عن البدن قبل انسحابهم. وهذا زعم لا أساس له من الصحة إذ ان القائد الكبير عبد القادر الحسيني استشهد أمام رجاله الذين اسرعوا إلى الاحاطة

به ولم يمكنوا اليهود من الوصول إليه . وما كان اليهود ليتورعوا – لو اتيح لهم – عن اقتراف مثل هذه الجريمة الشنعاء» .

– رحلة الوداع

لقد اهتز الوطن العربي على الصرح الأشم الذي هوى ، واحدثت وفاته فجوة عميقة في نفوس الفلسطينيين بشكل خاص وذلكم بسبب تعلقهم العضوي والوجداني برمز كفاحهم وانتصاراتهم .. ووجد العامة في فقدهم اياه نذير شؤم عليهم وعلى قضيتهم . فلا عجب اذن ان يتدفق الناس من كل شِعب وصوب ، من كل قرية ومدينة .. من كل مرتفع وسهل ليشاركوا في وداع قائدهم وداعاً لا لقاء بعده .

عشرون ألف رجل وامرأة . شاركوا في جنازته المهيبة .. كانت بلا ريب أعظم مشهد جنائزي شهدته فلسطين في تاريخها المعاصر والحديث .. وكانت أعظم من جنازة والده المرحوم موسى كاظم باشا .. ومن الناس من شارك في الاثنتين .

تجمع المشيعون حول منزل شقيقه السيد سامي الحسيني بالقدس . وعند دنو الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم الجمعة حتى أخرج الجثمان من المنزل .. مزركشاً بالعلم الفلسطيني ... يتبختر في اجلال بين اكف الناس واعناقهم .. واطلق المجاهدون الرصاص تحية وتقديراً ..

تقدم الموكب الحزين أعضاء الهيئة العربية العليا .. وقناصل الدول العربية والاسلامية والأجنبية .. وأعضاء المجلس الإسلامي الأعلى . ورؤساء الطوائف المسيحية ورؤساء وأعضاء اللجان القومية . وعدد من المجاهدين العرب ، وممثلون عن مختلف القيادات العسكرية ، ورجال البوليس النظامي وطلاب وطالبات المدارس ، وشباب النجادة ، والاخوان المسلمون ، وأعضاء الاتحادات النسائية . وآلاف من المواطنين والمواطنات .

وسمعت في هذه الأثناء أجراس الكنائس تدق حزناً وألماً وبعد ساعتين من السير الوئيد .. والبكاء المتصل .. وصل الجثمان الطاهر إلى المسجد الأقصى المبارك بالقدس حيث اقيمت عليه الصلاة .

ولحظة توريته التراب إلى جانب ضريح والده .. أجهش الرجال ، والنساء – على حد سواء – في البكاء عليه ..

وهنا حدث الموقف الدرامي من حارسه الوفي ورفيق جهاده المخلص عوض محمود أحمد حيث أخذ يلطم خدوده في مرارة وألم .. ويهذي بكلمات الوداع .. مع السلامة يا أبا موسى .. لمن تركتنا يا عبد القادر .. لا تدفنوه ايها الناس فما زال حياً .. اين أنت يا حبيب فلسطين[1] ..

واطلقت المدافع إحدى عشرة طلقة تحية له ، ولما ووري التراب تعاقب الخطباء والشعراء في تأبينه . فرثاه مفتي فلسطين ، وممثلو المجلس الإسلامي الأعلى والاتحاد المسيحي والاتحاد النسوي .

---

(١)

لو أنصفوا أودعوه جوف لؤلؤة ... من كنز حكمته لا جوف اخدود
وأنزلوه بأفق من مطالعه ... فوق الكواكب لا تحت الجلاميد
وناشدوا الشمس أن تنعي مناقبه ... للشرق والغرب والأمصار والبيد

الباب الثامن

صدى الاستشهاد

نعاه المؤذنون على المآذن ، وأقيمت عليه صلاة الغائب في أغلب البلاد العربية ، وجعل خطباء المساجد – في صلاة الجمعة – حادث استشهاده موضوعاً لخطبهم ، واكتظت الصحف العربية بأنباء جهاده ، وعرض صور لبطولاته وامجاده ، بينما اذاعت المحطات الاذاعية في أولى نشراتها الاخبارية نبأ استشهاده ..

● وتلقى رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين مئات من برقيات ورسائل التعزية . وكان في طليعة المعزين الملك عبد العزيز آل سعود والملك فيصل الثاني والملك عبد الله والملك فاروق ، والرئيس شكري القوتلي وامام اليمن والأمير عبد الاله والرئيس الشيخ بشارة الخوري ... وغيرهم .

وقد ابنّه المؤبنون في المجالس النيابية في مصر وسوريا ولبنان والعراق ، وجامعة الدول العربية .

واجتمع في الأزهر الشريف الوف المصلين لصلاة الجمعة ، واستمعوا إلى خطبة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر فضيلة الشيخ مأمون الشناوي ، وقد ضمنها التنويه بحياة الفقيد وتفانيه في خدمة العروبة والاسلام .. وافتدائه فلسطين بدمه وشبابه وروحه .

وقد رثاه المرحوم رياض الصلح رئيس الوزراء اللبناني آنذاك في جلسة للمجلس النيابي في لبنان . وقال : «اني ارسل إلى المجاهدين في فلسطين تحية الاعجاب للبطولة التي تتجلى في أعمالهم ، وأنحني امام بطولة المجاهد الكبير الذي قضى في

صميم المعركة يكتب بدمه لاخواننا وللأجيال المقبلة درساً في التضحية اعني به الشهيد عبد القادر الحسيني الذي قضى بعد أن رأى النصر يحوط باخوانه في معركة القسطل».

– **رثاء الصحافة**:

● في صدر صفحتها الأولى نشرت جريدة «الأهرام» نبأ الاستشهاد بقولها[1]:

«استشهاد عبد القادر الحسيني اثر انتصار عظيم – العرب يستردون «القسطل» ويشنون أكبر هجوم في تاريخ فلسطين.

– كان لا بدّ للنصر العسكري في معركة فلسطين ان يكتمل بنصر معنوي ميدانه التضحية، وتوافرت ادلته بما ترامى الينا على مرّ الأيام من أعمال البطولة في ساحة الوغى، وقد جاء استشهاد المرحوم عبد القادر الحسيني قائد منطقة القدس في معركة القسطل على ما فصلته البرقيات مثلاً رائعاً لبذل النفس يزهو به مجد العروبة، تغمد الله فقيدنا الأبي بواسع رحمته والهم آله الكرام جميل العزاء»..

● وعلقت جريدة «المصري» على النبأ بقولها: «...[2] إن تكن «للمصري» كلمة يتقدم بها إلى ابطال العرب في فلسطين المجاهدة وشقيقاتها من البلدان العربية عقب استشهاد القائد العظيم المرحوم عبد القادر الحسيني فحسبه ان يجمع من نثار الدموع، ومن أكاليل العزة، ومن هتاف الأرواح المؤمنة ما يودع به الفقيد الشجاع، وحسب الشهيد من المجد انه بنى صرحاً فارعاً من جهاده الفرد. ظل قائماً في وجه العدوان يذكر المتناسين بأن العزيمة العربية تستهين بالموت في سبيل استرداد الحق المغصوب، وبأن البطولة العربية تجتاح في طريقها حتى المنون!!

حسب الشهيد من المجد انه عاش باسلاً وكافح باسلاً، ومات باسلاً، وان نفسه العظيمة قد مثلت كرامة أمته العربية رفيعة شامخة في كل وقت وكل مكان. الا. ايها العرب البواسل اخفضوا الرؤوس وحيوا الشهيد العظيم، مقدسين ذاته الفدائية الباهرة والتضحية بالنفس في سبيل الفكرة».

---

(١) جريدة الاهرام ٩ ابريل سنة ١٩٤٨م.

(٢) جريدة المصري. ١٠ من ابريل سنة ١٩٤٨م.

● وكتبت جريدة «الأيام» السودانية تحت عنوان «مصرع بطل» تقول[1] :
«كان لاستشهاد القائد العربي الشهيد السيد عبد القادر الحسيني رنّة اسى في الشعوب العربية جميعاً . ولا عجب فقد فقدت العروبة بمصرعه في معركة القسطل مكافحاً حراً . من اشجع مكافحيها واصلبهم عوداً ، وأعظمهم اصراراً ، وقد سجل الفقيد الكثير من صفحات المجد والبطولة في معارك فلسطين التي خاضها ضد اليهود والانجليز وتولى القيادة في منطقة القدس حيث واجه قوات صهيونية تفوقه عدداً وعدة فأنزل بها الكثير من الهزائم ، واحكم ضرب حصار على يهود القدس حتى اوشكوا على الموت جوعاً وأخيراً سقط في ميدان الشرف» .

● وكتبت جريدة «نهضة العرب» التي تصدر في (ديتروايت) بالولايات المتحدة الأمريكية[2] «على أن خسارة العرب تعد كبيرة جداً لأن بين الذين استشهدوا القائد الهمام عبد القادر الحسيني الذي أدار المعركة بمهارة وشجاعة ضمنتا الفوز للمجاهدين» .

● عن مجلة «العرفان» السورية[3] .

«... وما استشهاد البطل المغوار السيد عبد القادر الحسيني في معركة القسطل إلا حلقة رائعة من حلقات جهاد العرب . وما عدول امريكا عن التقسيم واسترجاع القسطل وفق الوكالة اليهودية الا فوز معنوي باهر للعرب نرجو أن لا يقفوا عنده «رحم الله الشهيد البطل السيد عبد القادر الحسيني وهنيئاً له» .

● ومن جريدة «القبس»[1] السورية نقتبس ما يلي :

– فارس فلسطين وابن زعيمها الشهيد عبد القادر الحسيني يموت شجاعاً .

– اليهود يستردون القسطل بينما العرب منهمكون في التشييع .

– إذا كان مصرع عبد القادر الحسيني خسارة على فلسطين وعلى المجاهدين العرب فإنه في الوقت نفسه شرف لأهل فلسطين ، وتزكية كريمة لجهادهم وشجاعتهم في سبيل وطنهم . بل ان استشهاد عبد القادر الحسيني أكبر ترضية لروح والده

---

(١) جريدة الأيام السودانية ١٥ ابريل سنة ١٩٤٨م .
(٢) العدد ٣١ بتاريخ ٢٣ من نيسان سنة ١٩٤٨م .
(٣) المجلد ٣٤ الجزء الخامس ص ٧٩٢ .
(١) جريدة القبس السورية العدد ٣٥٨٦ بتاريخ ١١ نيسان سنة ١٩٤٨م .

الجليل المرحوم موسى كاظم باشا الحسيني زعيم فلسطين الأول وشيخها المناضل الذي قاد معركتها السياسية حتى لقي وجه ربه رافع الرأس موفور الكرامة.

رحم الله عبد القادر الحسيني الفارس، ورحم موسى كاظم الحسيني الزعيم.

ورضي الله عن خالد بن الوليد القائل: «لا نامت أعين الجبناء».

● تحت عنوان «في ذمة الله فتى العروبة وزينة المجاهدين» نشرت مجلة «المصور» المصرية مقالاً للاستاذ/حبيب جاماتي قال فيه[1]:

[[٣٦ سنة قضاها عبد القادر الحسيني في هذ العالم قبل ان يلقي ربه في معركة القسطل مستشهداً في ميدان التضحية والجهاد. ذلك الميدان الذي نزل إليه وهو فتى مراهق لم يبلغ العشرين فما لبث ان أضاف إلى ما رسمه السابقون جديداً يترسمه اللاحقون من أبطال الحرية والاستقلال.

وليذكر العرب قرية القسطل جيلاً بعد جيل ودموع الفخر تترقرق في عيونهم ممزوجة بدموع الأسى: الأسى على فقد زينة الأبطال وفتى المجاهدين عبد القادر الحسيني والفخر لما أبداه العربي في هذه الموقعة الدموية من ضروب الشجاعة والاستبسال وما احرزه من نصر مبين.

سقط عبد القادر الحسيني في مضمار الشرف والسلاح بيده. فاذكروا هذا ايها العرب واذكروا زوجة الشهيد ورفيقة حياته، التي كانت - بحبها وشجاعتها وعنايتها - تزيده قوة على قوة، وعزماً على عزم، وايماناً على إيمان، واذكروا الاشبال الأربعة الذين تركهم هذا الأسد. الذي صرعه الرصاص وهو يملأ بزئيره جبال فلسطين ووديانها».

● وكتب الأستاذ الجاماتي مقالاً آخر في مجلة «الهلال» بعنوان «مواكب الشهداء» جاء فيه[1]: «بالله لا تمحوا اسماءهم من صفحة الأذهان ولا تسدلوا على ذكراهم ستار النسيان فقد جاهدوا من أجل فلسطين العربية منعزلين قبل أن يجاهد العرب من اجلها مجتمعين ومشت مواكبهم إلى ساحة الاستشهاد افواجاً بعد أفواج وحاولوا انقاذ فلسطين في سلسلة من الثورات ذرفوا فيها الدموع وبذلوا الدماء ففتحوا الطريق أمام جحافل التحرير.

---

(١) مجلة المصور المصرية ١٦ابريل سنة ١٩٤٨م.

(٢) مجلة الهلال يوليو سنة ١٩٤٨م.

ثلاثون سنة مرت على فلسطين وهي في الميدان وحيدة تجاهد وتقاوم وتكافح ، وشهداؤها يسقطون في ساحات الشرف واحداً بعد الآخر ورهطاً بعد رهط ، أولئك الأولون الذين سبقوا إلى جنة الخلد ، فبالله لا تمحوا اسماءهم من صفحة الأذهان ولا تسدلوا على ذكراهم ستار النسيان .. لقد سقط البطل عبد القادر الحسيني ابن الاسد موسى كاظم الحسيني شهيداً في معركة القسطل وهو يقود رجاله إلى النصر .

ثلاثون سنة مرت بين العهدين ، بين الثورة الأولى التي أعلنها الأب ، والوثبة التي استشهد فيها الابن، وهذه الحقبة بين العهدين مفعمة بالتضحية حافلة بجلائل الأعمال . وقد دونت كل مرحلة من مراحلها في سجلات التاريخ بدم شهيد أو أكثر من شهيد » .

● صبيحة يوم الجمعة التاسع من نيسان ابرزت جريدة «النصر» السورية في صدر صفحتها الأولى هذه العناوين[٢] : « – البطل عبد القادر الحسيني يستشهد بعد أن أمن الظفر لرجاله في معركة القسطل – القائد العربي البطل لمنطقة القدس يسقط في ساحة الشرف – الشهيد يسقط وهو يخوض معركة القسطل بالسلاح بعد أن انقذ القرية » .

عند الساعة السادسة من مساء الخميس ٨ نيسان كانت محطة نيويورك تذيع نشرة اخبارية باللغة الانجليزية . وقبيل انتهاء النشرة اعلن المذيع انه تلقى للتو برقية مستعجلة من القدس تفيد أن قائد منطقة القدس العربي عبد القادر الحسيني (قتل) في معركة تدور على بعد أربعة كليو مترات من القدس (وهي معركة القسطل) .

وأعلنت محطة القدس نعيه ، وقررت انها الغت حفلاتها الغنائية حداداً على الفقيد الكبير واستعاضت عنها بتلاوة آيات الذكر الحكيم .

وأعلنت محطة لندن بالانجليزية نعيه وقالت انه (قتل) في معركة القسطل حين طرد العرب الهاجاناه منها وطاردوهم حتى مستعمرة (مونتزا) حيث تحتدم المعركة .

والشهيد البطل هو نجل موسى كاظم باشا الحسيني ، وابن اخت سماحة المفتي الأكبر ، لم يتجاوز الأربعين . كانت حياته حافلة بجلائل الأعمال . فقد اشترك الفقيد في ثورات فلسطين كلها .. وفي عام ١٩٤٠ ذهب إلى العراق مع اخوانه المجاهدين

---

(١) جريدة النصر ٩ نيسان سنة ١٩٤٨ العدد ١٠٨٦ .

وعين مدرساً للكيميا في معاهد العراق ، ثم التحق بالمدرسة الحربية واشترك بعد ذلك بثورة العراق وكان بطل معركة (صدر أبو غريب) مع ١٦ مجاهداً من أبطال فلسطين .

وبعد انتهاء الثورة غادر العراق إلى ايران ، وعاد بعد ذلك إلى بغداد ، وحدث أن اغتيل فخري النشاشيبي فاعتقل الشهيد وسجن وعذب ثم سافر إلى الحجاز ومنها إلى مصر ، فطلبت الحكومة البريطانية من الحكومة المصرية اخراجه من مصر فرفضت مصر هذا الطلب وايدت موقفها الحكومات العربية ، وحين أعلن التقسيم مؤخراً ونشب القتال في فلسطين تولى فقيدنا قيادة منطقة القدس ، وقبل يومين كان في دمشق وعاد منها فوراً للإشراف على معركة حصار القسطل ، وقد اشترك في هذه المعركة بالسلاح الأبيض واستشهد صباح أمس .

● في العاشر من أبريل نشرت جريدة (المصري) مقالاً للدكتور يعقوب الخوري أحد زملاء الشهيد قال فيه[1] «لم يخسر البطل الشهيد عبد القادر الحسيني نفسه إذ استشهد وهو في أعلى ذروة مجده ، وإنما خسرته فلسطين وخسرته الأمة العربية جمعاء وهي في أشد الحاجة إلى بطولته الخارقة وإلى ايمانه الثابت وعقيدته الراسخة إذ شاء القدر ان يطعنها في الصميم وأن يريش سهمه القاتل الى سويداء قلبها فيفجعها في أعز أبطال جهادها وأوفرهم ثقة وأطيبهم سريرة واقدرهم على ادارة معركة الشرف والمجد التي يخوضونها . ولا يمكن لإنسان ان يقدر فداحة الخسارة التي نكبت بها فلسطين غير الذين عرفوا عبد القادر الحسيني كرجل وعرفوه كقائد محنك محبوب شديد المراس يأبى الا ان يكون دائماً في مقدمة قواته يحارب كجندي في صفوف الجهاد ، وقد جاء استشهاده أعظم انتصار في معركة فلسطين وهو ابلغ دليل على جرأته واقدامه .

لقد غاب قائدنا البطل الا أن ما ضربه للمجاهدين البواسل من أروع المواقف في الشجاعة والاخلاص وانبل المثل في التضحية والتفاني وانكار الذات سوف يكون لهم جسر المرور إلى النصر النهائي .

وان صوت عبد القادر الحسيني وذكره الذي ملأ أرجاء القلوب والنفوس سوف

---

(١) جريدة (المصري) ١٠ من ابريل سنة ١٩٤٨م .

يكون قبس اللهيب المقدس الذي يدفع بهم إلى الاستبسال في ميدان الجهاد للقضاء على قوى الجور والطغيان».

● صاحب جريدة «الفيحاء» الدمشقية كتب في افتتاحيتها يقول[1] «رَوّع العالم العربي ليل أمس بنبأ رهيب أقض المضاجع واثار الخواطر، واستذرى الدموع، وهو نبأ سقوط المغفور له عبد القادر الحسيني في ميدان الشرف والشهادة، أثناء المعركة المظفرة التي شنتها القوات العربية لاسترداد قرية القسطل.

نريد أن نفهم العالم أجمع اننا عندما أعلنا الجهاد في سبيل فلسطين واستخلاصها من براثن الشر والغدر وتطهيرها من الصهيونية الآثمة. كنا على استعداد تام لتضحية آخر رجل من رجالنا، وسفك أغلى قطرة من دمائنا، وها أننا نؤكد الاستعداد، ونبر بوعد الجهاد، فنقدم هذه الضحية الغالية فداءً لحرية فلسطين، وحرية العرب وثمناً لسعادة العالم، وها اننا نعزز مواكب الضحايا الابرار والشهداء الأطهار الذين سقوا بدمائهم الزكية أرض الوطن الغالي بقائد من أكرم القواد ورجل من أنبل الرجال وسيد من خيرة السادة في الأمة العربية.

اننا نبكي فقيدنا بدموع سخيّة ونودعه بقلوب حزينة، ولكننا لن نفزع ولن نهلع ولن نرجع وسنسير في هذا الطريق غائصين بالدماء، حتى نصل إلى الغاية ولو لم يبق منا غير رجل واحد يصون شرف المسجد الأقصى ويحمي حمى الأرض المقدسة، وسيان لدينا إذا بقي منا هذا البطل أم لم يبق، فحسبنا اننا نسجل صفحة مجيدة خالدة في تاريخ الدفاع عن الحرية، وحسبنا ان نخلد اللعنة للمنافقين الذين يدعون الدفاع عن الحرية والسلام ويسوقون الشعوب إلى المجازر الإنسانية الرهيبة.

اما انت ايها الشهيد فثق ان العرب لن يناموا عن الثأر فاهدأ في جنات الخلد راضياً مرضياً، واذكرنا عند ربك. واجعلنا من بعض نفسك، وفي ذمة الله انت».

● في رثائها الشهيد البطل نشرت جريدة «الف باء» مقالاً بعنوان «الشهيد الحسيني» قالت فيه:[2] «قاد المغفور له الزعيم موسى كاظم باشا الحسيني المعركة ضد المستعمرين والصهيونيين منذ وضعت الحرب العالمية الأولى اوزارها، وفي كل ميدان

---

(١) سعيد التلاوي – جريدة الفيحاء ٩ نيسان سنة ١٩٤٨ العدد (٩١).
(٢) عمر الطيبي – جريدة ألف باء العدد ٧٧٣٥ بتاريخ ١١ نيسان سنة ١٩٤٨م.

من ميادين النضال ، فلم يتقاعس ولم يتخاذل ولم يضعف عزيمته مرّ السنين وقوة الاعداء ، وكان الناس يلوذون به كلما اشتد الخطب وعظم ، وهو يتقدم الصفوف برباطة جأش وقوة ارادة ، وقد ناف عمره عن التسعين حتى اختاره الله إلى جواره مجاهداً كريماً ومؤمناً صادقاً .

وقاد عبد القادر اصغر أولاده سناً المجاهدين من ظفر إلى ظفر في مختلف ميادين الثورة ولا سيما في الدفاع عن بيت المقدس . فلم يتراجع ولم يتخاذل ، وتقدم الصفوف . كما كان يتقدمها والده . واشترك بإطلاق الرصاص وبالكر والفر ، واشترك معه سعيد العاص – أبو سعاد – حتى لقي مصرعه . فثأر له عبد القادر في ثورة ١٩٣٦ كما ثأر له اليوم . ثم هوى عبد القادر وهو في طليعة الصفوف ولقي وجه ربه وقد أرضاه ، والقى على بني قومه درساً في التضحية بالنفس والجود بالنفس أقصى غاية الجود .

لم يقدر لي ان أرى عبد القادر حتى في ذهابه وايابه عن طريق دمشق إلى العراق ، حيث اضطلع باعباء التدريس فكان من العلماء الأخصائيين الذين برعوا في فنهم كما برعوا في جهادهم ونضالهم .

والله المسؤول ان يعوض الأمة عن رجالاتها البررة خير العوض .

● بعناوين بارزة نشرت جريدة (بردى) هذين العنوانين[1] :

– المدافع وأجراس الكنائس تشترك بتشييع الحسيني .

– ٢٠ الف رجل يشيّعون القائد الراحل لمقره بالمسجد الأقصى .

ونشر رئيس تحريرها الاستاذ/منير الريس مقالاً بعنوان (على ألسنة الناس عبرة الموت) .. يقول فيه :

أجل مات عبد القادر الحسيني البطل ، ولكن موته أدى إلى ظفر عظيم يعرف قدره العرب الذين يقاتلون في منطقة القدس . ويعرف اثره اليهود الذين احتلوا قرية القسطل . وبذلوا مئات الضحايا لينقذوا عشرات الوف اليهود من الحصار المحكم ، فعلينا اذن أيها الرفاق أن نعتبر بما تم إلى اليوم في معركة القسطل . وان نجعل منها

---

(١) جريدة بردى العدد ٤٦٦ بتاريخ ١٠ من نيسان سنة ١٩٤٨م .

قلعة حصينة ترتد عنها خاسئة هجمات اليهود التي قد تتجدد عليها كل يوم . وان تقيم فيها حامية قوية مدربة يقظة تفيد من موقعها الممتاز لتقطع كل صلة بين القدس وتل أبيب .

ان احتلال اليهود لقرية القسطل العربية أظهر للناس عامة أن القيادة العربية كانت مقصرة في تحصين موقع القسطل الممتاز وإقامة حامية قوية فيه . حتى استطاع اليهود احتلاله بالسهولة التي تمت لهم (في الجولة الأولى) وكلفنا استرداده ما كلفنا من سلاح وعتاد وجهد ومال قد يعوض ولكن عبد القادر الحسيني ورفاقه من الشهداء الذين سقطوا في معركة القسطل خسرناهم ، وكنا نودّ أن يبقوا للملّمات» .

● في اليوم الحادي عشر من شهر نيسان سنة ١٩٤٨م نشرت جريدة «الأهرام» رسالة من مراسلها في بيروت قال فيها : « .. وقد قدّر لكاتب هذه السطور ان يجتمع بالبطل قبل أن يلقى ربه ، وكان ذلك في يوم الاثنين قبل أن يمضي لتحرير بلدة القسطل وطلبت منه يومئذ ان يدلي بحديث فقال : « **ستتحدث الأعمال وهي ابلغ من الأقوال** » .

وكأنه يوم لقيته كان يشعر بدنو أجله فقد التفت إلى اثنين من ضباطه وقال «هذا آخر عهدنا بالاجتماعات» وإنما قال ذلك لحرصه على أن يمضي إلى فلسطين ليسترد بلدة (القسطل) من اليهود .

وخاطبني قائلا : اني سأرحل إلى فلسطين تواً . وسنظل نقاتلهم حتى نقضي عليهم ، وأشار بسبابته إلى عرينه بالقرب من القدس وقال : «أنظر إلى مقري فمن هناك ستتحدث اليكم أعمالي بأبلغ بيان» .

ثم شدّ على يدي مودعاً وهو يبتسم ابتسامة الواثق من نفسه والمؤمن برسالته .وقد مضى في تلك الليلة إلى الأرض المقدسة يحمل الخطط الموضوعة للانقضاض على اليهود في القسطل وهناك عجل الله له الشهادة بعد أن كتب النصر المبين .

● وقد كتب مراسل جريدة «الديلي ميل» البريطانية في القدس مقالاً في جريدته فقال «... ان خسارة معركة القسطل الأولى كانت صدمة للروح المعنوية عند العرب حتى لقد تساءل قوم كثيرون اين عبد القادر ؟ ولماذا لم يظهر في هذا الميدان ؟ فإذا بعبد القادر يهرع إلى الحومة وهو معتزم تنفيذ الأمر بأن يسترد القسطل وبينما كان على رأس جنوده وهم يبثون لغماً تحت جدار دار تحتلها الهاجاناه إذ انبعثت رصاصة من إحدى البنادق فأردته قتيلاً ، ولم يلبث اليهود ان انطلقوا سراعاً من القسطل مولين الأدبار» .

- **صحفية بريطانية ترثي البطل :**

(مس مارجريت بوب) مراسلة جريدة «الاوبزيرفر البريطانية في القاهرة كتبت مقالاً ترثي فيه الشهيد عبد القادر الحسيني فقالت فيه :

«أشعر بأن الواجب يحتم عليّ باعتباري المراسلة الوحيدة التي استطاعت أن تجتمع بالشهيد عبد القادر الحسيني بيك أثناء زيارته الأخيرة للقاهرة في فبراير الماضي ان اعرب عن شعوري الخاص بالأسف والألم لاستشهاده في جبل القسطل يوم الخميس ، وان كان رحمه الله قد رفض عندما طلبت أول مرة أن اجتمع به أن يسمح بهذه المقابلة بحجة انه لا يحب الدعاية لنفسه فقد قبل آخر الأمر ان يستقبلني في المنزل الذي كان يقيم فيه بالقاهرة والذي كانوا لأسباب تتعلق بالأمن يصفونه بأنه «مكان ما بمدينة القاهرة».. وكان ذلك يوم ٢١ فبراير وكان الوقت بعد الظهر عندما رأيته لأول مرة .. لم يكن في بزّته العسكرية التي يرتديها في الميدان وإنما كان يرتدي البنطلون الكاكي والصديرية الصوفية وهو زي يرتديه في فترات الراحة بين معركة ومعركة .

ولم يكن في زي الراحة هذا غير الحزام الجلدي والمسدس الذي يتدلى إلى جانبه ما يوحي إلى من يراه بأن هذا الشاب الذي يتكلم بهدوء وترتسم على وجهه ابتسامة خجول **واحد من أشجع زعماء المقاتلين في فلسطين وأكثرهم استهانة بالحياة** .

وعندما اشرت إلى مسدسه ابتسم في حياء وقال : «انني الآن لا أشعر بالراحة إلا إذا كان هذا المسدس في متناول يدي .. لقد أصبح جزءاً مني».

ولقد أكبرْت فيه بساطته الغريبة ، وكراهيته للدعاية ، ولا زلت أذكر قوله لي : **«اننا في فلسطين نفضل الأسلحة على الدعاية ، وانت لا تستطيعين ان تتصوري القيمة العظيمة لعشر بنادق مثلاً بالنسبة إلى قرية من قرى فلسطين»** .

الباب التاسع

تمجيد البطل

بطبيعة الحال فنحن لن نستطيع حصر كل الكلمات الصادقة التي ساهمت في تمجيد البطل. ولكننا سنورد ما استطعنا حصره والحصول عليه بإمكاناتنا المتواضعة.

● ونبدأ بما نشره مؤلفا كتاب «ايه يا قدس»[1] بهذا الصدد:

«... لو قدّر لعبد القادر أن يعيش لكان رأى من العرب الذين سلموا أعداءهم أعزهم في معارك المصير بفلسطين، وما يجعله يندم على الحياة التي جعلته يرى كيف بيعت أطهر الأجزاء وأمنعها هنا وهناك، باسم العرش والرئاسة وتخمة العيش والحكم! ! مات عبد القادر قبل أن يشهد الأطفال تقطع أجسادهم بسكاكين اللحم أو يسمع بنبأ التلميذات اللواتي فضت بكاراتهن قبل تشريح أجسادهن العارية التي ظلت صوراً مهزوزة ملطخة، تلوث الأيدي النحيلة التي رفضت أن تمتد بالمساعدة للفارس الذي كتب قبل أن يموت الإرث الذي يتركه لأسرته، أنه دينٌ عليه، على عبد القادر الذي وجدت في جيوبه عند مقتله ليرة يتيمة. وكان هذا الفقير قد استدان مبلغ ستة آلاف ليرة فلسطينية لشراء بديل عن الأسلحة التي يعطيها العرب من أجل أن يستمر القتال.

---

(١) مجلة «الحوادث» ٢١ من أيلول سنة ١٩٧١م.

لكن اسمه أكبر من الدين الذي في أعناق أولاده ، فهو فوق رؤوسهم كهالة المجد والطهارة !

أشياء لا تقال ! أجل ، فهي مؤلمة هذه القصص بعبد القادر وكل نقيض لعبد القادر ، مات أو استأنف حياة كان ينقصها أن تبذل من أجل أن تصبح بقيمة البقاء ! ! »

● احتفل في عمان يوم ٢ من ربيع الأول سنة ١٣٩٣ هـ الموافق ١٩٧٣/٤/٤ م بذكرى مرور خمسة وعشرين عاماً على استشهاد قائد جيش الجهاد المقدس البطل عبد القادر الحسيني واخوانه المجاهدين الأبرار شهداء فلسطين في ثورة ١٩٣٧ – ١٩٣٩ وشهداء حرب ١٩٤٧ – ١٩٤٩ .

وكان من ضمن خطباء الحفل المرحوم عبد الله التل . وقد قال في كلمته[1] :

« مَن عرف البطل عبد القادر الحسيني أيام شبابه ، كان يدرك أنه ظاهرة وطنية عظيمة ، لا بدّ أن تكون خاتمتها الاستشهاد في سبيل الله ، فقد كان يتحلى بمزايا نبيلة جعلته رمزاً لشباب العرب ، كان صادقاً في زمن استشرى فيه داء الكذب ، كان كريماً في زمن اشتد فيه البخل ، شجاعاً في زمن عمّ فيه الجبن ، وحين أنهى دراسته في الجامعة الأمريكية في الثلاثينات ، مزّق الشهادة وانضوى تحت راية الجهاد في الوقت الذي ابتلينا فيه بزمرة من خريجي الجامعات الغربية ، يعودون إلى البلاد العربية محملين بالأفكار الخبيثة التي تبعد هذه الأمة عن أخلاقها وتقاليدها ، وتفصلها عن ماضيها المجيد وتلقي بها في الفوضى الفكرية التي تزّين لشباب الأمة اعتناق مبادىء دخيلة أوجدتها اليهودية العالمية ، حتى تسبب هؤلاء العملاء أو المثقفون المزيفون في تمزيق الأمة العربية ، وكانوا عاملاً أساسياً في ضعفها وخذلانها وهزيمتها أمام اليهود ، بعد أن نجحوا في تحقيق أهداف أقطاب صهيون بنقل المعركة ضدهم إلى معركة بين البلاد العربية نفسها كما ترون .

أيها الأخوة : إن شهداء فلسطين والأمة العربية ، من عمر المختار والخطابي والقسام والسعدي وسعيد العاص وعبد القادر الحسيني وأبي ديه ومنيب اللبان ومئات الضباط والجنود من الجيش العربي كل هؤلاء ليسوا سوى قافلة واحدة من قوافل

---

(١) مجلة فلسطين العدد ١٤٦ . ايار (مايو) سنة ١٩٧٣م .

الشهداء الأبرار الذين بذلوا دماءهم الزكية على مرّ العصور في سبيل العروبة والاسلام وفي سبيل فلسطين قلب الوطن العربي الكبير بدأ من شهداء مؤتة واليرموك وحطين وعين جالوت إلى شهداء الطائرة الليبية وعلى رأسهم البطل المجاهد صالح مسعود بويصير الذي عاش حياته كلها من أجل فلسطين وبذل ماله لخدمة شباب فلسطين ، ثم ضحى بروحه ودمه في سبيل فلسطين » .

● نشرت جريدة « القبس » الكويتية مقالة للسيد ذو الفقار قبيسي بعنوان « مجزرة دير ياسين اليوبيل الدموي » جاء فيها[1] : « كلما ذكرت مجزرة دير ياسين التي تمر الآن خمس وعشرون سنة عليها ، تعود إلى الأذهان ذكرى عبد القادر الحسيني الذي استشهد قبل المجزرة بيوم واحد ، وكثيرون منا الآن ، من الذين بدأوا يتخطون مرحلة الشباب ، يذكرون مجزرة دير ياسين « ٩ نيسان سنة ١٩٤٨ كأنها الحلم المخيف ، تتساقط بعدها المدن الفلسطينية العربية الواحدة تلو الأخرى : سلمه ، يافا ، حيفا ، طبريا ، الناصرة إلخ ... ، والفلسطينيون العرب يهجرون قراهم ومدنهم إلى الأردن وسوريا ولبنان ومصر ليعلن بعدها بشهر واحد « ١٥ أيار ١٩٤٨ » إنشاء الدولة الصهيونية » .

ومنذ ذلك الحين لم يبق سوى التاريخ !

إلا أنه بالنسبة لعبد القادر الحسيني « ورفاقه الشهداء حسن سلامة وابراهيم أبو دية وغيرهما » كان تاريخ الشجعان .

ذلك أن معركة القسطل التي استشهد فيها يوم ٨ إبريل سنة ١٩٤٨ م كانت معركة حصار العرب لمائة ألف يهودي في القدس – بمعزل عن إمدادات تل أبيب – على الموقع الاستراتيجي القائم بين يافا والمدينة المقدسة .

البعض يقول الآن ان آمالاً عربية كبيرة كانت تتوقف على استمرار ذلك الحصار الذي استشهد فيه عبد القادر الحسيني ، وهو حصار انتهى إلى مذبحة دير ياسين التي دبرها السفاح مناحيم بيغن وزير الدولة الصهيونية اليوم .

ويرتبط اسم عبد القادر الحسيني الذي استشهد وعمره ٤٠ سنة قائداً للقطاع الأوسط في فلسطين ، بمواقع عديدة أهمها معركة كفار عصيون . وهي مستعمرة

---

(١) جريدة القبس الكويتية ١٩٣٣/٤/٩م العدد ٣٤٧ .

صهيونية على طريق القدس والخليل احتلها العرب على يد عبد القادر الحسيني وجماعته ، لقد قضوا هناك على الجزء الأكبر من القوافل الصهيونية المسلحة التي تحرسها عشرات السيارات حاملة المؤن والذخيرة من القدس إلى المستعمرة اليهودية .

كانت تلك واحدة من الأحداث الكبرى التي تحدث فيها العرب عن الشجاعة مقرونة باسم عبد القادر الحسيني وجماعته ، ومنها حادثة نسف شارع يافا ، قرب ميدان صهيون ، بسيارة ملأى بالديناميت ، ونسف مبنى الوكالة اليهودية في القدس مروراً بثورة ١٩٣٦ التي اشترك فيها الشهيد وسافر بعدها إلى العراق ليعمل مدرساً بالكلية الحربية في بغداد .

هل كان عبد القادر الحسيني يثأر في هذا كله للخوف العربي في وجه العدو الذي تصدت له بعد عشرين عاماً المقاومة الفلسطينية الحديثة ، أم تراه كان ينتقم من الاحتلال البريطاني أحد صانعي اسرائيل ، الذي قتل أحد ضباطه والد الشهيد « موسى الحسيني » بهراوة ، وهو يتظاهر ضد الاحتلال ؟

أم ترى عزّ على الحسيني أن يرى أقدام الغزاة تطأ أرض القدس ، مسقط رأسه ، وساحات المسجد الأقصى الذي دفن إلى جواره ، ففضل الاستشهاد ليأخذ الراية من بعده ولدان له هما اليوم من شباب المقاومة الفلسطينية الباسلة » .

● في صدر مقالته عن « عبد القادر الحسيني » كتب الأستاذ قدري قلعجي بمجلة « العربي »[1] « كان عبد القادر الحسيني ذا منصب كبير فتخلى عنه ليمضي إلى الجهاد ، وكان ذا ثروة كبيرة فبذلها في سبيل الجهاد ، وكان ذا دم حار وشباب ريان فأراقهما في ساحة الجهاد ، وجهاد عبد القادر صفحة مشرقة من المجد ، ودرس بليغ في البطولة ، وقصته من أروع قصص التضحية والبسالة والاقدام ... »

● ٢٦ - ٦ - ١٩٤٨ م ألقى السيد طالب مشتاق كلمة في تأبين صديقه الشهيد ببغداد هذا نصّها[2] : « كنت آمل أن الاقيه تحت أقواس النصر ورايات الظفر ، كنت أودّ أن أعانقه والعين تدمع من فرط السرور . كنت أودّ أن أقف خطيباً

---

(١) مجلة العربي العدد ٢٩ ابريل (نيسان) ١٩٦١م .

(٢) وردت في نص مطبوع ضمن رسالة السيد عبد الله عبد المجيد المؤرخة بتاريخ ١٩٧٣/٤/٢٥م . بناء على كتاب وزارة الاعلام بالجمهورية العراقية ، ١٩٧٣/٢/١٨م .

بين جموع العرب اتوج هامته بأكاليل بطولته وآيات رجولته ... ولكن لم يشأ القدر وآسفاه إلا أن يجعل مني مؤبناً لصديق عزيز عزّ نعيه وشق عليّ فقده .

ما كان أبو موسى وأيم الحق شاباً كسائر الشباب ، ولا رجلاً كسائر الرجال ، وإنما كان مجموعة من المثل العليا ، انصهرت في بوتقة نفسية فذة فخرجت للناس في شخصيته مثلاً أعلى ، وأنموذجاً حياً لجميع صفات الرجولة والنبوغ .

لقد كان رحمه الله مثلاً أعلى لإنكار الذات وحب التضحية ومثلاً أعلى للجرأة والاقدام ، ومثلاً أعلى للشهامة والوفاء ، ومثلاً أعلى للصبر والايمان .

ما كنت أعرفه شخصياً حتى سنة ١٩٣٨ م ، وإنما سمعت بمناقبه خلال ثورة فلسطين الدموية سنة ١٩٣٦ م ، وما كان ليعرفني شخصياً وإنما سمع كثيراً عن تعلقي بالقضية الفلسطينية ، وجهودي في سبيلها في مختلف ظروفها ، وتطورات قضيتها ، إذن فما كنا نجهل بعضنا بعضاً ، وإن كانت الأعين منّا لم تلتق ببعض ، فكانت فلسطين حلقة وصل بين شخصينا ، وكانت محنة فلسطين سبب اللوعة في قلبينا .

دخل مكتبي في يوم من أيام سنة ١٩٣٨ م الصديق أبو الهدى اليافي المحامي من الشام وقد كنت إذ ذاك قنصلاً للعراق في بيروت ، وكان برفقته شاب قصير القامة ، وسيم الطلعة ذو نظرات نفّاذة تنم عن ذكاء حاد ورجولة كامنة . فقدمه الأستاذ اليافي إليّ وقال : ألا تعرفه ؟ فقلت : مع الأسف .. قال : هذا عبد القادر الحسيني نجل المغفور له موسى كاظم باشا الحسيني ، قلت : أهلاً وسهلاً يا مرحبا ، فهذا الشبل من ذاك الأسد . قال : وقد جئناك لأمر هام طالبين منك النجدة . قلت : كل شيء يهون في سبيلكم إن شاء الله . قال : أنت تعلم أن الانجليز قد حكموا على عبد القادر بالاعدام ، وهم الآن يستطلعون أخباره ، ويتعقبون خطواته ، كما أن الفرنسيين أيضاً يحاولون القاء القبض عليه وتسليمه إلى أعدائه .

ما كان في إمكاني أن أتردد برهة واحدة . كان واجبي في تلك اللحظة أن أنقذ حياة عبد القادر هذا الجندي العربي المقدام بأي ثمن كان وكفى . لقد صممت وكان تصميمي جدياً وقطعياً كان عليّ أن أخرج عن حدود صلاحيتي ، وأخالف أوامر حكومتي ، ومتى كانت الوظيفة بالنسبة لي إطاعة عمياء لأوامر الحكومة وتنفيذ أوامرها بدون قيد أو شرط ؟ ومتى كانت الصلاحية تعيقني عن أداء واجب وطني ؟ أليس مغزى الوظيفة بالنسبة لي هو الخدمة العامة ؟ واية خدمة عامة أعظم من الضرب على يد الجلاد ومنعه من إراقة دم زكي طاهر كدم هذا المتطوع الجريء لخدمة الأمة العربية والمدافع عن حقها المغتصب والذائد عن حيضة الوطن الجريح ؟ ... تعال

يا ولد آتني بجواز سفر غير مستعمل ، فأتاني بالجواز وأخذت القلم بيدي وصرت أملأه .

اسمك – محمد عبد اللطيف . أفهمت يا عبد القادر ؟ محمد عبد اللطيف عمرك ٣٥ عاماً محل ولادتك الأعظمية ... وهكذا أصبح عبد القادر عراقياً في مدة لا تتجاوز ربع ساعة . فناولته جواز سفره بيده ، واتصلت ببعض شركات النقل بالشام ، وبعد يومين اثنين كان عبد القادر الحسيني أو (محمد عبد اللطيف) يطوف شوارع بغداد هازئاً بالانجليز ساخراً من الفرنسيين .. ثم مضت الأيام ، تتابعت السنون وإذا بمعتقل العمارة يجمعني بالصديق عبد القادر الحسيني . ناضل المرحوم أثناء اصطدام الجيشين العراقي والبريطاني في سنة ١٩٤١ م نضال الأبطال وعارك الانجليز عراك المستميت في سبيل نصرة الحق على الباطل ، ودعم الضعيف الأبي ضد القوي الغاشم . وبعد انتهاء المعركة وانتصار قوى الغدر والاستعمار أصبح مصير هذا العربي الكريم كمصير زملائه من الأحرار فكان نصيبه النفي والتشريد في أقصى شمال العراق . ثم حدث اغتيال فخري النشاشيبي في بغداد فاتهم بتدبير هذا الاغتيال وتنظيمه فألقي القبض عليه وزج رهن التوقيف ، وكان هناك الوعد ، وكان هناك الوعيد . وكانت هناك شتى الطرق وشتى الوسائل في التنكيل والتعذيب ، عفى الله عن أولئك الجبناء من المواطنين الذين كانوا أداة للأجنبي الظالم ينكلون بأبناء جلدتهم من القوميين ، ويشيعون الرعب والارهاب بين الناس ، ويسومون الأبرياء ألواناًمفزعة من العذاب . وهكذا كان المرحوم في عداد ضحايا ذلك العهد الجائر إلا أنه صمد لشتى أنواع العذاب ، ولم يقابل الجور إلا بالصبر والاحتمال .

وأخيراً ساقته الأقدار إلى معتقل العمارة ، وفي معتقل العمارة كان المرحوم مثلاً رائعاً للقومي الصابر ، فما رأيته يتأفف ، وما شاهدته يتذمر ، فكانت غرفته داخل المعتقل تضم مكتبة قيّمة فيها أنواع مختلفة من الكتب ، وأصبحت والحالة هذه مجمعاً للشباب المثقف داخل المعتقل يسمرون فيها ، ويتجادلون ويتناقشون ، وعبد القادر يوضح لهم ما أشكل من الأبحاث . ولم يكتف المرحوم بهذا القدر من الخدمة وهو رابض كالأسد وراء أربعة صفوف من الأسلاك الشائكة ، بل خصص القسم الأعظم من وقته لتدريس بعض الشباب المتعطش إلى العلم فكان يدرس هذا لطبيعيات ، ويدرس ذاك الرياضيات ، وهكذا كان المرحوم أستاذ المعتقل يتدفق منه العلم ، ويشيع منه الاخلاص ، وتنبثق منه الجرأة والاقدام .

وبقدر ما كان عبد القادر حريصاً على خدمة الناس متفانياً في سبيل بني قومه

كان براً بزوجه وأطفاله ، يحنو عليهم ، ولا ينقطع عن تشجيعهم ومؤاساتهم في زمن كان هو أحوج فيه إلى التشجيع والمواساة . وكانت هيفاء ، وكان موسى وفيصل وغازي مبعث سروره وابتهاجه داخل المعتقل . جعلهم الله خير خلف لذلك الوالد المشفق العف الكريم .

ورحم الله عبد القادر الذي كان جماع الفضائل .

وعزاء جميل للأمة العربية التي أنجبته ، وإن كان العزاء لا يرد عزيزاً ولا يرجع فقيداً ، وفي ذمة الله وحفظه ، جسد طاهر توسد الصخرة المشرفة واحتضنه المسجد الأقصى المبارك » .

● « استشهاد الحسيني يذكرنا بسلاح القضية الصادقة » تحت هذا العنوان كتب السيد عبد الرحمن . ع مقالاً بجريدة « الجمهورية » العراقية نقتطف بعضه[1] : « .... ومن المؤسف حقاً أن يذهب دم الشهيد هدراً كما ذهبت دماء الشهداء من قبل في ظل (السائسين) من صانعي الاستعمار وصنائعه ، إذ ان هذه الذكرى تمر فلا تثير اهتمام الصحف في جميع البلدان العربية ، إن الاحتفال بهذه الذكرى يهز البروج ، ويوقظنا من سكرة الأحلام ، وغفوة الأوهام ، وضجعة الاستسلام . ذكرى الحسيني تنبه المشاعر ، وتجمع القلوب ، ذكرى الحسيني تذكرنا بسلاح جديد هو ذلك السلاح الذي حطم به أنف الكسروية ، وأذل به خيلاء القيصرية ، ذلك السلاح الذي أقام من الحفاة ، وأشباه العراة ملكاً خضع كله لرسالة الصحراء ، إنه سلاح التضحية الصادقة الذي حمله عبد القادر الحسيني ، إنه التضحية بالمال والولد ثم بالروح .

كان بإمكان الحسيني أن يحيا حياة رافهة في (برج) يتأنق بأسدال الستائر ، ويبدع في ابتكار أسباب الترف ، ويتربع على كرسي الحكم إذ انه من بيت رفيع العماد ، ولكن سما أن يكون حاكماً واراد أن يكون (بطلاً) .

ألقى علينا درساً بليغاً في التضحية ، لقد نفض هذا الصقر عن جناحيه ذل الاستخذاء ، وغبار المساومة ، وذاتية المنفعة فحلق في سماء المجد والخلود ، كان عبد

---

(١) جريدة الجمهورية العراقية ٨ نيسان سنة ١٩٦٨م ، ١٠ من محرم الحرام سنة ١٣٨٨ العدد ١٠٤ .

القادر يرى الدفاع عن الوطن واجباً مقدساً لا يجوز أن يأخذ عليه العامل أجراً ولذلك ما كان يستبيح لنفسه أن يتقاضى مرتباً إلا اذا أناخ عليه الفقر، وقسا عليه الدهر، وقد ضرب بذلك أروع الأمثلة في العفة والنزاهة واحتقار المادة، ونعى على الذين يتخذون الوطنية ستاراً لجميع الأموال بطرق ملتوية، وسبل معوجة.

اتصلت بالفقيد في بغداد عام ١٩٤٠ اتصال الطالب باستاذه عندما كان يدرسنا الكيمياء في متوسطة التفيّض (بتشديد الياء) فرأيت في نفسه جوانب الانسانية وكان من أشد الناس تأثراً بمظاهر البؤس والحرمان وقد غرس في نفوسنا قبساً من شعاع وطنيته. وإذا ما ذكرنا الشهيد العربي المجاهد عبد القادر الحسيني في يومنا هذا فلا نريد أن نحيي ذكريات الجهاد والاستشهاد بكلام يردد، أو خطب تعاد، ولعمري ان هذا من مواطن الضعف بين العرب والمسلمين في عهودهم الأخيرة حيث تلتهب الأكف بالتصفيق، وتتعب الحناجر من الهتاف، وتعدد مناقب السلف، وتخاذل الخلف، ذكريات الشهداء، اقناع بالحق وشعور بوجوب التضحية في سبيل إعادة الحق إلى أهله».

● وبنفس العدد السابق من جريدة الجمهورية العراقية وفي الذكرى العشرين لاستشهاد البطل كتب السيد عبد الله عبد المجيد مقالاً بعنوان «ذكريات عن الحسيني» نختار بعضاً منه[1]: «لم تمضِ بضعة أشهر على تخرجنا من كلية الحقوق حتى دعينا لدورة الضباط الاحتياط في الكلية العسكرية بأول شهر نيسان سنة ١٩٤٠ م، وبعد فترة وجيزة من التحاقنا بالدورة التحق خمسة من الشباب الفلسطيني. وكان من جملتهم المرحوم الشهيد – عبد القادر الحسيني – رحمه الله، وكان نصيبه عند التوزيع على الفصائل هو الفصيل الذي كنت فيه فتعارفنا بسهولة لأني كنت أسمع عنه أشياء كثيرة عن بطولته ... عن شعبيته بين أبناء فلسطين، عن ثقافته. وعن قصته عن التخرج في الجامعة الأمريكية – في القاهرة –. وانتهت الدورة التي دامت ستة أشهر وتم توزيعنا على الوحدات العسكرية. وبعد أربعة أشهر أي في أول مارس سنة ١٩٤١ حصل الصدام العراقي الانجليزي في الحبانية (ثورة رشيد عالي الكيلاني – وكانت هذه فرصة ذهبية للمرحوم الشهيد عبد القادر الحسيني حيث قاد رفقاءه أبناء فلسطين من الشباب لملاقاة الانجليز – الأعداء الحقيقيين للعرب

---

(١) اضافة إلى رسالة خطية من الكاتب نفسه مؤرخة بتاريخ ١٩٧٣/٤/٢٥ م.

– وما اليهود إلا آلة بيدهم – فأبلوا بلاءً حسناً في المعارك التي دارت في منطقة الفلوجه (على بعد ٦٠ كيلو متراً من بغداد) ، وبعد تغلب الانجليز وسقوط بغداد انسحب المرحوم عبد القادر واتجه إلى إيران عن طريق الكوت – بدره ، وهناك لقي معاملة سيئة من المسؤولين فقفل راجعاً إلى بغداد مع جماعته ، واعتصم في داره في الكرّادة الشرقية حيث هناك تقيم عائلته وأولاده ، وكان قد توسط في أمره المرحوم سعيد ثابت الذي كان رئيس جمعية انقاذ فلسطين ، وكذلك المرحوم ابراهيم عطار باشي حيث وافقت السلطات المسؤولة على إقامة المرحوم عبد القادر الحسيني في زاخو بشمال العراق وعندما جاء فخري النشاشيبي إلى بغداد وهو من كبار الخونة في فلسطين ومن عملاء الانجليز وسمع المرحوم عبد القادر بقدومه لبغداد رجع من زاخو – بقصد المعالجة – واتصل بي وطلب مني نقل عائلته إلى الأعظمية حيث لم يبق مع العائلة أحد يعتمد عليه كما اتصل هو أيضاً ببعض الفلسطينيين الموجودين في بغداد . وقفل راجعاً لزاخو وفي الطريق حدث حادث إطلاق النار على الخائن فخري النشاشيبي في شارع الرشيد وقضي عليه في الحال ، فقامت قائمة أعوان الانجليز في بغداد لأن أسيادهم فقدوا حقيراً كبيراً مثلهم . فجاءوا بالمرحوم عبد القادر لبغداد متهمين إياه بالحادث وبقي موقوفاً مدة تقارب السنة ولما لم يجدوا ضده أي دليل أرسلوه إلى معتقل العمارة ، وقد ساءت صحته هناك فنقل بعدها إلى مستشفى البصرة ... ثم سمح له بالخروج من العراق والسفر إلى السعودية ومنها إلى مصر .... رحم الله عبد القادر فقد عاش أبي النفس ، ومات عزيز الروح ، فألف سلام له في جنات الخلد ..) .

● السيد جميل بركات كتب مقالتين منفصلتين عن شهيدنا الراحل ، اولاهما نشرت بجريدة « الصحفي » والثانية بجريدة « الدستور » الاردنيتين .. تحت عنوان « من أمثلة التضحية والبطولات .. عبد القادر الحسيني » بجريدة « الصحفي » قال[1] : « حينما تقرأ الأجيال القادمة تاريخ عبد القادر الحسيني سيظهر لها أنه بطل شجاع ، كان يطلب الموت ليهب لبلاده الحياة .. ما عرف الخوف ، ولم تأخذه في الحق لومة لائم ، فهو ابن فلسطين البار ما ذل ولا استكان ، وما لانت له عزيمة في مقارعة أبشع استعمار دبر منذ البداية المؤمرات لتمزيق الوعود التي قطعها على نفسه

---

(١) جريدة « الصحفي » الاردنية ١٤/ابريل/١٩٦٤م العدد رقم (٨) .

للشريف حسين طيب الله ثراه ، وأخذ يتنصل منها منتهزاً عدم وجود توازن القوى بعد الحرب العالمية الأولى ، ومن هنا كانت بداية المأساة في وعد بلفور ، وفي معاهدة سايس – بيكو الانجليزية – الفرنسية !

عرفته صديقاً وفيّاً ، وإنساناً هيباً ، يصغي كثيراً ، ولا يتكلم إلا بمقدار حينما يرى ضرورة للكلام ، وإذا ما دار نقاش عن المؤامرات الصهيونية ، وما يبيّت من شر للعرب ، يحاول أن يقنع جلساءه بهدوئه المعروف ، وحججه المدعمة بالبراهين بأن الاستعمار لا يمكن أن ينثني عما دبره في الظلام إلا بالقوة وتوحيد الصف ، وكان طيلة حياته ، ومنذ نشأته حتى يوم استشهاده يعمل لتحقيق هذين الهدفين ، ولكن ظروف المنطقة لم تمكنه من تحقيق هذه الامالي.

رحم الله « أبا موسى » فقد كان ملء السمع والبصر ، إذ ضرب أروع الأمثلة في التضحية والبذل والفداء ، فحياته سجل حافل بالمفاخر والبطولات ، ورحم الله شهداء العرب الذين جبلت دماؤهم الزكية في تراب الأراضي المقدسة ، وفي كل بقعة عربية جاهدت في سبيل حرية العرب واستقلالهم » .

● المقالة الثانية للسيد جميل بركات نشرت بتاريخ ١٩٧٠/٤/٨ م بجريدة « الدستور » بعنوان « ذكرى شهيد القسطل »[1] : « .... كانت حياته منذ نعومة أظفاره تنم على أنه ثائر شريف ، لم يفكر في جاه أو مال ، وكان همه الوحيد بعد أن قرأ تاريخ خيانة الحلفاء للثورة العربية ودرس وعد بلفور الذي توجته عصبة الأمم في ذلك الوقت بصك الانتداب على فلسطين .. والتي عهدت إلى بريطانيا بتنفيذه ، أن يجد طريقاً لخروج بلاده من هذا المأزق الحرج ، فوجد الأبواب موصدة أمام شعبه ، وتأكد له بأن المؤامرة على تهويد فلسطين أصبحت واضحة الرؤيا خاصة بعد أن خطب وزير المستعمرات البريطاني في حفل صهيوني بلندن عام ١٩٣٥ قائلاً : إنني مسرور جداً إذ تحققت نبوءة وايزمان ولو لم يعط وعد بلفور منذ ثمانية عشر عاماً لأعطيناه اليوم !

ولهذا حمل عبد القادر السلاح ، والتحق سنة ١٩٣٦ بالقائد المجاهد سعيد العاص . وأي سلاح كان بحوزة عرب فلسطين في ذلك الوقت ؟ ؟ عدد من البنادق القديمة البالية أكل الدهر عليها وشرب ، وذخيرة فاسدة كانت حكومة الانتداب تعدم

---

(١) جريدة الدستور الاردنية ١٩٧٠/٤/٨م العدد ١٠٧٥ .

العربي اذا وجدت معه اطلاقة منها ، ، ولكن لا بد مما ليس منه بد ، فاستشهد سعيد العاص ، وأسر عبد القادر بعد أن أثخن جسمه بالجراح في معركة الخضر على طريق القدس – الخليل حين طوق بضعة آلاف من الجيش البريطاني المدجج بالسلاح بما فيه الدبابات والمدفعية والطائرات فئة قليلة من العرب سلاحها إيمانها وبنادقها البالية ، فأخذ الأسير الجريح الى مستشفى الحكومة بالخليل ، ومن هناك اختطفه المجاهدون ونقلوه إلى دمشق للمعالجة ، فمن الله عليه بالشفاء ، ورجع إلى بلاده ليستأنف القتال ضد قوات البغي والعدوان من جديد ، فخاض معارك عديدة ، وأدارها بحنكة ودراية اقضت مضاجع العدو ، وشاء القدر أن يصاب بجروح خطيرة في معركة بني نعيم بالقرب من مدينة الخليل ، فنقل إلى دمشق ثانية للعلاج ، وشفي ولكن الرصاصات ظلت في جسده تعيش معه ليله ونهاره...

وفي عام ١٩٤١ اشترك في قتال الانجليز بالعراق مع نفر من أصحابه وقد تجلت براعته في إدارة معارك – صدر أبي غريب – فشهد له بذلك الأعداء قبل الأصدقاء ، وقد كتبت عنها مجلة الحرب البريطانية في ذلك الحين أنها أخرت احتلال بغداد من قبل قواتهم لمدة اسبوعين...

وبعدها أمضى في المعتقلات والسجون هناك بضع سنين ولما أطلق سراحه انتقل إلى السعودية ومن ثم إلى مصر ، وهناك بدأ يستعيد قواه ويهيئ نفسه للقتال على هضاب فلسطين اثر صدور قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ م ، فواتته الفرصة وقاد قوات الجهاد المقدس التي لم تملك من السلاح إلا أقله ، واستمر يكافح ويناضل بإمكانات محدودة ، ولكنه كان ينتقل من نصر إلى نصر ، إلى أن استشهد في معركة القسطل بعد أن يئس من إيجاد السلاح .. في يوم عزّ فيه السلاح .. !

وهناك حقائق للتاريخ في حياة البطل الشهيد :

أولاها ، أنه كان قد وضع خطة لضرب أهداف العدو الاستراتيجية من عسكرية واقتصادية وسياسية .

وثانيتها ، أن هذا المجاهد الكريم بالتعاون مع عقيلته – أم موسى – أمدّ الله في عمرها ، كانا يبيعان ما يملكان من أثاث وعقار لإنفاقه على الثورة .

وثالثتها ، أنه كان يؤثر رفاق الجهاد على نفسه في كل شيء وحتى في الطعام ، فإذا لاحظ أن كميته محدودة تظاهر بالشبع فإذا انتهوا منه وظلت منه بقية أتم وجبته !

وإذا كنت في ذكراه هذه ، أكتب هذه اللمحة الموجزة عن حياته فلأنني موقن أن دمه الزكي ودم كل شهيد هو صفحة خالدة في كفاحنا ضد الغزاة ، ولأن دماء شهدائنا نور يضيء للأمة العربية الطريق لاسترداد الوطن السليب الذي نرجو الا تطول غيبته » .

● يقول المفكر العربي الأخ اللواء محمود شيش خطاب[1] : « .... وكان لجماعة الجهاد المقدس جهاد عظيم في منطقة القدس ، اذا نسيه الناس فلن ينساه رب الناس . وكان للشهيد عبد القادر الحسيني عليه رضوان الله جهاد عظيم في منطقة القدس ، حتى قدّم حياته الغالية في معركة « القسطل » ... »

● اثناء حديثه في كتاب « البطولة في الشعر العربي » يقول الدكتور شوقي ضيف[2] : « ... وكان عرب فلسطين في كل هذه المعارك يكافحون اليهود ويقاومونهم ، ويقدّمون أرواحهم ودماءهم لوطنهم ضاربين أروع الأمثلة في الجهاد والنضال ، من مثل : عبد القادر الحسيني شهيد القسطل الذي طالما دوّخ اليهود بمن كانوا معه من الفدائيين ، وأنزل بهم ضربات قاصمة » .

● وهناك شهادة حق في شهيد الحق من شيخ مؤرخي فلسطين المرحوم عارف العارف قال : « كان رحمه الله وطنياً لا غبار على وطنيته ، وكان يخلص كل الاخلاص لأمته وبلاده ، طاهر اليد والقلب واللسان . بعيداً عن النعرات العائلية والحزبية ، وكان فقيراً ، أنفق كل ما ملكت يداه من أجل السلاح الذي اشتراه وحارب به ، ولما مات لم يكن في جيبه فلس واحد ، لا ، بل انه مات مدينا ، وبلغت ديونه ستة عشر ألف جنيه ، أنفقها كلها في سبيل الحركة الوطنية » . وقد خلّف بنتاً اسمها هيفاء وهي كبرى أولاده ، وثلاثة أولاد هم : موسى وفيصل ، وغازي . خصصت له الهيئة العربية العليا بعض المال ، وانقدتهم الأمانة العامة لجامعة الدول العربية خمسمائة جنيه ، وعين لهم الملك عبد العزيز آل سعود أربعين جنيهاً في الشهر ، وأقرت الحكومة المصرية تعليمهم إلى أقصى درجات العلم والدراسة في مدارسها ، وعلى حسابها الخاص » .

● من « المذكرة الفلسطينية »[3] لعام ١٩٧٦ م .

---

(١) في مقدمته لكتاب « جهاد شعب فلسطين » للشهيد صالح مسعود بو يصير ص ٥ الطبعة الثانية سنة ١٩٦٩م . دار الفتح بلبنان .

(٢) البطولة في الشعر العربي . د. شوقي ضيف . دار المعارف بمصر .

(٣) المذكرة الفلسطينية – يوسف الخطيب سنة ١٩٧٦م .

« ١٩٤٨ : نسفت عصابة الهاغاناه فندق سمراميس في حي القطمون بمدينة القدس . فتهدم الفندق على من فيه من نزلائه العرب ، واستشهد ثمانية عشر بطلاً وامرأة ، وزاد عدد الجرحى عن العشرين . وكان من جملة أغراض اليهود من هذه العملية اغتيال عبد القادر الحسيني الذي كان موجوداً في الفندق مع عدد من رجال (الجهاد المقدس) إلا أن بطل القسطل وشهيدها كان قد غادر الفندق قبل لحظات من حادث النسف » .

● مقتطفات من كلمة السيد عبد المنعم الرفاعي (رئيس وزراء الأردن سابقاً) في الحفل الذي أقيم في عمان بمناسبة ذكرى استشهاد عبد القادر الحسيني واخوانه المجاهدين الأبرار[1] : « ... ونحن اليوم إذ نعود لنتعطر بذكرى بطل القسطل وشهيدها الكريم عبد القادر الحسيني فإن قوافل الشهداء ترتسم أمامنا على أفق الذكريات تحلي من فلسطين الصدر والجيد والمعصم وترفع فيها منائر الحق يصارع البغي وشعائر الايمان يلطم العدوان في عراك دائم دائب أصله ثابت وفرعه في السماء .

وفي عمرنا نحن ، عمر هذا الجيل ، كلما ذكرت فلسطين لاحت صور ومشاهد راسخة في العيون مثلما هي راسخة في التاريخ ومستقرة في الأبصار كما هي مستقرة في الأسماع . عبد القادر الحسيني كان المحارب والبطل والفدائي والشهيد . كان المعنى والمثل وكان الغاية والطريق ، كانت عزيمته أشد من الظروف والأوضاع والأحوال السائدة حوله وفي وطنه ، وكانت حدوده أبعد من قيود مجتمعه ، كان يعلم أنه يواجه العدو الكاسر المسلح ، فلما عزّ عنه سلاح قومه وهو في أتون المعركة سما على العجز والضعف والعوز ، فدفع بروحه الطاهرة لتكون ثمناً لشرف اللقاء ووفاء للعقيدة والمبدأ ، ومناراً للصدق والايمان وحديث الأجيال للأجيال .

وليس همّ الشهيد أن يكسب لنفسه وقعة أو يحرز نصراً أو يسجل تقدماً منظوراً ذلك هو همّ الشعب وشأن الدولة وواجب الجيش إنما همه أن يفجر المعنى الذي يهز ضمير الانسان ويوقد العزم ويبعث الحياة في الكائنات .

من هنا كان سرّ الفداء ، ومعنى التضحية ، من هنا كان اندفاع الانسان عبر الخطوط والحواجز ووراء الشواطىء وخلف الأبعاد كي يضرب في عمق أعماق العدو

---

(١) مجلة فلسطين مايو سنة ١٩٧٥ العدد ١٧٠ .

المغتصب دون أن يبالي بما يحقق أو لا يحقق بعد أن يطلق أروع صرخة من أروع صمت ! !

هذا العقد النيِّر المتلالي من الشهداء تفردت به فلسطين على مدى الخمسين عاماً الأخيرة في قراع متصل الحلقات مع الغزاة الطامعين؟ قراع طويل عريض جعل من فلسطين كلها أرضاً للشهادة ، ومن أهلها كلهم منازل للشهداء .

وأصبحت معركة الحق والحرية والكرامة في فلسطين بعمقها واتساعها ومختلف أبعادها معركة الأمة العربية جمعاء . فإذا بشرف الاستشهاد يخفق في كل صقع عربي وكل مدار : في كتائب الجيوش العربية الباسلة ، وفي زمر الأحرار والمناضلين : على جبهات القتال وفي المدائن والقرى ، والشعاب والربى وفي مخيمات اللاجئين .

وبهذا أيها السادة حق علينا نحن العرب جميعاً في هذه الوقفة على طريق النضال الطويل وأمام ذكرى شهيد القسطل وقائدها المجاهد وذكر الغر الميامين من الشهداء الأبرار أن نحتفل كل عام وفي كل وطن عربي بيوم الشهيد العربي نتلو لانشودته أحسن الأناشيد ، ولقصيدته أجمل القصائد ، ولكلمته أبلغ الكلمات ذلك لأنه قضى من أجلنا ومن أجل الأجيال من بعدنا .

ثم نتطلع إلى الموقف الذي نحن فيه فنردد قول شاعرنا العربي الكبير بدوي الجبل :

قد استرد السبايا كل منهزم ... لم تبق في رقّها إلا سبايانا
والحق والسيف من طبع ومن نسب ... كلاهما يتلقى الخطب عريانا
لا في العراق ولا في الشام موعدنا ... عند الثنيّة من حطين لقيانا

● في عددها الرابع عشر نشرت مجلة « الخليج الجديد » القطرية مقالة في الذكرى التاسعة والعشرين لاستشهاد أبي موسى بعنوان « عبد القادر الحسيني بطل القسطل جاء فيه[1] « دمعة وفاء ، لا دمعة رثاء يجدر بكل فلسطيني ، وكل عربي أن يسفحها في ذكرى الشهيد عبد القادر الحسيني الذي سجل في معركة القسطل واحدة من أنصع صفحات الفداء في تاريخ الكفاح الفلسطيني .

---

(١) الخليج الجديد ابريل سنة ١٩٧٧م .

لم يكن عبد القادر الحسيني أول ولا آخر شهيد يسقط في ساح الشرف والجهاد دفاعاً عن العرض والأرض ... وإنما كان واحداً من قوافل الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم ودمائهم من أجل فلسطين ودفاعاً عن اسلاميتها وعروبتها .

كان عبد القادر الحسيني واحداً من شهداء الرعيل الأول الذين سقطوا وبنادقهم في أيديهم تعبيراً عن الرفض الفلسطيني لسياسة الاحتلال البريطاني في فلسطين . النابعة من وعد بلفور الظالم الذي تعهدت بريطانيا بموجبه أن تقدم فلسطين على طبق من فضة هدية لأحفاد قتلة الأنبياء .

لقد خاض عبد القادر الحسيني معارك كثيرة ضد عصابات السفاحين وهو يعلم أنه يواجه عدواً يفوقه عدداً وعدة ، وكانت معركة القسطل واحدة من تلك المعارك ، بل كانت أبرزها واشدها ضراوة .

إنه كان على علم بأنه يقاتل في القسطل معركة غير متكافئة ، . إلا أنه خاضها بإصرار وعناد ، وبسالة سوف يسجلها تاريخ الكفاح الفلسطيني بأحرف من نور . فقد صمد عبد القادر الحسيني في معركة القسطل ، وظل يقاتل فيها جنباً إلى جنب مع رفاق السلاح حتى آخر رصاصة حيث سقط بعدها شهيداً وهو يؤدي واجبه على خير ما يمكن أداء الواجب الوطني المقدس » .

الباب العاشر

رثاء القافية

عرضنا في الصفحات السابقة أقوالاً في تمجيد الشهيد من شخصيات شتى ، وفي الصفحات التالية نلتقي مع الكلمة الموزونة .. مع الشعر .. وبعض الشعراء الذين مجدوا الشهيد البطل .

ربما يكون الشاعر/محمد هارون الحلو أول شاعر عربي رثى الشهيد في قصيدة نشرتها جريدة «المصري»[1] بعنوان «يا قائد القدس» :

حسام ثوى في غمده غير حافل ... بما فلّ منه في قراع نوازل
سمعنا به قرْعاً عنيداً ممنّعاً ... يكرّ بأفراس شداد بواسل
وفي كل يوم كان يطوي جحافلاً ... ويقهر اعداءً ويغدو بنائل
فيا قائد القدس المطهر روحه ... ليهنئك ما احرزته من جلائل
تعطر ذكراك الكريمة رحمةً ... يجاذبنا منها كريم الشمائل
عليك سلام الله : فارس أمة ... أضاء بنور الحق خير المشاعل

● القصيدة الثانية للشاعر الكبير/أحمد مخيمر نشرت بمجلة «الرسالة»[2] :

نلت الشهادة فاهنأ ايها البطل ... بمثل عزمك تبني مجدها الأمم
أمامك الجنة الخضراء تفتحها ... لك الدماء التي اهرقت والأسلُ

(١) جريدة المصري : ١٠-ابريل - سنة ١٩٤٨م .
(٢) مجلة الرسالة ٣ مايو سنة ١٩٤٨م .
(٥) الأسل : الرماح .

السابقون من الأبطال قد دخلوا ... والصاعدون من الأحرار قد وصلوا
ودوا لحب الوغى لو انهم رجعوا ... ليقتلوا مرة أخرى كما قتلوا

* * *

يا ابن الحسين ! دموع الحزن جارية ... ناره في طوايا القلب تشتعل
على شبابك نبكي لوعة وأسىً ... وان يكن لحياة الخلد ينتقل
شمس طوتها المنايا وهي مشرقة ... صبحاً ولم يدْن من آفاقها الطَّفَل*
على ابتسامك والهيجاء عابسة ... والنار تصرخ والأسياف تقتتل
على اقحامك والأبطال شاكية ... وللدماء على ابدانها سُبل
ان يقتلوك فبالذل الذي شربوا ... من راحتيك وبالضيم الذي نهلوا
ملأتهم بظلام الخوف فانطلقوا ... وفوق اعينهم من ليله سُدُل
من لا تبادره بالسيف بادره ... من نفسه القاتلان الجبن والوجل
اخس ما شهدته الأرض من أمم ... كأنهم من قرار الذلّ قد جبلوا
للموت ما ولدوا ، للقبر ما حشدوا ... للخسر ما بذلوا ، للضيم ما نسلوا
الذائقون على كفيك مصرعهم ... والتائهون فلا سهل ولا جبل
والحاشدون الوفاً لا غناء بها ... يوم الصدام وخير منهمُ رجل
لهم من الحرب اغلال ومسكنة ... وذلة ، ولك الاسلاب والنقل

* * *

يا حامي القدس من كيد يراد به ... خلا العرين ومات الضيغم البطل
اغناك عزمك عن نظم وعن خطب ... فلم نرل بلسان السيف ترتجل
ارسلتها كلمات منه دامية ... حمراء آذانها الإخلاد والقلل
بكى .. فأبكى ولم تبرح مدامعه ... لما قضيت مع الباكين تنهمل
يرنو لشبليك محزوناً ونائحة ... وراء نعشك ثكلى شفها الخبل
قد أذهلتها المنايا فهي خاسرة ... بين الحشود فلا حذر ولا كلل
لم يبق في قلبها التوديع من جلد ... ان الفراق بغيض ليس يحتمل

* * *

(*) الطفل (بفتحتين) : المطر

يا حامي القدس دعهم يشمتون فما ... بستأخر العمر يوماً ان دنا الأجل
في حومة المجد والارماح مشرعة ... لقيت حتفك والأبطال تنتهل
فما جبنْتَ على يأس كما جبنوا ... ولا خذلت على روع كما خذلوا
ولا أدرْت وجوه الخيل مدبرةً ... في الموقف الضّنْك من خوف وقد فعلوا
وليس اشرف من موت حظيت به ... والنصر دانٍ إلى عينيك مقتبل
ورايـــة العرب تستعلي ورايتهم ... ممزق جانبيها العار والخجل

* * *

يا ابن الحسين تحيات نرددها ... ما اشرق الصبح أو ما ابيضت الأصلُ
غامرت في الشرف الأعلى ففزت به ... وجاذباك اليه الحب والأمل
ونلت في حومة الهيجاء ما طمحت ... يوماً إلى مثله آباؤك الأول
جنات عدن إلى لقياك ظامئة ... والسابقون لدار الخلد والرسل
من لؤلؤ قصرك الثاوي على شرف ... يرف في ساحته البشر والجدل
وللملائك تسبيح وهينمة ... كما ترنّم شادٍ بالهوى زجل
فانعم بخلدك في ابهائه فرحاً ... ان الخلود جزاء ايها البطل

* * *

---

(٥) مفردها : أصيل : الوقت بعد العصر إلى المغرب

● «ذكرى عبد القادر» . عنوان قصيدة للشاعر الكبير محمد عدنان[1]

زغردي اليوم يا جنان الخلود ... واهتفي النشيد تلو النشيد
واجعلي النيران في الافق يوقعن ... لحن الترحيب بابن الصيد
جاء سبط الرسول طلق الاسارير ... محاطاً بهالة التمجيد
أرخص الروح ذائداً عن حماه ... بصيال اطار لبّ اليهود
شق «للقسطل» المنيعة دربا ... عبدته عزيمة الصنديد
كان بين العداة ليثاً وحيداً ... ورأوه في البطش غير وحيد
فهو في جحفل من العزم والإقدام ... والبأس والجلاد شديد
قد تلاشى الأبطال بين يديه ... كتلاشي الأحلام بعد الهجود
وتهاووا كأنهم ورقاتٌ ... فضّ عنها الخريف ختم الهمود
وقضى النحب مثخناً بجراح ... بعد أن دك كل خصم مريد

* * *

ايها القائد الذي لم يرعه ... منجل الموت في حصاد الجنود
جئت والشمل في البلاد شتيت ... والأماني في شكيم القيود
والأسى جاثم على كل صدر ... ورحى اليأس اتخمت بالكبود
فعلت الامال فينا لضرب ... يفلق الهام من خصيم عنيد
ونظمت المثور من عقدِ قومي ... في لهيب الوغى ودك النجود
فرأينا المجاهدين قصيداً ... كنت فيه والله بيت القصيد

* * *

---

(١) الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين – كامل السوافيري .

كيف ننسى مجداً لنا رفته ... أمسى يمناك في سجل الخلود
(بن يهودا) و (البست) والمُتْفوري ... شاهدات على الفعال الحميد
وبناء الوكالة المتسامي ... مثل برج من الصخور عتيد
قد تداعى بنسفة لا تجارى ... زلزلت نُهْية العدو اللدود
لست أدري بفقده من اعزّي ... أأمينا رمز النضال المجيد[1]
ام اعزي الزوج التي لا تجارى ... في وفاء بين الأنام فريد
ام اعزي نفسي وقد طاش لبيّ ... مثل «سامي» أخي ومثل «فريد»[2]
نحن في رزئنا الجسيم سواء ... فعزاءً يا امتي بالشهيد.

* * *

● «مصرع بطل» عنوان القصيدة التي القاها الشاعر الشهيد/كمال ناصر في حفل أقيم ببلدة «بير زيت» لتأبين الفقيد:

ايها الموت تِهْ علينا وفاخر ... لم يطش سهمك اللئيم الغادر
انت لم تطوه جباناً ولكن ... قد تهادى اليك نشوان ظافر
كم تحاشيت ان تراه فألوى ... يتحدّاك رابط الجأش ثائر
كم سعى في مجالك الخصب حتى ... بتّ تلقاه خاشع الطرف حاسر
ايها الموت لا تسل انت ادرى ... كيف يردى إلى حماك المغامر
دونك النعش هل ترى من عليه؟ ... تلك انشودة الجهاد الطاهر
رددي صوتها الشجي وضجّي ... يا ليالي، وزغردي يا مقابر
زارك اليوم فارس عربي ... عانقيه فذاك (عبد القادر)
يا فلسطين لا تبالي فإنا ... قد روينا والخصم ظمآن صاغر
ما اغتصبنا المجد الأثيل ولكن ... قد ورثناه كابراً عن كابر
يا فلسطين لا تنامي ففينا ... همة تصفع الزمان القاهر
كل شبر على اديمك دِيْناً ... سوف يفديه شعبك المتضافر

---

(١) اشارة إلى المجاهد المرحوم الحاج أمين الحسيني.
(٢) سامي وفريد من أخوة الشهيد.

كـــل فرد معـــذبٌ بـــأمـــانيـــه ... على أمـــــانيك يقظـــان ساهر
مزّقي حـــــالك الظلام وسيري ... بـــاليـــامين عبر هـــذي المجـــازر
فحرام عليك أن يطلـــع الفجر ... وفي ربوعك الخضر كـــــافر

* * *

يـــا فقيـــد الشبـــاب حسب المنـــايـــا ... لوعـــة ان نقـول مـــات القـــادر
شمتت زمرة العـــدا واستطـــارت ... لحمـــــاهـــــا تزفّ فيك البشائر
لك ذكر كـــالزهر يبقى جنيـــاً ... في جيش الخلود ريّـــان عـــاطر

* * *

● وللشاعر فتح الله السلوادي قصيـدة بعنوان «ذكرى استشهـاد عبد القادر» :

قال فيها :

عَلَم الجهـــاد الحرّ عبـــد القـــادر ... ذكراك بـــالإكبـــار تملأ خـاطري
«القسطـــل الحمراء تـــذكر هِمةً ... شقت لنيل المجد حجب مخاطر
وحـــديث بـــأسك عزةٌ وكرامـــة ... رفعت لدى التذكار هامة فاخر
آثرت موت الأكرمين فلم تمت ... انت المخلـــد ، أنت صرح مـــآثر
مـا مـات من دفع الهوان بروحه ... ومضى بعزة اريحي طـــــاهر
لكـن من يرضى الحيـاة ذليلـة ... ميْتٌ وان لم يُثوَ بين مقـــــابر

* * *

يـا ابن البطولة نمْ قرير العين في ... خضر الجنـــان على النعيم الوافر
بين الـــديـــار شبيبـــة جبـــارة ... ستعود للأوطـــان صولـــة قـــاهر
ذكراك لا تفنى فكـــل فتى بنـــا ... يلقى بـــه الاعـداء عبـد القـادر
هي غيمـة ريداء حـل قتـامهـا ... بخـديعـة تمت بـأمسي الـدابر
ستزيلـها روح البطولـة في غـدٍ ... ويعـود للفردوس كـــل مغـــادر

● ولشاعر فلسطين القومي الاستاذ هارون هاشم رشيد قصيدة بعنوان «غابة القسطل» نختار منها هذه الأبيات :

أننسى الشهيد شهيد الكفاح ... شهيد فلسطين في القسطل
انساه وهو يمدّ يديه ... إلى الثأر لهفة مستقتل
وعيناه بالنار ترمي الشرار ... تنفث من صدره المشعل
فلسطين هيهات انا لها ... لمعركة الثأر فاستبسلي
سنأتيك رغم الأسى والدموع ... سنأتيك بالأمل الأجمل
غداً سنعود إلى مجدنا ... إلى الحقل ، للكرم ، للمنزل
سنزرع اشجارنا ها هناك ... سنزرعها في الغد المقبل

* * *

● «شهيد القسطل» للشاعر محمد أحمد أبو غربية[1] :

قف يا رفيقي في حمى الإجلال ... فاليوم ذكرى رائد الأبطال
ذكرى شهيد قد سما بفعاله ... في كل قارعة وكل سجال
فعل الحسيني للفخار وعزمه ... رمز الرجولة منبع الأعمال
قدّست جرحك يا شهيد لأنه ... من جرح قلبي لفظة الأهوال

* * *

اني رأيتك في الجهاد مناضلاً ... لتدك ظلم الغاصب المحتال
وعرفت سرّك في النضال إلى العلا ... عزم وإقدام وصدق قتال
ولقد عرفتك في النوائب هادراً ... كالمارد الجبار كالزلزال
وغدوت اهرع للنضال مقلداً ... فيك البطولة شعلة لنضالي

* * *

---

(١) وردت في رسالة خطية من الشاعر سنة ١٩٧٣ .

سرعان ما خضت المعارك ظافراً وسموت بالأعمال والأقوال
ولثمت أضواء المعارك كلها كسهام عيد من لظى الارتال
وغدوت تسمو بالجراح لأنها سمة الفخار وزينة الأفعال
وقضيت عمرك في الجهاد ومجده نور وآيات إلى الأنجال

* * *

مجّدت فعلك يا شهيد لأنه نبع الفؤاد وصرخة الرئبال[1].
فجرت في القدس الدماء لأنها أكسير تحرير الوجود الغالي
وظفرت بالأحداث تعلي قدرها وصعدت فوق النجم بالإجلال
وختمت جهدك بالنضال لقسطل وخُلّدت في الأكوان والأجيال

* * *

● نشرت جريدة «الجمهورية» العراقية هذه القصيدة تحت عنوان [1] «ذكرى شهداء فلسطين – بمناسبة ذكرى استشهاد البطل عبد القادر الحسيني» :

لمن الدار اقفرت والمعالم ؟ غاب عَن غيلها الليوث الضياغم
كيف حالت جنانها الزهر صحارى ، وجاورتها الأراقم
ونعيب الغراب والبوم أمسى يقرع السمع بعد سجع الحمائم
وصروف الزمان البست روضها الضاحك ثوب الحداد أسود قاتم
أجحيم تلذ بعد نعيم وسموم من بعد تلك النسائم
ويح نفسي ، اواقع ما تراه ال عينان ام تلك اطياف حالم
طاف بالقلب طائف من خيال وهمى الطرف بالدموع السواجم

* * *

---

(١) الرئبال : اسم من أسماء الأسد .
(٢) جريدة الجمهورية العراقية ٨ نيسان ١٩٦٨ العدد ١٠٤ – لم يذكر اسم الشاعر .

يـا فلسطين قـد رمتك الليـالي ... بسهـام من الرزايـا قواصم
طمعت فيك اشقيـاء يهوذا ... فرمونـا بكـل اجلف غـاشم
ضرّجوا بـالـدمـا ربـاك فبـاتت ... كـل دار نواحـة بـالمآتم
ذبحوا في ثراك كـل رضيـع ... لم تفتق اكمـامـه كـالبراعم
قذفوا بالحديد والنار قبلتك الأ ... ولى واسرفوا في المآتم
وبنوا قومنـا الأغـارب يلهون ... يعوذون بـالرقى والتمـائم
في رغيـد من الحيـاة وصفو ... وجنـان خضر، وعيش نـاعم
بخلوا بـالسلاح إذ ملكوه ... وتساموا في عزة وتعـاظم
يملأون الـدنيـا وعيـداً ووعـداً ... ونقيقـاً كمـا تنق العلاجم
هـادنوا الخصم ضلة ثم راحوا ... يقرعون الغـداة أسنـان نـادم
ان يتوبوا فـذاك خير وأبقى ... أو ينـاموا فـالخصم ليس بنـائم
اين بغـداد جمرة تتلظى ... اين نجـد عقبـانهـا والقشاعم
اين أرض الشام تفزع بـالخيـل ... وعمـان بـالقنـا والصوارم
اين أيـام كنـدة ونزار ... وقريش وحمير والبراجم
وايـاد ووائـل وتميم ... وحمـاة الحمى وأهـل المكـارم
كـان للعرب دولـة وجنود ... وحشود من كـل اروع صارم
غـالها الـدهر في بطون الليـالي ... وطواهـا في عهـده المتقـادم
فـاستحـالت نهباً لكـل طموع ... وطعـاماً لكـل غرثـان طـاعم
فتيـة من بقيـة السيف قـامت ... في فلسطين بـالأمور العظـائم
ركبوا الهول يطلبون المنـايـا ... في شواظ النيران والجو قـائم
فـاسأل القسطـل الـذي ضرستـه ... بضعـة من نيـوب تلك الضراغم
والحسيني مقبل وقد بسط الموت ... جنـاحيـه والخطب داهم
يـا أبـا فيصل وموسى وغـازي ... وسليـل الكمـاة من فرع هـاشم
قـد لقيت الردى ببـأس شديـد ... وبثغر يوم الكريهـة بـاسم
ومشت حولك الميـامين تترى ... في حنين إلى الشهـادة دائم
وبريق الحـديـد يلمـع حينـاً ... ثم يخفى في عيثر متراكم
اين عبـد الرحيم يردي الاعـادي ... والمنـايـا فى لجّهـا المتلاطم
وشهيـد (المزار) فرحـان ظلهـا ... صلبوه في سجنه وهـو صائم

وأبو ديـة الـذي عـاش شهيـداً ... حيـــاً وانفـــه غير راغم
والسعيـــدان ، والشهيـــد سرور ... والحنيطي ، والخليـل الأكـارم
ومئين من مثلهم وألوف ... قـارعوا البغي بـالظبي واللهـاذم
ادرجوا في الثرى ومـاتوا كراماً ... وبكتهم عـواتك وقـواطم
فـــاسأل الانجليز تنبئك عنهم ... يوم دق الكلى وقط الجمـاجم
يوم جـــاءوا واجلبوا بجنود ... وحشود وقـاصفـات رواجم
واسأل الارذلين قوم يهوذا ... كيف حـاقت بهم هنـاك الهزائم
نضّر الله في التراب عظـامـاً ... وسقـاها صوب من المزن ساجم
ايهـا الطـامعون فينـا رويـداً ... ان صرح البـاغي ضعيف القوائم
قـل لمن رام في الحيـاة خلوداً ... ليس حي من المنون بسالم
انمـا الخلـد جنـة لشهيـد ... في نعيم عنـد المهيمن دائم

* * *

● مقتطفات من قصيدة للشاعر المرحوم محمود نديم الأفغاني في تمجيد الشهيد[1] :

ايـه ، ابـا موسى ومثلك لا تجود بـه القرون
بالروح ، بالدم قد فُديت ، وهكذا من يفتدون
وكتبت اسفـار البطولـة يوم عزّ الكـاتبون
وسقطت في ساح الفـداء ، وهكـذا المتحررون
فخلا العرين من الأسود ، وذل فيـه الأكرمون
وتـآمر الغرب الأثيم وساد فيـه المجرمون
فهم ، هم راس الجريمـة ، بـل هم المستأسدون
لولاهم مـا عـاث في وطني اخو الغـدر الخؤون
وتسابق الأنذال في أهلي هنـاك يتكلون
وشبـاب قومي في الصبـاح ، وفي المساء يصلبون

---

(١) مجلة فلسطين العدد ١٤٦ . ايار سنة ١٩٧٣م .

وتشتت الأهـــل الكرام بكـــل أرض يضربون
حسب العروبـة ، يـا عروبـة ان نسمى «اللاجئون».

* * *

يـا ليت وقعـة قسطـل الأحرار ، انـا صامـدون
علمتنـــا كيف البطولـــة يشتريهـــا المشترون
ورسمت للأبطـــال دربـــاً ، سار فيـــه المقتـــدون
قسمـــاً بربك يـا شهيـد الخلـد انـا عـائـدون
قسمـــاً بروحك يـا أبـا موسى ، لنحن الغـالبون
فذر الطغـــــــاة بظلمهم يتفننون .. ويجرمون
ويحـــاكمون .. ويحكمون ويسجنون ... ويبعـــدون
فغـــداً نحـــاسبهم ونحن على الحساب لقـــادرون
سنعلم الـــدنيـــا غـــداً عن شعبنـــا مـــا ينكرون !
والمجـــد للشعب الـــذي بجهـــاده قهر المنون !

* * *

● الأخ الشاعر محمد عز الدين المناصرة شارك في تخليد ذكرى «أبي موسى» فكتب «الرسالة الأخيرة – من الشهيد عبد القادر إلى شريكته الوفية ام موسى»[1] :

– ١ –

على جمر الغضا تبكي
ولا تدري لمن تشكي
فقد صبغ الهجير زمانها الأسودْ
وقد مرّت على رعب القوافي في ليالي الحب تقرؤها
وتشحذ سورة ماتت بأعماقي
دفنْت هنا ضفائرها

---

(١) نقلت الينا في رسالة خطية من الشاعر سنة ١٩٦٦ .

ولملمت الطيور الخضر تسرح في بيادرها
تقول لنا : أما عادت ...
ونكتم ضحكة خضراء في دمنا
ويفضح صمتنا غصن من الغار
حملنا جذعه المحبوب نقلناه من دار إلى دار
فيبتهج الصغار تعود أجنحة العصافير
ترفرف بين أمطار الربيع على ...
حواف الصخر والبير
يموت الليل والمبكي
وها تكفا
ومسخ الدار بين الحبل والنير.

- ٢ -

لقد طال ليل البعد يا «ام فيصل»
وعيّرني صحبي بطول توجعي
لئن لعلع البارود في سفح قسطل
ورجّعت الوديان كلّ مُرجَّع
فحيث يجود الماء ... يقتلني الظما
وحيثما شرقت نار بأضلعي
وان قلّ ماء العين في صحرائنا
سترويه ماء العين من ماء ادمعي
ستثأر منك - الريح والسحب والقنا
واجنحة النيران من كل مدفع

- ٣ -

صبايا يجرجرن أكياس حنطة
ويعجنّ خبزاً وعزماً وموتاً زؤاما
وفارسك الصبّ يرسم قلباً هماما
ويستنفر الجند والأرض .. ما روّعه
فقد أوغل الجند في الساحة المفزعة
وحرّك فيهم عيون النساء ...

ليسقيهم ماء «كنعان» لو تفهم المرضعة
لأرضعت الطفل من ثديها
وشمّ صفا عطرها
وثارت به النزوة الرائعة
فخطط بالدم فوق الجدار
يميناً عظيماً ... وثار
تمزقه زاجرات الرصاص فتقتل ما جمعه
ولكنه في دجى المعمعمة
يموت وفي يده مدفعه .

* * *

الباب الحادي عشر

وجيهة عبد القادر الحسيني
أم موسى رفيقة النضال

تقول الأديبة الفلسطينية الشاعرة/أسمى طوبي[1] «لقد قيل : إن وراء كل عظيم امرأة عظيمة ، ووراء الشهيد الكبير عبد القادر الحسيني كانت وجيهة الحسيني» .

أجل .. فمنذ أن اقترنت به سنة ١٩٣٥ في القدس وهي تقاسمه حلو الحياة ومرها .. أنجبت له أربعة أبناء .. هيفاء في سنة ١٩٣٦ عام الثورة الفلسطينية الكبرى ، وموسى سنة ١٩٣٨ م بدمشق ، وفيصل وغازي في عامي ١٩٤٠ – ١٩٤١ وكلاهما ولدا ببغداد .

لم تضن عليه بالحب .. ومع الحب الايثار والتضحية والفداء .. كان بيتها خطاً خلفاً للمجاهدين تستقبل المناضلين من رفاق زوجها .. تضمد جراحهم ، تخيط ملابسهم .. ترتق المفتوق من ثيابهم .. تقف أمام الموقد ساعات طوال تطهو الطعام لهم ... تسهر على راحتهم ... تشد أزرهم ، وتدعو الله أن يمن بنصره عليهم ..

كان هذا دأبها في القدس ... وتكرر ثانية في بغداد .. فعندما فشلت محاولة المجاهدين الفلسطينين في دخول إيران بعد احباط ثورة رشيد عالي الكيلاني بالعراق

---

(١) من كتاب «عبير ومجد» – أسمى طوبي .

عادوا الى بغداد وهم في غاية الاجهاد والتعب بعد مسيرة ٢٥ يوماً سيراً على الأقدام وقد غيروا أزياءهم لئلا يتعرف عليهم أحد .. وتوالى وصولهم إلى البيت ما بين السادسة صباحاً حتى الثامنة مساءً وتتجدد عزيمة أم موسى كلما حضر واحدٌ منهم . تستقبله بالتحنان والترحاب ، وتهون عليه عناء السفر المضني وقد زاد عددهم يوم ذلك عن نيف وعشرين مجاهداً .

وعندما تقرر نفي عبد القادر إلى بلدة زاخو في شمال العراق .. تقرر أيضاً أن تفرض الحراسة على بيته في الأعظمية بعد أن مثلت أم موسى أمام المحكمة في بغداد .. وقد نفذ أمر الحراسة فعلاً طيلة فترة نفي عبد القادر في زاخو والتي استمرت عشرين شهراً .

في شهر تموز سنة ١٩٧٥ م قمت وعائلتي بزيارتها بمصر الجديدة .. كانت وكريمتها هيفاء بانتظارنا في حديقة المنزل .. دلفنا جميعاً إلى حجرة الاستقبال .. سيدة جليلة ، مهيبة الطلعة ، تقرأ في وجهها كل سمات الوقار ، ترى في عينيها أبعاد جهاد وصبر ومعاناة .. بدأت أسألها ... وبدأت تتحدث ... وباستفاضة ... كنت أبحث عن المجهول في حياة عبد القادر .. كنت أريد الحصول عن المعلومات الخاصة عنه .... روت لي حادثتين منفصلتين : فقالت : أخطأ أحد الجنود العراقيين في سجن العمارة .. وقررت إدارة السجن معاقبته وذلك بخصم ثلاثة أيام من مرتبه .. تألم الجندي كثيراً .. خاصة ، أنه عائل لأسرة كبيرة ... جاء إلى أبي موسى يرجوه التدخل لدى إدارة السجن كي تستبدل عقوبة الخصم من المرتب .. بعقوبة الجلد ! ! وفعلاً .. تدخل عبد القادر لدى الإدارة .. وإذا بمدير السجن يعفو عن الجندي إكراماً لعبد القادر ! ..

والحادثة الثانية حدثت مع أم موسى حينما كانت تقيم في حي الأعظمية ببغداد ... وكانت تقيم إلى جوارهم عائلة يهودية .. لها ابنان متزوجان ، أحدهما مقيم باسرته في الموصل .. والآخر مقيم ببيت أهله المجاور لبيت أم موسى .. وفجأة توفي الابن المقيم في الموصل .. فجاءت زوجته وأولاده إلى بيت جدهم للزيارة .. ويبدو أنه حدث خلاف شديد بين العائلتين ، فقررت العائلة القادمة من الموصل أن ترحل ثانية .. وكان الجو شديد البرودة .. قاتماً .. مكفهراً .. ومكثت العائلة برهة طويلة تحت زخات المطر تنتظر السفر .. ورأتهم أم موسى من نافذة المنزل .. وأشفقت عليهم .. ودعتهم .. إلى البيت .. واستضافتهم حتى اليوم التالي .. تقول السيدة أم

موسى «كنا خائفين من بعضنا .. ولكن الواجب الانساني أقوى من كل شعور بالخوف» .. ولما خرج أبو موسى من المعتقل أخبرته بالقصة .. فابتسم وبارك هذه الخطوة .

في أثناء حديثها عن فترة المكوث في العراق كانت دائمة المديح والثناء على الأخوة العراقيين .. وكرمهم .. وحسن ضيافتهم ومعاملتهم .. قالت : يا بني .. اذا كتبت شيئاً عن هذه الفترة فلا تنسى كلمة حق تقولها في إخواننا العراقيين .. إنهم أهل شهامة ومروءة ووفاء ..

عندما قرر عبد القادر مغادرة مصر متجهاً إلى فلسطين بعد قرار التقسيم كانت ترافقه زمرة من إخوانه المجاهدين أخذت أم موسى تودعهم واحداً واحداً وتشد على ايديهم .. توجهت لهم جميعاً بكلمة خالدة : أنا لا أمانع في ذهاب عبد القادر للقتال ولكن أوصيكم أن لا تضنوا عليه بالسلاح ! » .

خطابه الأخير إلى قرينته

من دمشق بعث إلى شريكة حياته وجهاده في مصر بهذا الخطاب .. وكان آخر خطاباته إليها :

« .... أكتب إليك من دمشق ، ولا أدري كيف أصف شعوري وما يجول في نفسي ، وما يخفق به فؤادي ، وهذه فترة قصيرة أنا فيها بعيد عن مشاغل القتال ، وما ذلك رغبة مني ولكن الظروف هي التي أوجدتني في دمشق ، بعيداً عن رائحة البارود وعبير الجنة ، وخوض المعارك إلى جانب اخواني الأبطال الذين يقومون بتحرير وطنهم ، نصرهم الله وأيدهم بقوة من عنده .

لقد كانت الفترة الماضية مليئة بالانتصارات الباهرة والأعمال المجيدة التي بهرت العالم ، وحطمت العدو ، لقد سطرنا صفحات مجد لا تنسى في التاريخ ، ولكن هذا لم يأت عفواً ولا سهلاً وإنما بالتضحيات العظيمة والجهود المتواصلة ليلاً ونهاراً ، وهو عمل نسي كل واحد منا خلاله نفسه وأهله وأولاده وطعامه ونومه ، وكل ما في الدنيا خلا الرغبة في النصر وسحق العدو الكبير في عدده ، والقوي في عدده بما لدينا من السلاح القليل . ولقد قدّرنا الله على ذلك وكافأنا على جدنا بالنصر المبين ،

لكننا ما زلنا في أول الطريق . وعلينا أن نضاعف الجهود ونصل الليل بالنهار حتى نصل إلى النصر النهائي ، وإني أبشرك من الآن بأننا سنصل إليه إن شاء الله .

صحتي جيدة ، كيف صحتك ، وصحة الأولاد ، قبّليهم جميعاً وبلغيهم رضائي . المخلص إلى الأبد – عبد القادر الحسيني » .

نختتم هذه الباقات الشعرية المعبقة بأريج الجهاد والاستشهاد بقصيدة للأخ الشاعر ناهض منير الريس بعنوان « شهيد القسطل » :

صخرة القدس قُدَّ منها ذراعه ... وحكى معرج البراق اندفاعه
قامة صلبة ، وعزم صحيح ، ... ولسان عف . وعفٌ يراعه
ظاهر الهَمِّ في الجبين ، عزوفٌ ... عن فضول الكلام ، جم صراعه
قلبه رهن كفه حيث ألقى ... لم يساوره حيث ألقى ارتجاعه
منتهى مآله نطاق رصاص ... ثقلت ناره وخف متاعه
هزه هاتف الفداء فلبىّ ... وعزيز على الرجال سماعه
وَرث الغضبة النبيلة طبعاً ... عن أب جُرِّبت قديماً طباعه
كان شيخ البلاد يدفع عنها ... وكذا يمنع العرين سباعه
دأبه وقفة الإباء ومنها ... رضع الشبل واستقام رضاعه
وفلسطين موطن الحزم والعزم ... الذي تنجب الرجال بقاعه
روضة .. شبّت الحرائق فيها ... أصلها ثابت أريد اقتلاعه
فانتخى نجدة وعوناً فتاها ... واصطلى النار لحمه ونخاعه

* * *

ذاك منظاره وتلك رؤاه ... يا لهول الذي جرى استطلاعه
افعوان على المرابع يسعى ... حرسته ذئابه وضباعه
ينفث السم في صدور قراها ... همّه نهش قلبها وابتلاعه
حملته لنا جراء حليف ... كف مستعمر لئيم خداعه
ليس أدهى من يوم أقبل إلا ... يوم غابت عن بحر حيفا شراعه !
خطة تبرأ الشياطين منها ... ثَبَّ من خطها وتبت صباعه
وعد بلفور كان عنوانها النحس ... الذي دوّخ البلاد اشتراعه
فأطلت برأسها هجرة المشرق والمغرب ... من كل قطر ... رعاعه
ومرابوه . والجواسيس . والقرصان ... والبائعون عرضه وجياعه

باطل قام بالسلاح وبالغدر ... وشيدت فوق الدماء قلاعه
أي حيف ، وأي سم وخسف ... فار كأساً لا يستطاب اجتراعه
يا فلسطين لهف نفس أبيٍّ ... حملت هَمَّ شعبه أضلاعه
اظلمت في عيونه الشمس لمّا ... أبصرت موطناً تراءى ضياعه
واذا خطة الخيانة حاقت ... فالفداء النهج الحريُّ اتباعه

• • •

حمل الراية التي عرفته ... وتوخّته حين لوَّح باعه
رشحت من دمائه يوم باب ... الواد ، واشتد في حماها دفاعه
كل خيط بها الوريد وأغلى ... جل من مقطع الوريد انقطاعه
لم يزل ديدبانها .. والغواشي ... زاحفات ، والأفق ضاق اتساعه
عاقد الكف حولها ، والأعاصير ... غضاب... يهيجهن امتناعه
لثمته العيون وهو مُغيرٌ ... وأحاطته والمنايا تباعه
غير أن السلاح خان يد القائد ... إذ صُمَّ في النزال قراعه
والعدو اللدود شاكي السلاح ... أعجز الشام والعراق اختراعه ..
قذف الجمر بالمدافع ، وانصب ... لهيباً بالطائرات اندلاعه
آلة الحرب أحرزت قصب السبق ... ولم يسبق الجبان شجاعه
والفروسية انتهى عصرها الزاهي ... فما يكسب الحروب اصطناعه
السلاح .. السلاح بيعوا .. دماكم ... واشتروه اذا استُطيع ابتياعه
لا يُرَدُّ العدو حتى يُوَفّى ... بالعيار الثقيل والموت صاعه

• • •

هذه ساعة لها ما تلاها ... واذان بالجد حان استماعه
هل سميع بها لأمر قصير؟ ... أم إلى اليوم أمره لا يطاعه ؟
أمة الكهف لم تزل تتمطى ... وضياع البلاد عَمَّ ذياعه
سقط القسطل الحصين فيا عار ... نفوس ما هَمّها استرجاعه
أين خيالة الكلام تباروا ... فيه يوم التقى بمصر اجتماعه ؟
اشعلوا الحرب في الهواء وجادوا ... بسلاح منمق قعقاعه !
ما كذا نجدة الاخاء ولا الغوث ! ... وهذا العدو زيح قناعه
طلب النيل والفرات جميعاً ... وقليلاً ما أخفيت أطماعه
والخيانات في العواصم داء ... سكن الرأس واستحال انتزاعه
فكأن العدو في أذنيها ... وعلى صدرها جثا أتباعه

غير أن الـــذي تـــأصل فيـــه ... محتـد الشعب لا يليق انصياعه
فطوى عـن مناقع الخزي كشحاً ... وتعـالى ، وقـد علاه امتقـاعـه
سمع القسطـــل البعيـــد ينـــادي ... فحكى رجعـــة الصدى اسراعـــه
ألف لبيك ، فـــابنك البر آت ... وسيكفيك أمرهم مستطـــاعـــه
ولقـــد تبلـــغ الشهـــادة نصراً ... قبـــل أن يبلـــغ الشهيـــد نزاعـــه

* * *

ذاك مـــــاكـــــان في الظهيرة ... والزهر ربيع ، والريح طلق مشاعه
فهوى القـــائـــد الشهيـــد ، وأعلى ... راية الشعب حيث طاب اضطجاعه
امطرتـــه الزهور حين تهـــادى ... نعشه الطـــاهر العزيز وداعـــه
وسقـــــاه من الغمـــــام هتون ... وبكى شعبـــه وجُنّ التيـــاعـــه
كوكب القـــدس غيبتـــه الليـــالي ... وعلى الأفق مـــا يغيب شعـــاعـــه
مـذ هوى فوق سارية القسطل ... أربـى على الشموس ارتفـــاعـــه
ولقـــد تغرب الشموس .. ولكن ... ذكره الفـــذ لـن يحين انقشاعـــه

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الملاحق

- ١ -

النص الحرفي لرسالة القائد الشهيد عبد القادر الحسيني إلى سماحة المرحوم محمد أمين الحسيني ، وقد بعثها بعد وصوله إلى مصر قادماً من السعودية والعراق .

سيدي سماحة العم المحترم

١٤ ربيع الأول سنة ١٣٦٥ هـ

السلام عليكم ورحمة الله وبعد :

فقد سررت برسالتكم أعظم سرور وكانت لي أعظم مشجع ، تذكرون تقديركم لتحملنا مشاق الغربة والسجون ، وهذا التقدير هو وسام عظيم الشأن اناله من زعيمي وقائدي ، إلا أنني أشعر تمام الشعور أنه أكثر مما استحق ، **وأنا شخصياً أشعر بالخجل الشديد كلما قست صغر ما قمت به من جهود بعظيم ما قام به أمثالي من شباب الأمم الأخرى الذين لا أرى بهم ما يميزهم عن أي شاب عربي** ، ولكنني لا أزال كبير الأمل بأن تتاح لي الفرصة لأداء واجبي الوطني بكل ما أستطيع من جهود بفضل قيادتكم وتوجيهكم ولا يدخل لقلبي اليأس اخفاقي بنيل ثقتكم فيما مضى ، وإني على يقين بأنني سوف انتزعها انتزاعاً رغم كل العقبات .

تطلبون مني أن أكتب لكم بما أود أن أقول وليس لي ما أقوله إلا أني بانتظار أوامركم **وستجدونني دائماً ذلك الجندي الذي يموت في سبيل أمته ومبادئه دون أن يكلف الناس بسماع أنات نزاعه ، وكذلك زوجتي وسوف يكون كذلك أولادي إن شاء الله تعالى** .

سلامي للسيد اسحق أفندي درويش والسيد راسم أفندي الخالدي »

توقيع : عبد القادر الحسيني

النص الحرفي لجواب سماحة المرحوم محمد أمين الحسيني على رسالة القائد الشهيد عبد القادر الحسيني .

« أيها الشهم المجاهد الباسل :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فقد وصلني كتابك المؤرخ ١٤ ربيع الأول سنة ١٣٦٥ هـ . فسررت به كثيراً ، وحمدت الله على وصولك والعائلة الكريمة بالصحة والعافية إلى مصر . وأرجو أن تعنى بصحتك ، وأن تعالج ما كان ألمّ بك ، شفاك الله وعافاك .

ولقد اثّر بي كتابك على إيجازه ، كلمات هن آيات بيّنات في الإيمان والاخلاص ، فهذا الإيمان العميق ، والاخلاص المتين ، والتضحية العظيمة التي تأكدْتها فيك في كل موقف كانت سبب الثقة التامة فيك منذ القديم ، ثقة لم تتزعزع في أي وقت من الأوقات ، فكيف يخطر على بالك غير ذلك كما ورد في كتابك : (ولا يدخل لقلبي اليأس اخفاقي في نيل ثقتكم فيما مضى ، وإنّي على يقين بأنني سوف انتزعها انتزاعاً رغم كل العقبات) .

فإنني أؤكد لك بأنك لم تخفق فيما مضى ، ونلت الثقة التامة ، وفوق الثقة ، ومن يستحق الثقة كلها إن لم تستحقها أنت ، بعد طويل جهادك ، وبسالتك ، وتفانيك في سبيل بلادك ، ولست في حاجة لانتزاعها ، فالله يعلم بما لك في قرارة نفسي من ثقة كافية ، ومحبة عظيمة .

ولا أدري ما الذي يجعلك تظن أنك أخفقت في نيل الثقة في الماضي ، ولعل ذلك حين كنت ترى تريّثي أحياناً في تلبية بعض رغباتك في الاقدام والتضحية ، إن ذلك التريّث وكل ما رأيت نحوه ، لم يكن لضعف ثقة ، وإنما كان لأني كنت ولا أزال جدّ ضنين بك . أعرف قيمتك ، ولا أودّ أن أفرط بك بسهولة ، كما يضن الجوهري الخبير بالثمين من درره النادرة . وكنت ولا أزال أرى من مصلحة القضيّة ، التي وقفنا جميعاً حياتنا عليها أن أكبح بقدر الامكان من جماح الجواد الكريم ، وأنهْنه من اندفاع المقدام المستميت ، مدّخراً إياه لموقف أكبر ، ولمأزق أحرج ، ولغاية أسمى لمصلحة القضية نفسها ، وسوف تثبت لك الأيام أن ثقتي فيك كانت منذ القديم ثقة تامة وافية ، وإني كنت على حق في الضن بك وادخارك .

إنك مثل ابني ، أو أخي الصغير ، واعتقد ، أنك تشعر بمقدار مالك في قلبي من

مكانة ، ولذلك تأكد أني لا أكتب إليك بشكل « مراسم » ولكنها الحقيقة الخالصة ، والثقة الكاملة . وأما قولك في كتابك « ستجدونني دائماً ذلك الجندي الذي يموت في سبيل أمته ومبادئه دون أن يكلف الناس سماع أنات نزاعه ، وكذلك زوجتي ، وسوف يكون كذلك أولادي » فقد هزّتني هزّاً ، ودخلت صميم قلبي ، لأنها كلمة صادرة من قلب مؤمن مجاهد صادق ، حفظك الله وصانك وزوجتك الباسلة وأولادك ، وجعل منك ومن آلك قدوة صالحة ، وجمع شملنا بك قريباً ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد أمين الحسيني .

٢٨ جمادي الأولى سنة ١٣٦٥ هـ .

- بعض الرسائل الرسمية في منطقة القتال -

- ١ -

بصفته قائداً لجيش الجهاد المقدس بمنطقة القدس بعث عبد القادر الحسيني ببعض الرسائل الرسمية لرئيس الهيئة العربية العليا بفلسطين السيد محمد أمين الحسيني .

الرسالة الأولى : بعثها القائد الشهيد بعد دخوله فلسطين قادماً من مصر ووصوله منطقة القدس مؤرخة بتاريخ ٢٤ - ١٢ - ١٩٤٧ م ومما جاء فيها :

« وصلت البلاد منذ يومين ، وبدأت اتصالاتي ، وقت بما يأتي :

١ - ترتيب حرس قوي للقيادة .

٢ - ترتيب قناصة حول المستعمرات .

٣ - تنظيم الدفاع في القدس والقرى وترتيب الحرس الليلي » .

- ٢ -

رسالة ثانية تاريخها ١٩٤٨/١/١ قال فيها :

« تسلمنا كتابكم الأخير ، وسنعمل حسب توصياتكم القيّمة » . ثم أوجز الأعمال التي قام بها فقال :

« ١ - أصبح دفاع القدس حسناً ، وقد تحول في بعض الأحوال إلى هجوم قوي معاكس ...

٢ - رأينا أن الهجوم من داخل القدس لا بدّ منه لتقوية المعنويات ، ولإزالة بعض النقاط الخطرة . مثل مستشفى الأمراض العقلية في الشيخ جراح ، ومستشفى

هداسا ، والجامعة العبرية ، إذ يكمن الخطر فيها على الاتصال بالمدينة من الشمال والشرق .

٣ – سنقوم بهجوم هائل لا بدّ منه حالما تصلنا الذخائر والمتفجرات ، وسنتخذ قضاء رام الله مركزاً للحشد وعمليات الهجوم ، وقد انتقلنا إليه بالفعل .

٤ – نحن على اتصال بجميع المناطق ومع الأخ أبي علي (حسن سلامة) ونتخذ الاجراءات السريعة لتقوية الأسس التي أوجدناها في مختلف الأنحاء .

٥ – المعنويات قوية جداً وخاصة في المناطق التي حدثت فيها اشتباكات بين العرب واليهود » .

– ٣ –

قال في رسالة مؤرخة في ١٩٤٨/١/٤ م

« إن اليهود ينقلون قواتهم من كل مكان إلى القدس ، وان خسائر الهاجاناه جسيمة جداً ، ونحن نحاول قطع جميع طرق المواصلات اليهودية المؤدية إلى القدس ، وننتقل من مكان إلى آخر حسب الظروف ، ونتصل بالرجال المسؤولين الإعداد نظام ثابت ، وتركيز المسؤوليات في مختلف المناطق ، وما زال هجومنا دفاعياً الرفع المعنويات وإزالة بعض نقاط يهودية خطرة لا بدّ من إزالتها لتسهيل مهمة الدفاع » .

– ٤ –

ورسالة أخرى مؤرخة بنفس تاريخ الرسالة السابقة كتبها رداً على كتاب ورده من السيد محمد أمين الحسيني جاء فيها :

« ١ – قد أكملنا الأسس اللازمة لتنظيم قرية لفتا والقرى المجاورة لها ، وقد عيّنا السيد يحيى حموده مسؤولاً عنها .

٢ – نحن مهتمون جداً بمنطقة عين كارم وسننتقل إليها في القريب العاجل .

٣ – إن مسألة تأمين الدفاع عن القدس والقرى المحيطة بها هي شغلنا لشاغل ، وقد قطعنا شوطاً في هذا السبيل .

٤ – نحن يقظون وحذرون ، ونحاول الاستفادة من مجهود كل فرد في سبيل المصلحة العامة .

٥ – نحتاج إلى ميزانية لا تقل عن أربعة آلاف جنيه شهرياً ، فالرجاء تزويدنا بها .

٦ – وصلنا عريف اللاسلكي وسيبدأ أعماله .

– ٥ –

وفي رسالة تالية تاريخها ١٩٤٨/١/١٢ جاء فيها :

« ١ – أنا مهتم جداً بدفاع القدس ، وقد أصبح قوياً ، والقدس الآن ساحة حربية ، وأرفق لكم ما كتبته الصحف اليوم لتروا مقدار قوتنا الدفاعية والهجومية في حي الشيخ جراح وبيت صفافا وغيرها .

٢ – ارسلوا إلينا ما لا يقل عن ستة آلاف جنيه شهرياً ، لنقوم بجميع الأعمال في القدس وغيرها ، ما عدا الشمال .

٣ – نحن بحاجة ماسة إلى السلاح وأكثر حاجة إلى الذخائر .

٤ – القدس ساحة حربية .

٥ – أنا الآن في « جنين » ولي أمل كبير فيها .

٦ – ربما سرت إلى حيفا فعكا غداً ، والله المستعان » .

– ٦ –

خطاب عبد القادر الى اللواء إسماعيل صفوت

من أهم التقارير العسكرية التي كتبها عبد القادر الحسيني تقريره المفصل عن قوة الجيش البريطاني في فلسطين ، والنشاط اليهودي المكثف في خدمة الصهيونية ، كما اشتمل التقرير على معلومات إضافية عن استراتيجية القدس والمستعمرات اليهودية المحيطة بها .

وقد بعث بنسخة من هذا التقرير إلى المرحوم محمد أمين الحسيني ، وبعث بنسخة أخرى إلى اللواء إسماعيل صفوت الذي عينته الجامعة العربية قائداً عاماً لحرب فلسطين ، وارفق التقرير بخطاب مؤرخ في ١٩٤٨/٤/٥ م أي قبل استشهاده في معركة القسطل بثلاثة أيام . ومن المرجح أن يكون قد سلمه اليه شخصياً في مقر اللجنة العسكرية التابعة لجامعة الدول العربية بدمشق ، وفيما يلي بعض ما جاء في هذا الخطاب :

«سعادة القائد العام

تحية العروبة والجهاد وبعد ، نرفق إليكم طيه البيانات التالية كي تشملوها بعين الرعاية والانتباه :

أولاً : كشف بأسماء ورتب الجنود النظاميين .

ثانياً : بيان عن حالة منطقة القدس الحربية .

ثالثاً : ميزانية شهرية لنفقات كل سرية على حدة ، وميزانية شهرية عامة للمنطقة .

رابعاً : قائمة بما نحتاجه من أعتدة ومهمات حربية .

هذا ويسرني أن أعلمكم بأنني قد أدرجت في هذه القوائم المجاهدين المنخرطين في السرايا النظامية فقط ، وعدد تسعة سرايا مع العلم بأن بعضها لم يتم بعد طبقاً للأصول لعجز الميزانية ، ولكن حالما يتسنى لنا التوسع في التنظيم فإن هذه السرايا وغيرها ستكون كاملة من جيمع النواحي ، وإنني أبلغكم بأنه يوجد تحت إمرتي مسلحون في قرى لواء القدس المختلفة لا يقل عددهم عن ثلاثة آلاف مسلح ، لم أسجل أسماءهم في القوائم المرفقة إلا أنني استخدمهم للنجدات والمرابطة كلما قضت الضرورة بذلك ، فأرجو أن تخصصوا شيئاً من النفقات لهم .....» .

بعض الخطابات العائلية

خلال مقابلتي للمجاهدة البارة «أم موسى» في صيف سنة ١٩٧٥ م، استطعت الحصول على صور لبعض الخطابات المرسلة من الزوج والأب البار عبد القادر الحسيني إلى زوجته وأولاده.

- ١ -

● الرسالة الأولى من الزوج عبد القادر الحسيني إلى زوجته وجيهة الحسيني مؤرخة بتاريخ ١٩٤٧/١٢/٢٧ م أي في الاسبوع الأول من وصوله إلى فلسطين. ونصه كما يلي:

«حبيبتي وجيهة

حباً خالصاً، وشوقاً ابثه إليك وإلى الأولاد. أنا الآن بقرية صوريف وقربي مستعمرة يهودية اسمها كفر عتسيون، وقد جن جنون اليهود لمّا علموا أنّي أتيت إلى قربها. فأرسلوا لمستعمرتهم نجدة مكونة من ثمانية وثلاثين سيارة كبيرة «تراك» وثماني سيارات صغيرة كلها رجال وعتاد وأسلحة، وهم خائفون ومرتعبون. سأنتقل غداً من هذه القرية لأقوم ببقية أعمالي والله الموفق.

صحتي جيدة جداً والحمد لله، وسلاحي كثير، ورجالي أكثر، وعتادي طيب، كيف صحتك وصحة الأولاد، سلامي لكم جميعاً. توقيع».

- ٢ -

● الخطاب الثاني مؤرخ في ١٩٤٨/١/٤م ،وفي ذيله ملاحظتان ، وهذا نصّه :

« عزيزتي . حباً وشوقاً وبعد فأنا بصحة جيدة وأعمالي سائرة على أحسن ما يمكن . وأظنكم تقرؤون الأخبار بالجرائد . لقد أصبحت القدس الآن الجبهة الأولى . شباب حي الشيخ جراح أسود . وكذلك شباب كل القدس . بارك الله فيهم . سنبدأ هجومنا الحقيقي بعد عشرة أيام على أكثر تقدير . وربما بدأنا قبل ذلك إذا وصلتنا الذخائر .

كيف أحوالك وأحوال الأولاد . أفضل لو تستطيعين إرجاع فيصل إلى بستان الأطفال أو إخراجه من المدرسة لأن ذلك أفضل حتى لا يضغط على عقله . قبلاتي لك وللأولاد .

المحب المشتاق

توقيع .

أ – الملاحظة الأولى : « ذهبت قبل عدة أيام إلى عين سينيا . وبقيت هناك ساعة . الكل يسلم عليك . هذا تاج الدين إلى جانبي يسلم عليك »

توقيع آخر

ب – الملاحظة الثانية : « يوجد بعض الذخيرة عندك في البيت الرجاء إرسالها مع عبد الله .

(توقيع)

– ٣ –

● الخطاب الثالث مؤرخ بتاريخ ١٩٤٨/٢/١٢ م . وهذا نصه :

« عزيزتي وجيهة

أكتب إليك وأنا متعب جداً . ولكن الكتابة لك تنعشني وتحييني . جئت من سوريا بعد أن تمت اجتماعات اللجنة العسكرية . وقد كانت هذه الاجتماعات متعبة مضنية ولكنها كانت بصالحنا .

كل ما تسمعينه من أخبار سيئة عني كلها كذب فلا تصدقي . حراستي قوية . ولا أتجول إلا مع الحرس على أن المنطقة التي أتجول فيها هي داخل منطقة الحراسة حراسنا في الشيخ جراح الآن يحتلون سان هدريا وبيت إسرائيل .

أعمالنا الحربية أثرت في اليهود أثراً عميقاً كما أنها قوت معنويات العرب .

هذه الليلة سنقوم بعمل باهر وإن شاء الله ينجح وسيكون له أثر عميق .
كنت مريضاً بالأنفلونزا أما الآن فصحتي جيدة والحمد لله .
سلامنا لجميع اخواننا الفلسطينين . أقبّل وجنات الأولاد وسأكتب لهم .
الحالة عندنا طيبة جداً سأكلمك بالتليفون والسلام »

(توقيع)

— ٤ —

الخطاب الرابع مؤرخ بتاريخ ١٩٤٨/٣/١٤ م وهذا نصه :

« عزيزتي أم موسى :
أكتب إليك بعد يوم متعب كله عمل متصل من الساعة الثامنة صباحاً إلى الساعة التاسعة والنصف مساءً وأظنه سيستمر إلى ما بعد الواحدة .

إنني أشتغل الليل والنهار ففي النهار أقوم بالأعمال الادارية وأثناء الليل أقوم بترتيب الخطط العسكرية ، هذا ودسائس بعض الذين يسمون أنفسهم مجاهدين تأخذ من وقتي قسطاً وافراً ورغم هذا كله فإن الله سبحانه وتعالى يوفقني وينصرني وينصر إخواني المجاهدين .

كنت بالأمس وقبل الأمس في الخليل وتوفقت بهذه الزيارة بشكل لم يكن أحد ينتظره ، وهذا كله لصفاء النيّة ، وحسن القصد .

لقد كان هذا الشهر مليئاً بالانتصارات والحوادث الجسام وأرجو من الله أن تستمر إلى أن ننال النصر الأخير الحاسم ونرفع عرق الزيتون الأخضر الذي رأيتيه بالمنام .

وختاماً أهديك أشواقي وتحياتي وأقبل وجنات الأولاد وسلامي للجميع .
المخلص »

(توقيع)

— ٥ —

● الخطاب الخامس والأخير مؤرخ بتاريخ ١٩٤٨/٤/٢ م أي قبيل استشهاده بستة أيام وهو موجه إلى أبنائه :

« أعزائي هيفاء وموسى وفيصل وغازي

قبلات حارة لكم جميعاً ، كيف أحوالكم ، لماذا لا تكتبون لي ، أرجو أن تكونوا متحابين وأولاداً طيبين ، لا تعذبوا أمكم ، كما إني أرجو أن تكونوا مجتهدين بدروسكم . وإذا نجحتم بالمدرسة فسأشتري لكم بنادق ومسدسات حقيقية لتقتلوا بها اليهود وسأشتري لهيفاء أدوات إسعاف لتضمد جراح المجاهدين ، سوف أراكم قريباً ، الله يرضى عليكم ، عمو قاسم الريماوي يسلم عليكم . أبوكم المحب » .

(توقيع)

الهيئة العربية العليا لفلسطين

بســـم الله الرحمـــن الرحيـــم

حضرة الوطني الفاضل السيد نبيل خالد الآغا المحترم حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأسأله تعالى أن تكونوا في خير وعافية وبعد ، فقد تسلمت رسالتكم الكريمة المؤرخة ٢٢ ربيع الأول سنة ١٣٩٢ هـ (٦ أيار سنة ١٩٧٢) فأشكركم على ما تضمنته من شريف الشعور وصادق الوطنية .

وفيما يتعلق بعزمكم على إصدار كتاب يتضمن سيرة القائد الشهيد المرحوم عبد القادر الحسيني ، فقد طلبت من المختصين تزويدكم بما يتوفر لدينا من مطبوعات عن سيرة الشهيد . وكذلك خلاصة موجزة عن تاريخ حياته ، أرجو أن تجدوا فيها ما يساعدكم على تحقيق غايتكم الشريفة .

وختاماً أسأل الله أن يوفقكم ويكثر من أمثالكم العاملين المخلصين ، وأن يأخذ بيدنا جميعاً إلى ما فيه الخير والسداد . والسلام عليكم .

بيروت في ٢٢ جمادى الأولى ١٣٩٢ هـ
الموافق ٣ تموز ١٩٧٢ م
توقيع (محمد أمين الحسيني) .

عزيزي الاستاذ السيد نبيل خالد الآغا المحترم

تحية عربية وبعد : استلمت رسالتكم المؤرخة في ١٩٧٣/٤/١٩ م وقرأتها بإمعان وسرحت بخاطري بين سطورها وعادت بي الذكرى إلى الوراء إلى أيام الجهاد المقدس عندما كنت نائب القائد العام المغفور له عبد القادر الحسيني طيب الله ثراه ، ولما كنت نائبه في كل الأمور التي كانت تدور أيامها ، والتي تحملتها من بعد استشهاده ، وجدت من الواجب الوطني أن أرد على رسالتكم الكريمة ، لأنني سررت أن أجد من أبنائنا البررة من يتسقط أخبارنا ويحي ذكرانا في بطون الكتب ، فأشكركم بدوري على مسعاكم الطيب الخالد ، وأبعث إليكم . بما تطلبونه من معلومات وجيزة عن شهيدنا البطل بالاضافة إلى صورة تاريخية نادرة تجمع بيني وبينه ، قبل إحدى المعارك ، راجياً لكم التوفيق والنجاح والاستفادة منها وشكراً لكم . واقبلوا احترامي وتقديري ،

١٩٧٣/٥/٣ م
رئيس مجلس النواب الأردني
كامل عريقات

وزارة الاعلام
بغداد
المديرية/مديرية الثقافة العامة
الشعبة/مديرية النشر
الرقم ٤٥٥٨
التاريخ ١٩٧٣/٢/١٨

إلى السادة

عبدالله عبد المجيد
عبد المحسن شنشل .... المحترمين
طالب مشتاق

الموضوع/طلب معلومات

تحية طيبة

وردتنا الرسالة المرفقة بتاريخ ١٩٧٣/١/٣٠ من السيد نبيل خالد الآغا (من الجمهورية العربية الليبية) والتي يطلب فيها تزويده بالمعلومات المتوفرة لديكم عن الشهيد عبد القادر الحسيني بحكم الصداقة التي تربطكم بالفقيد لغرض إصدار كتاب عنه.

يرجى التفضل بتزويد السيد نبيل خالد الآغا وفق عنوانه أدناه بكافة المعلومات المتوفرة لديكم عنه مع التقدير.

المرفقات :

نسخة من الرسالة

توقيع

عامر رشيد السامرائي

ع/وزير الإعلام

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الخاتمـــــة

وأخيراً .... هل انتهت سيرة الشهيد البطل عبد القادر الحسيني ؟

ربما تكون قد انتهت نسبة لما في هذا الكتاب من معلومات . وهي قصارى الجهد المتواضع .

وربما لم تنته بعد ، فربما تظهر مستقبلاً أشياء جديدة من حياة الرجل لم نستطع الاحاطة بها . أما خلود جهاده ونضاله فلن ينتهي .. لأن حياة العظماء لن تتوارى خلف صفحات المجد ، ولأن تاريخ البشرية ما هو إلا سرد لتاريخ عظمائها كما يقول توماس كارميل .

ثم إن هناك عنصراً بارزاً ما زال وسيبقى متكرراً على تعاقب الأيام . هو عنصر التضحية والبطولة دفاعاً عن الحق والأرض والعرض والحياة .

لكن تبقى لعبد القادر بعض ميزات التفرد ، أهمها أنه أول شاب جامعي يتولى قيادة المجاهدين في فلسطين . وهو بلا ريب المؤسس الحقيقي للثورة الفلسطينية على أسس علمية دقيقة . وإذا كان الرصاص اليهودي قد قضى على عبد القادر الحسيني فإن الجامعة العربية أيضاً قد ساهمت في القضاء عليه حينما تقاعست لجنتها العسكرية عن إمداده بالسلاح وهو إذ ذاك مكدس في عنابرها بدمشق !

ويكفي عبد القادر افتخاراً أنه مات شهيداً على أرض فلسطين . وتحقق له ما لم يتحقق لسيف الله المسلول خالد بن الوليد . وضمن له الرحمن مكاناً علياً في الجنة مع النبيين والشهداء والصديقين وحسن اولئك رفيقاً .

ويكفيه حظاً أنه مات شامخاً في أرضه ووطنه قبيل أن تشهد حواسه عملية

الولادة القيصرية للدولة الصهيونية على حساب شعبنا ووطننا ، وقبيل أن يشهد سلسلة المآسي المتلاحقة على امتداد الرقعة العربية التي لا تمثل حرب حزيران بدايتها ، ولا التفسخ العربي أوسطها ، ولا أحداث لبنان نهايتها .. وإن تمنينا عكس ذلك !

ولست بطاوٍ هذه الصفحات العريضة عن حياة شهيد القسطل قبيل أن أخط التحايا لكل الشرفاء الذين ساهموا بقدر ما في تدوين هذه السيرة العطرة ، فأستمطر شآبيب الرحمة على من ضمهم الله منهم تحت جناح مغفرته خلال السنوات العشر التي استغرقها تأليف هذا الكتاب ، وأذكر منهم : خيري حماد أشهر المترجمين العرب ، عبدالله التل (أبا المنتصر) ، محمد أمين الحسيني رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين ، صالح مسعود بويصير ، عبدالله أبو سته ، محمد علي الطاهر .

كما أثني الثناء الجميل على الأخوة الأحباء – أمد الله في أعمارهم – ممن ساهموا أيضاً في هذا العمل ومنهم السيدة المجاهدة وجيهة عبد القادر الحسيني أرملة الشهيد ، وابنتها هيفاء ، وابنها الدكتور موسى – الأديبة أسمى طوبي – المجاهد عبد الرحمن علي (من لفتا) – محمد رفيق اللبابيدي – أحد رفاق الشهيد في العراق – المفكر العربي اللواء محمود شيت خطاب – المجاهد كامل عريقات نائب القائد العام لجيش الجهاد المقدس ورئيس مجلس النواب الأردني سابقاً – المجاهد الدكتور قاسم الريماوي المدرس بالجامعة الأردنية – المحامي أميل الغوري عضو الهيئة العربية العليا لفلسطين – الأديب السيد جميل بركات – الأديب عبدالله الشيتي مدير تحرير مجلة « النهضة » الكويتية ، والذي تفضل بنشر فصول هذا الكتاب كاملة على صفحات المجلة في الفترة من ٢٠ مايو (أيار) حتى ٢٦ أغسطس (آب) عام ١٩٧٨ مقسمة على مدى ثلاثة عشرة حلقة – الأخ الأديب رجاء النقاش – الأخ أحمد خالد الآغا .

كما أتقدم بالثناء إلى وزارة الاعلام العراقية – دار الكتب المصرية – دار الكتب السورية – مكتبة الجامعة الليبية ببنغازي – مكتبة أمانة العاصمة بالأردن – دار الكتب في دولة قطر – جريدة الدستور الأردنية .

للتاريخ فقط ...

هذا ولا يفوتني أن أسجل هنا ثلاث ملاحظات أراها مهمة في هذا النطاق :

الملاحظة الأولى :

حدثت في صيف عام ١٩٧٤ في العاصمة الأردنية عمان ، حيث اغتنمت

فرصة تواجد الحاج رشاد الشوا رئيس بلدية غزة في الأردن في طريقه إلى بيروت للتعزية في وفاة المجاهد المرحوم الحاج محمد أمين الحسيني. وقد منّيت نفسي بمعلومات جيدة عن عبد القادر الحسيني سأحصل عليها من رفيق دراسته في الجامعة الأمريكية بالقاهرة.

وفي فندق «الأردن» قدمت نفسي وزميل لي إلى الحاج رشاد، وحدثته عن رغبتي.. فاستجاب الرجل في البداية، وأخذ يثني على بطولة عبد القادر، ولكنه تحول تدريجياً إلى القدح في أخلاقياته خلال فترة الدراسة الجامعية، فأخذت أناقشه فيما يدعي، وفي نهاية المطاف سألته: هل أسجل ما سمعته منك على لسانك؟ فاحتج بشدة وقال بحنق: هل تريد أن تفتح أمامي جبهة جديدة بين عائلة الشوا وعائلة الحسيني؟ قلت له: يا حاج.. نحن الآن نسجل تاريخاً ولا نفتح جبهة، قال: سجل يا أخي ما تشاء تسجيله شريطة أن لا تتعرض لذكر اسمي في هذه المسألة! قلت له: لا أستطيع.. لا استطيع مع الأسف، وانسحبت وزميلي من الجلسة وأنا أقول: قاتل الله النعرات العائلية، ألم تكن سبباً من أسباب نكبتنا؟

الملاحظة الثانية:

الزمان: صيف عام ١٩٧٢. والمكان: جمعية المحاربين القدماء في دمشق.. حيث سعيت لمقابلة المجاهد البطل فوزي القطب قائد فرقة التدمير العربية التابعة لجيش الجهاد المقدس، وأحد الرفاق المقربين لعبد القادر.. فلم أفلح في مقابلته برغم ترددي على الجمعية مرات عديدة، وأخيراً حصلت على رقم تليفونه بالمنزل، طلبته، وقدمت نفسي إليه، وبأني أود احتساء فنجان من القهوة في معيته وفي أي مكان يختاره، ولقد رحب الرجل باللقاء، ولكنه طلب معرفة مهمتي أولاً، فأخبرته بأنني أسعى في مقابلة رفاق عبد القادر بهدف تسجيل سيرة حية لحياته تأخذ أخيراً دور الوثيقة التاريخية...

وهنا اعتذر الرجل.. فالححت عليه، فصمم على الاعتذار معللاً ذلك بعدم وجود أية معلومات لديه يستطيع أن يفيدني بها!

ولم أستطع - حتى هذه اللحظة - أن أفسر سبب امتناعه سوى الحالة النفسية المؤلمة التي تمر أو تسيطر على الكثيرين من رجالاتنا في الوطن العربي!

الملاحظة الثالثة:

إنه شعور بالأسى - مُرّ الأسى - على ما وجدته قائماً من الموجدة والتحامل

– على حساب القضية – بين فريقين من كبار مجاهدينا القدامى ، والذين كانوا في يوم من الأيام يحتلون مكاناً بارزاً في صفحات جهادنا ضد الصهيونية في فلسطين .

على قمة الفريق الأول أو « الجبهة » الأولى المجاهد كامل عريقات (أبو غازي) نائب القائد العام لجيش الجهاد المقدس ، ومعه المحامي والوطني المخلص أميل الغوري أحد الأعضاء البارزين في الهيئة العربية العليا لفلسطين .

ويقف على قمة الفريق الثاني أو « الجبهة » الثانية المجاهد الدكتور قاسم الريماوي أمين سر جيش الجهاد المقدس .

في بداية لقاءاتي معهم اشتممت روائح غير زكية ، ولا تعطرها نسائم قدسية الجهاد المشترك ، وعند ذلك اتخذت موقفاً يبعدني من الاقتراب من الخط الأحمر ، ويحصرني في نطاق مهمتي دون التورط في الهوة العميقة بينهم ، فهدفي الأوحد يتمثل في الحصول على أية معلومات جديدة عن رفيقهم وحبيبهم عبد القادر .

في البداية قابلت المجاهد قاسم الريماوي ، وأرشدني إلى سلسلة من المقالات المتتابعة كانت قد نشرت في جريدة « الدستور » الأردنية تحت عنوان : الحقيقة ... كما عرفتها وعشتها . وقد نشرها على أثر صدور كتاب « ايه يا قدس » لمؤلفيه لاري كولنز ودومينيك لابير ، فقمت بالاتصال بإدارة جريدة الدستور بعمان فتفضلت بتوفير النسخ ، ودرست ما ورد فيها .

اتصلت بالمجاهد كامل عريقات عدة مرات ، وأهداني كتابين ، أولهما بعنوان : مجاهد من أبو ديس تأليف السيد أمين أبو الشعر ويقع في ٢٤٠ صفحة من الحجم الكبير يتناول فيه بالتفصيل حياة كامل عريقات نفسه ، والآخر بعنوان : إظهار حقائق وتفنيد أباطيل ، من تأليف السيد اميل الغوري ويقع في ١١٢ صفحة من الحجم الكبير أيضاً ، وكله إيضاحات ونقد لما نشره السيد الريماوي في جريدة الدستور .

والحقيقة أنني كابدت كثيراً من المشاق في محاولة للتوفيق بين تلكم الأقوال والوقائع المتضاربة ، والتي يزعم كلا الفريقين بأنها « حقائق » ، وهي – لعميق الأسف – متعلقة بتاريخ فترة مهمة من القضية الفلسطينية ، وللأسف أيضاً فإن كل واحد منا يلبس نفسه رداء البطولة الفذة ، والتضحية النادرة !

لذلك فإنني أدرك بأن هذا الكتاب في حاجة لمزيد من المعلومات عساه بها يصبح لبنة قوية في البنيان التاريخي الشامخ الذي شيدته السواعد العربية والاسلامية منذ أمد بعيد . ومن هنا فإنني أشكر من يصوب فيه خطأ ، أو يضيف إليه جديداً ، عملاً بقول رسولنا الحبيب « رحم الله امرءاً أهدى إلينا عيوبنا » والكمال لله وحده .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

وثـــائق

منظمة الجهاد المقدس
القيادة العامة
القدس

القسطل في ٦/٤/٤٨ ٩

مذكرة

السيد الامين العام لجامعة الدول العربية
القاهرة

اني احملكم المسؤولية بعد ان تركتم جنودي في اوج انتصاراتهم بدون عون او سلاح.

عبد القادر الحسيني

المذكرة التي أرسلها الشهيد إلى الجامعة العربية يوم ٦ نيسان ١٩٤٨ وفي اليوم التالي استشهد بسبب فقدان السلاح. ثم سقط القسطل في أيدي الأعداء.. وبعد ٤٨ ساعة وقعت «مذبحة دير ياسين».

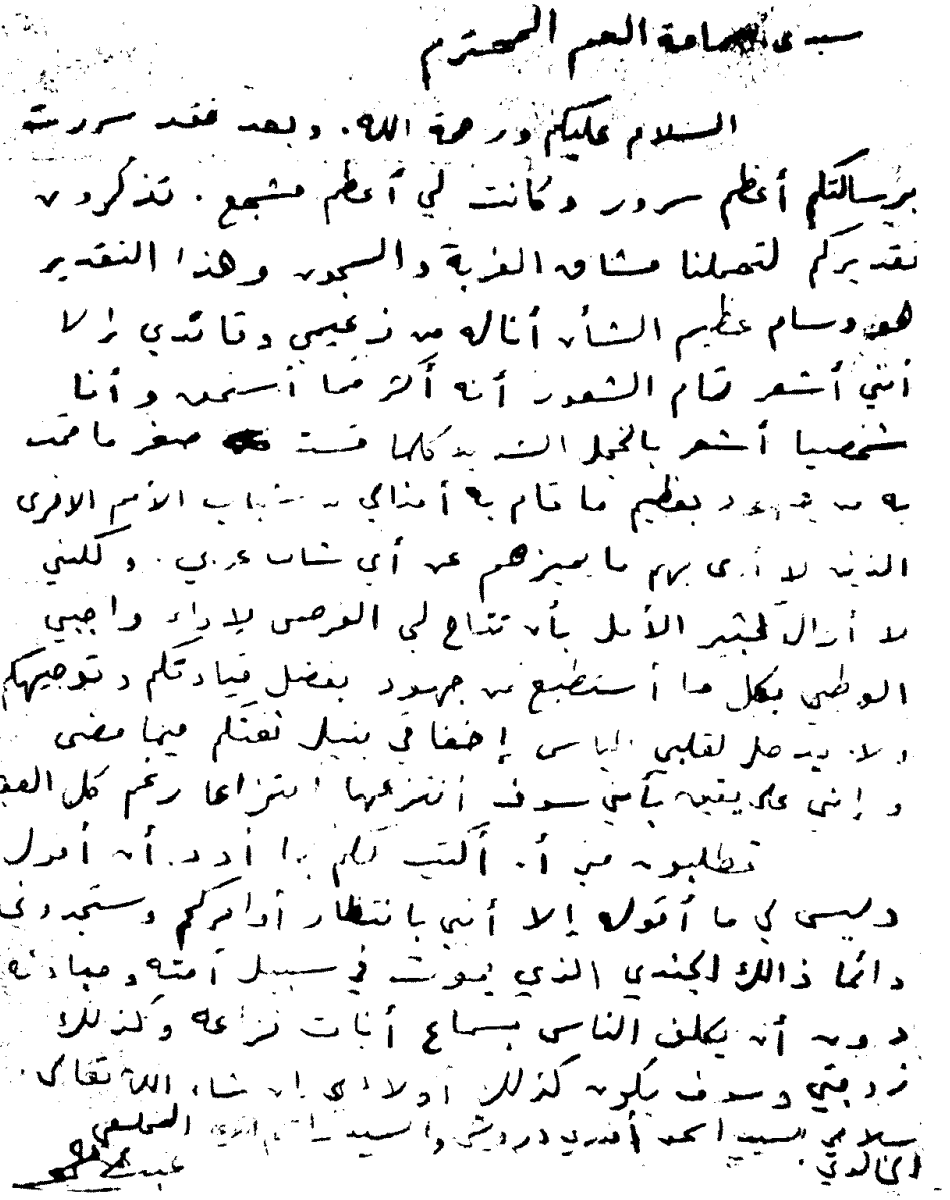

صورة زنكوغرافية لرسالة القائد الشهيد عبد القادر الحسيني إلى السيد محمد أمين الحسيني.

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الشهم المجاهد الباسل :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فقد وصلني كتابك المؤرخ في ١٤ ربيع الأول سنة ١٣٦٥ فسررت به كثيراً . وحمدت الله على وصولك والعائلة الكريمة بالصحة والعافية أطال الله أعمارهم وأدام عليهم نعمه وعافيته ، وأن تعالج ما كان ألم بك . شفاك الله وعافاك .

ولقد أثلج صدري كتابك على إيجازه كلمات من آيات بينات في الإيمان والإخلاص فهذا الإيمان العميد ، والإخلاص المتين ، والتضحية العظيمة التي تأكدت في كل موقف كانت سبب الثقة العامة فيك منذ القديم ، ثقة لم تتزعزع في أحلك مواقف الأوقات فكيف تخطر على بالك فكرة غير ذلك كما ورد في كتابك : (ولا يدخل في قلبك اليأس اطمئن فيما يقتضي فيما مضى ، وأنا على يقين بأنني سوف أنتزعها انتزاعاً رغم كل العقبات) .

فأنا وركدت بأنك لم تفقد فيما مضى ، ولست الثقة العامة ، وفقدان الثقة ، ومن المستحيل استعادتها إن لم تستعدها أنت ، بعد طول جهادك ، وبسالتك ، وتفانيك في سبيل بلادك ، وأنت في عافية لانتزاعها ، فالله يعلم بأنك في قرارة نفسي موثقة واثقة ، وبحبه عظيمة .

وبلادك هي التي يجب أن تظن أنك ضعيفت في نيل الثقة فيما مضى . ولعل ذلك هو الذي كنت ترجو أن تجيبه عن وطنك في الإقدام فيما تقدم . إن ذلك الترشيح ، وكل مرشح يحبه وطنه لم يكن لضعف ثقة ، وإنما كان لأني كنت ولا أزال جد ضنين بك . أعرف قيمتك وقدرك وأود أن أحوط بك بسهولك ، كما نضن بالجوهرة الخبيرة ، بالثمين من درره النادرة . وكنت ولا أزال أرى من مصلحة القضية التي وقفنا حياتنا عليها ، أن أبعد الإمكان من جماح الجواد الكريم ، وأنهنه من اندفاع الهضيم الحميت ، مدخراً إياه لموقف أكبر ، ولمأزق أحرج ، ولغاية أسمى لمصلحة القضية نفسها . وسوف تثبت الأيام ، أن تضن فيك كالعهد القديم ثقة تامة واثقة . وإني كنت على حق في الضن بك وإني لغار لك .

أما مثلي أنا ، أو أخي الصغير ، فأعتقد أنه تتقرر مقادير حياتنا قبل من مكانه ، ولذلك فإني لا أكتب إليك بشكل مراسم ، وتكلفها الخليقة بالثقة . والثقة العالية .

وما دمت في كتابك لا تستجد في رأيك الحسن الذي يبرئ ساحتك وساحتنا ويرد عنا ألسنة الناس من سماع أنات نزاعك ، وكذلك نرجو ، وسوف يكون كذلك إن شاء الله . فقد عزني حزناً وشق صميم قلبي ، لفظاً كلمة صادرة من قلب مؤمن مجاهد صابر . حفظك الله وصانك وزودك بالباسلة والإدراك . وجعل منك ومن آبائك قدوة صالحة ، وجمع شتاتنا بك قريباً . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

٨ جمادى الأولى ١٣٦٥

١٩٤٨/٩/١٦

عزيزي نمر

كيف حالك وحال أمك وأخوتك! إن شاء الله تكونوا بخير مثلي. بلغ سلامي لأهلك وأخوتك وعمك لأهلك المحب

عبد الله

١٩٤٨/٩/١٦

عزيزي موسى

كيف حالك أنت وأخوتك؟ أرجو أن تكونوا جميعا بصحة طيبة وأن تطيعوا أمكم وتجتهدوا بالمدرسة.

أبلغ سلامي لأمك وأخوتك وعمك لأهلك.

المحب لأهلك

عبد الله

من رسائل الشهيد إلى عائلته.

حبيبتي وحبيبة

هباء خالصا وشوقا دفينا إليك وإلى الأولاد. أنا الآن

بقرية صوريف وقري معسكرة بها ديوانها كفر عسلوه

وقد جمعه الله بهم بعد ما علموا أني أتيت إليها إلى قريبا

فأرسلوا لمعسكرهم نجدة مكونة من ثمانية وثلاثين سيارة

كبيرة "لاري" وثماني سيارات صغيرة كل رجال وعتاد

وأسلحة. وكم فاتهم ومرتبهم. سأنتظر هذه

النجدة لأقوم بقية أعمالي وأعود إليكم.

حبيبتي حبيبة حياة والكم الله وسعادة كثير ورجائي

أكثر وعناية طيب. كيف صحتك وصحة الأولاد

سلامي لكم جميعا،

١٩٤٧/١٠/٢٧

عبد الله

١٩٤٨/٢/١٧

عزيزي وحبيبة

استلمت قبل ربع ساعة رسالتك الأخيرة وهي

خالية من التاريخ فعرفت بها جيدا. لقد كتبت لك إلا أنه

الرسائل تتأخر في الطريق وستصلك عن قريب. لقد سرت

جدا بأخبار الأطفال كما أنني سررت بأخبار حبيبة في

كمال فإنني أحبهم كما أحب أولادي. لماذا لم تكتب

عوضاد لي. كنت أود أن يشتري لي [illegible]

[illegible] وأن يبدل

[illegible]

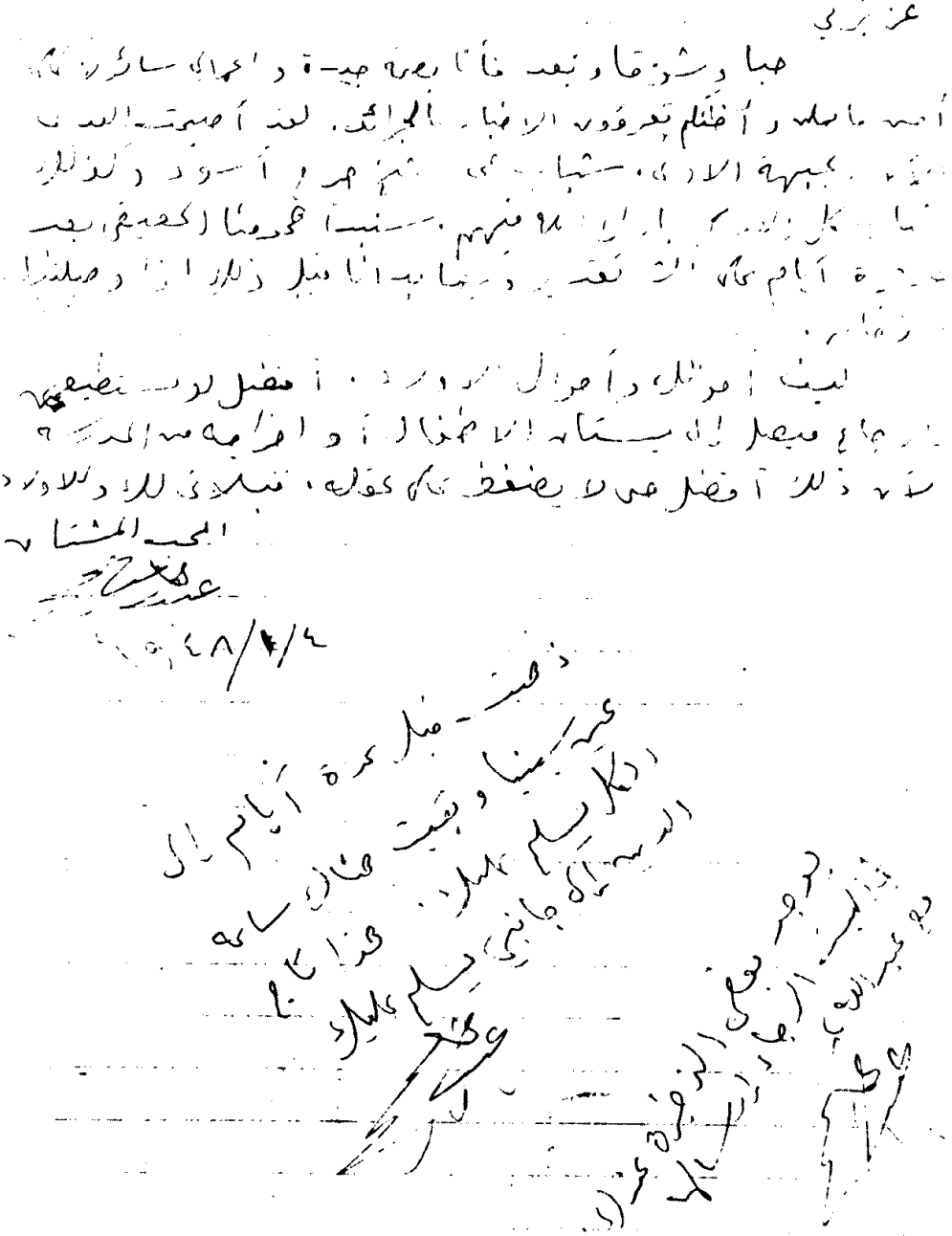

من رسائل الشهيد إلى عائلته.

عزيزتي أم موسى

أكتب إليك بعد يوم متعب كله عمل متصل من الساعة الثامنة صباحاً إلى الساعة التاسعة والنصف مساءً وأظنه سيستمر إلى ما بعد الواحدة.

إنني أشتغل الليل والنهار ففي النهار أقوم بالأعمال الإدارية وأثناء الليل أقوم بترتيب الخطط العسكرية هذا ودماشي بفضل الله سبحانه وتعالى بمعنويات مجاهديه تأخذ منحى تصاعدياً واقراً ورغم هذا كله فإن الله سبحانه وتعالى يوفقني وينصرني وينصر إخواني المجاهدين.

كنت بالأمس وقبل الأمس في الخليل ووفقت بهذه الزيارة بشكل لم يكن أحد ينتظره وهذا كله لصفاء النية وحسن القصد.

لقد كان هذا الشهر حافلاً بالانتصارات والكوارث للجسام وأرجو من الله أن يستمر إلى أن ينال النصر الأخير الحاسم ونرفع علم الزيتونة الأقصر الذي رأيته بالمنام.

وختاماً أحملك أنت وأولادي مكاني وأقبل وجنات الأولاد وسلامي للجميع.

المخلص

١٩٤٨/٢/١٤

من رسائل الشهيد إلى عائلته.

عزيزي وشفاء

استلمت رسالتك المضمونة ودرجت بها كما [illegible]
لقد أصبحت ذاتا شابة [illegible] أنك طيبة القلب ورقيقة العواطف
وكان [illegible] فعل ذلك. أصغي لي ملك واصبر معاملة افوتك
[illegible] ملك ودمت [illegible]

١٢/ محرم/ ١٣٨٧
١٧/ ١١/ ١٩٦٧

١٩٦٨/ [illegible]

اعزائي فيصل وعبد [illegible]

قبلات عارة تكم جميعا اشتاق اخباركم لماذا لا تكتبون لي
أرجو أن تكونوا بخير وأولادكم [illegible] تقديرا أنكم كما أنا أرجو
[illegible]

[illegible] أن [illegible] أراكم قريبا
[illegible] برنا [illegible]

ابوكم المحب

من رسائل الشهيد إلى عائلته.

الادارة، شارع فؤاد الأول بدمشق
الهاتف ٤٠٠٠
رئيس التحرير المسئول
عبد الحليم الطاوي

الفيحاء

الاشتراكات
٢٥ ليرة سورية في سورية وشرق الاردن
الاعلانات، تخفيض مع الادارة
ثمن العدد ١٥ قرشاً سورياً

الجمعة
٩ آيار ١٩٣٨
٣٠ ربيع الأول ١٣٥٧
العدد (٩١) السنة الرابعة

استشهاد القائد عبد القادر الحسيني في معركة القسطل امس

العرب يستردون القسطل بعد معركة كبرى بالسلاح الابيض ـ مدافع عيار ٧٥ تقصف تحصينات اليهود

شروط القائد فوزي القاوقجي لاستسلام اليهود في مستعمرة «شمار هاعيمك» ـ بريطانية تطلب التوسل دون تسرب العرب للقطين

القائد عبد القادر الحسيني الذي قتل امس في معركة القسطل وهو يرد على الهجمات

الهيئة العربية تعني الفقيد الغالي

آثار للشهيد الحسيني

في ذمة الله

تخلوا عن الصهيونية او نحققكم محققا

حديث فوزي القاوقجي مع مراسل بريطاني

فخامة الرئيس يعزي باستشهاد الحسيني

تدهور قطار الملك في اليونان

نجاة ملك اليونان من الموت باعجوبة

اختطاف ٣٠ يونانياً واعدام ثلاثة

القبض على ثلاثين زعيما في اليمن

الامن يخيم على ربوع العربة السعيدة

اتجاه الانتخابات في ايطاليا

توقع حصول الشيوعيين على ٣٠ بالمائة ـ فرق مساعدة الصليب

قواعد روحية في الاسراف الغذائية

حفلة كبرى بمناسبة اعياد الميلاد

لماذا تهملون ابناءنا في الشيلي؟

المهاجرون السوريون يعرضون عن جنسية البلاد

مكافحة النفوذ الشيوعي في اوروبة

اقتراح جديد تدرسه وزارة الاخبار الاميركية

عبد القادر الحسيني في ذمة الله

شهيد فلسطين والعـــالم العربي المغفور له عبد القادر الحسيني قائد منطقة القدس ، وهو الظاهر في وسط الصورة بلباس الجهاد

اذاع راديو القدس في نشرته مساء أمس النبأ الاليم التالي :

نعت الهيئة العربيـــة في القدس اليوم المجاهد العربي الفلسطيني عبد القادر الحسيني الذي استشهد اليوم متأثراً من جراح أصيب بها وهو يقوم بتأدية واجبه المقدس على أتم مايقوم به المجاهد المخلص البار . وقـد أحضر جثمان الفقيد الى القدس وستشيع جنازته عند الساعة العاشرة والنصف قبل ظهر غد (الجمعة) من بيت شقيقه في باب الساهرة ويدفن الجثمان بالحرم الشريف بالقرب من المغفور له والده موسى كاظم باشا الحسيني . رحمه الله رحمة واسعة واسكنه فسيح جنانه مع الابرار الشهداء الصالحين .

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الوطني الفاضل السيد نبيل خالد الاغا المحترم حفظه الله
ص.ب (٥٧) ـ البيضاء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته واسأله تعالى ان تكونوا في خير وعافية وبعد ، فقد تسلمت رسالتكم الكريمة المؤرخة ٢٢ ربيع الاول ١٣٩٢ هـ (٦ ايار ١٩٧٢) ، فاشكركم على ما تضمنته من شريف الشعور وصادق الوطنية .

وفيما يتعلق بعزمكم على اصدار كتاب يتضمن سيرة القائد الشهيد المرحوم عبد القادر الحسيني ، فقد طلبت من المختصين تزويدكم بما يتوفر لدينا من مطبوعات عن سيرة الشهيد . وكذلك خلاصة موجزة عن تاريخ حياته ، ارجو ان تجدوا فيها ما يساعدكم على تحقيق غايتكم الشريفة .

وختاما اسأل الله ان يوفقكم ويكثر من امثالكم العاملين المخلصين ، وان يأخذ بيدنا جميعا الى ما فيه الخير والسداد . والسلام عليكم .

بيروت في ٢٢ جمادى الاولى ١٣٩٢
الموافق ٣ تموز ١٩٧٢

رسالة من الحاج أمين الحسيني إلى المؤلف.

عزيزي الاستاذ السيد نبيل خالد الاغا المحترم

البيضا ـ ليبيا

تحية عربيه وبعد :

استلمت رسالتكم المؤرخه في ١٩٧٣/٤/١٩ وقرأتها بامعان وسرحت بخاطري بين سطورها وعادت بي الذكرى الى الوراء الى ايام الجهاد المقدس عندما كنت نائب القائد العام المغفور له عبد القادر الحسيني طيب الله ثراه ، ولما كنت نائبه في كل الامور التي كانت تدور ايامها ، والتي تحملتها من بعد استشهاده ، وجدت من الواجب الوطني ان ارد على رسالتكم الكريمه ، لانني سررت ان اجد من ابنائنا البرره من يتسقط اخبارنا ويحيي ذكرانا في بطون الكتب ، فاشكركم بدوري على مسعاكم الطيب الخالد ، وأبعث اليكم بما تطلبونه من معلومات وجيزه عن شهيدنا البطل بالاضافة الى صورة تاريخية نادرة تجمع بيني وبينه قبل احدى المعارك ، راجيا لكم التوفيق والنجاح والاستفادة منها وشكرا لكم.

واقبلوا احترامي وتقديري.

رئيس مجلس النواب الاردني

كامل عريقات

١٩٧٣/٥/٣

رسالة من السيد كامل عريقات إلى المؤلف.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

صـــوَر

الشهيد عبد القادر الحسيني.

صورة نادرة للشهيد عبد القادر الحسيني في شبابه.

عبد القادر مع بعض رفاقه في الجامعة الأميركية بالقاهرة.

قائد الجهاد المقدس عبد القادر الحسيني يتحدث إلى الأستاذ اميل الغوري عضو الهيئة العربية العليا في مقر القيادة في بئر زيت.

عبد القادر على جواده.

في المعتقل بالعراق (العمارة) سنة ١٩٤١ بعد ثورة رشيد عالي الكيلاني.

في مدينة الخليل – في اجتماع بالمجاهدين سنة ١٩٤٨

في مدينة الخليل ١٩٤٨

مع الثوار سنة ١٩٣٨.

عبد القادر يتقدم رجاله للهجوم على أحد المعسكرات البريطانية.

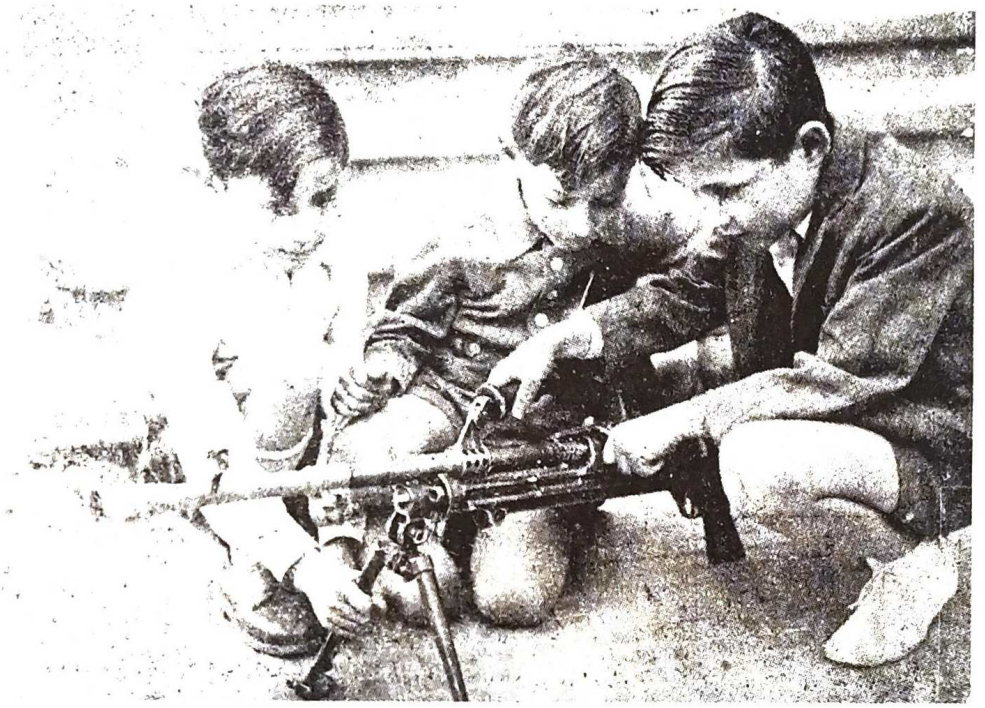

أبناء الشهيد : موسى وفيصل وغازي يتدربون على استعمال السلاح.

صورة نادرة للشهيد عبد القادر الحسيني مع ابنته هيفاء..

خريطة منطقة القدس والقرى العربية المحيطة بها.

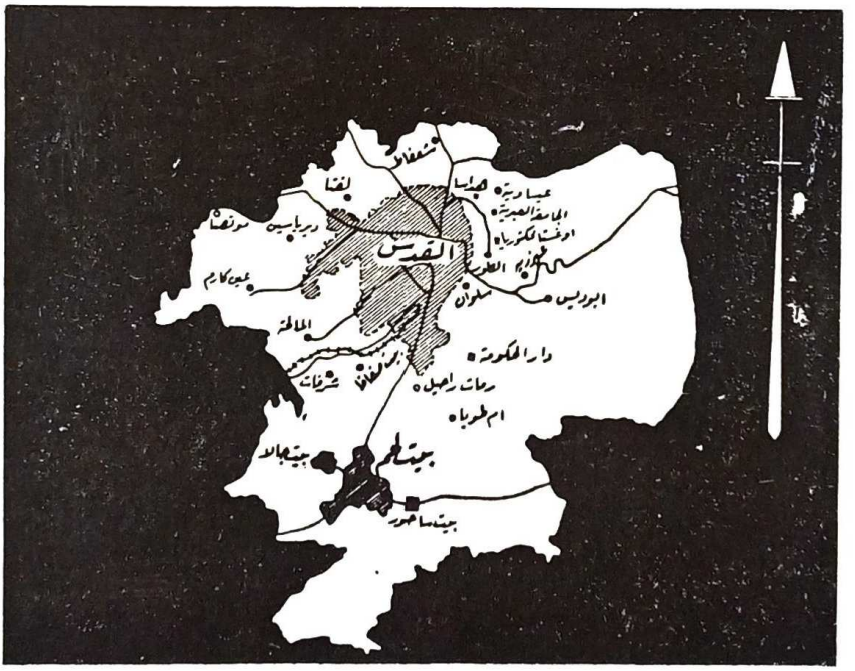

خريطة القدس والمعارك التي حدثت حولها.

القائد يتوسط فريقاً من ضباط جيش الجهاد المقدس.

عبد القادر في مدخل أحد الكهوف التي كان يأوي إليها المجاهدون.

قبيل استشهاد البطل بيوم واحد: في ٧ نيسان وهو في سيارته يتفقد تحصينات جيشه. وقد وقف إلى جانبه الشهيد إبراهيم أبو دية.

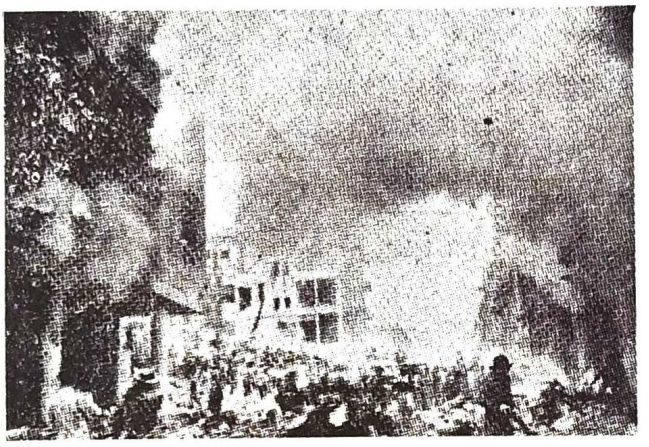

شارع بن يهودا في القدس وهو يحترق في ٢٢ شباط (فبراير) ١٩٤٨ بعد أن نسفه المناضلون العرب.

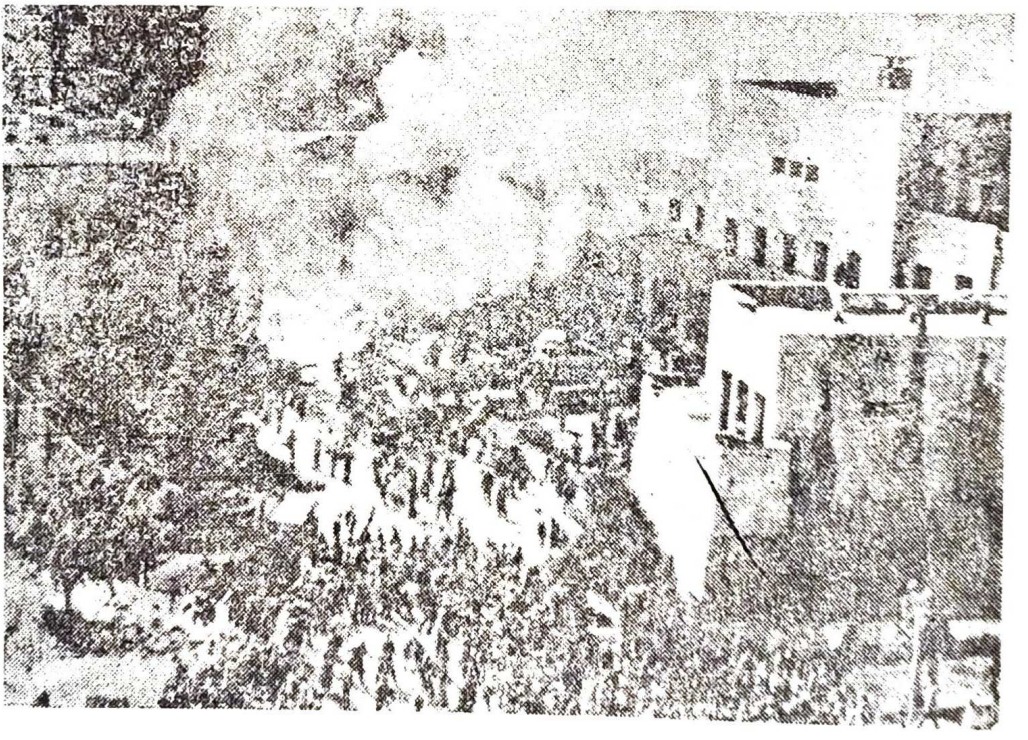

مظاهرات في القاهرة احتجاجاً على قرار التقسيم الذي صدر في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧.

جنازة الشهيد عبد القادر الحسيني

الشيخ الشهيد عز الدين القسام.

الشهيد البطل حسن سلامة.

كامل عريقات.

الشهيد البطل عبد الرحيم محمود

البطل انطوان داوود.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٦
الباب الأول	
الفصل الأول	٧
الفصل الثاني	١٣
الباب الثاني : في معترك الحياة	١٩
الباب الثالث : عبد القادر في العراق : مهاجراً وثائراً	٢٩
الباب الرابع : إصدار قرار التقسيم	٥١
الباب الخامس	٦١
١ – عبد القادر في فلسطين يقود مجاهديها ويقدح زناد ثورتها	٦١
٢ – قوة الإرهاب الصهيوني	٦٧
٣ – عبد القادر : قائداً لجيش الجهاد المقدس	٦٩
الباب السادس	٧٥
١ – ملاحم الأمجاد :معركة « بيت سوريك »	٧٥
٢ – نسف دار الصحافة اليهودية وتدمير شارع (هاسوليل)	٧٨
٣ – نسف شارع ابن يهوذا	٨١
٤ – نسف مقر الوكالة اليهودية	٨٤
الباب السابع : القائد في دمشق	٩٥
الباب الثامن : صدى الاستشهاد	١١٥
الباب التاسع : تمجيد البطل	١٢٥
الباب العاشر : رثاء القافية	١٤١
الباب الحادي عشر : وجيهة عبد القادر الحسيني أم موسى رفيقة النضال	١٥٥
الملاحق	١٦١
الخاتمة	١٧٥
وثائق	١٧٩
صور	١٩٣

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com